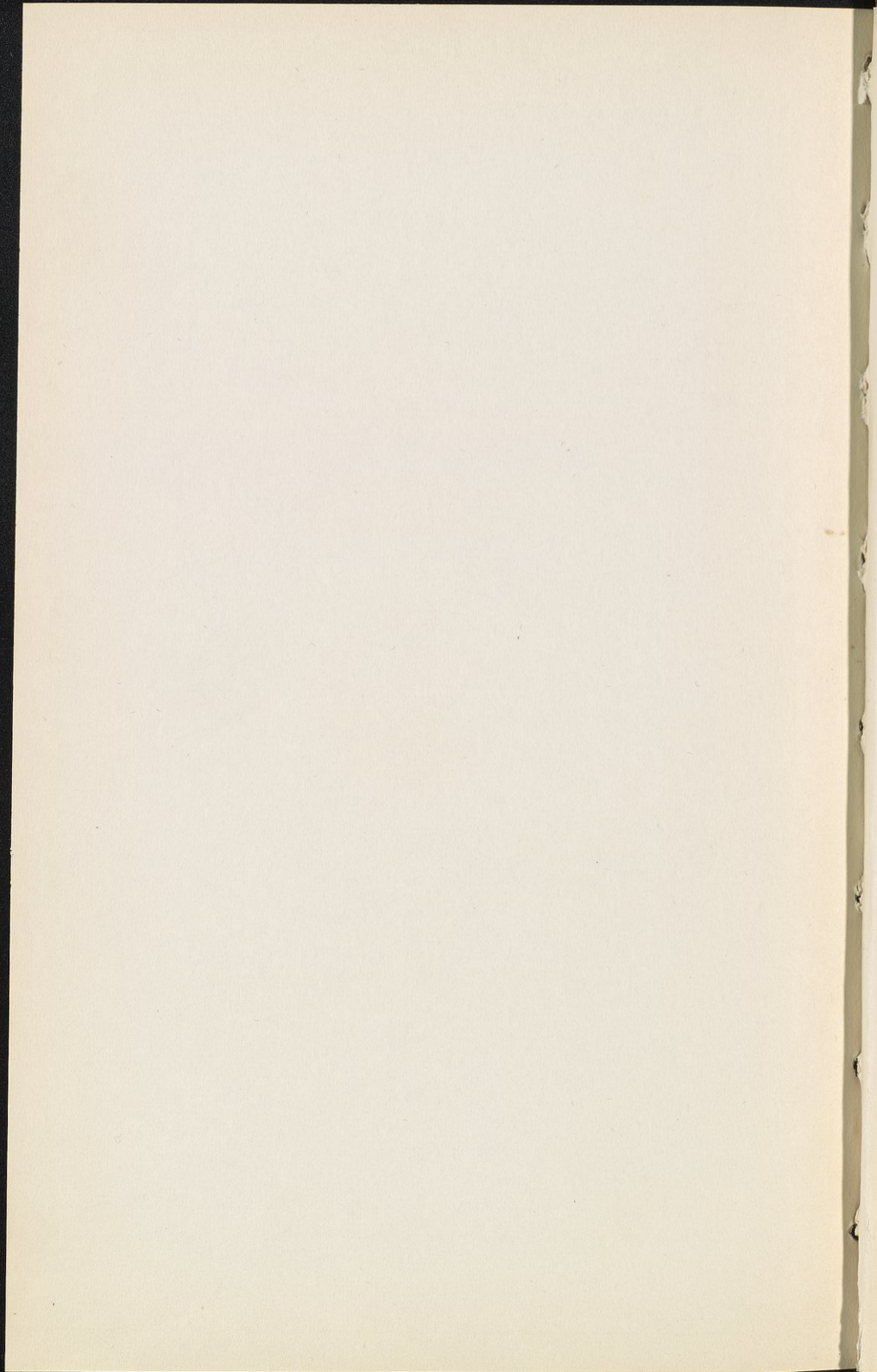
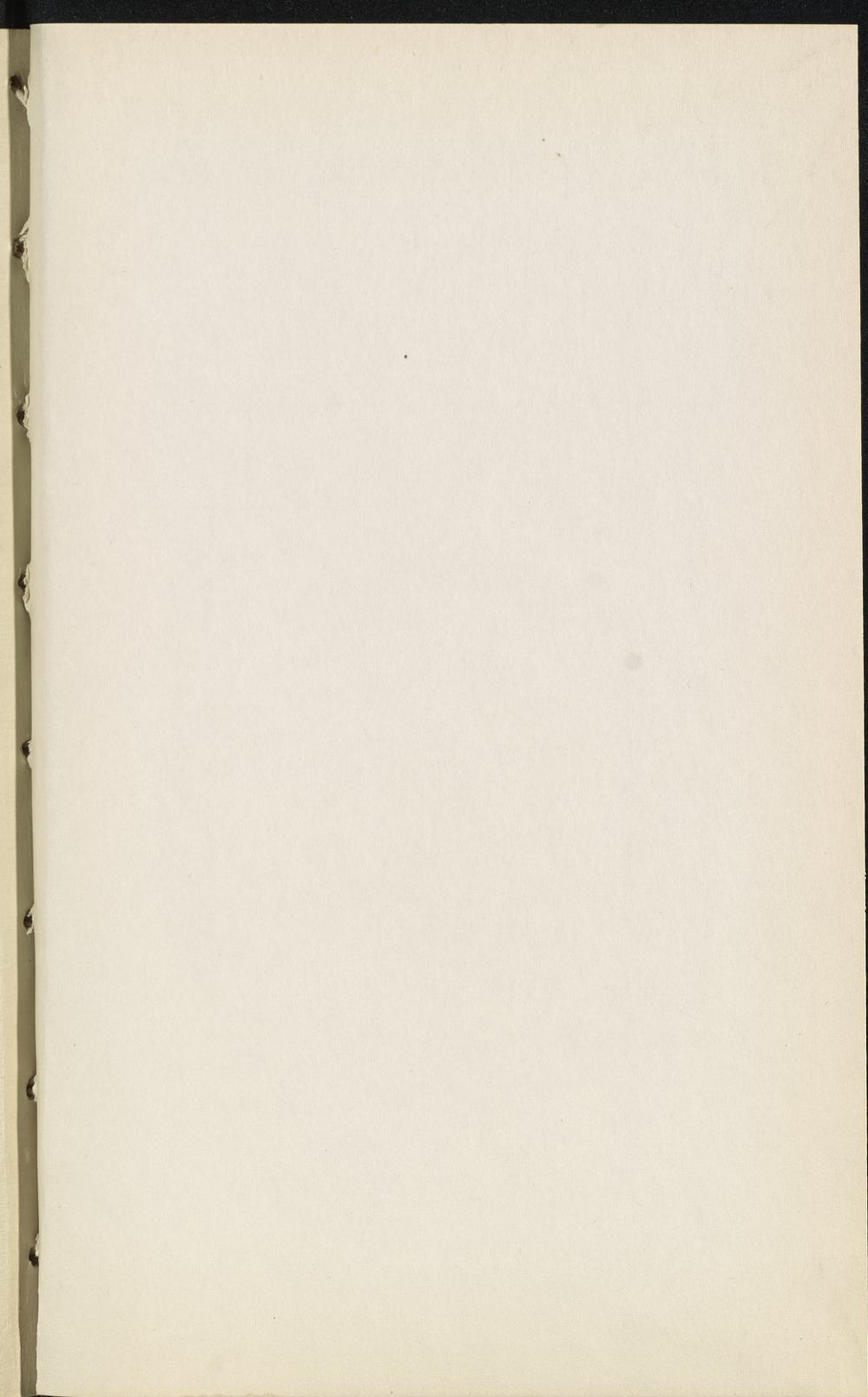


Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES







نورالدين يوسف نورالدين

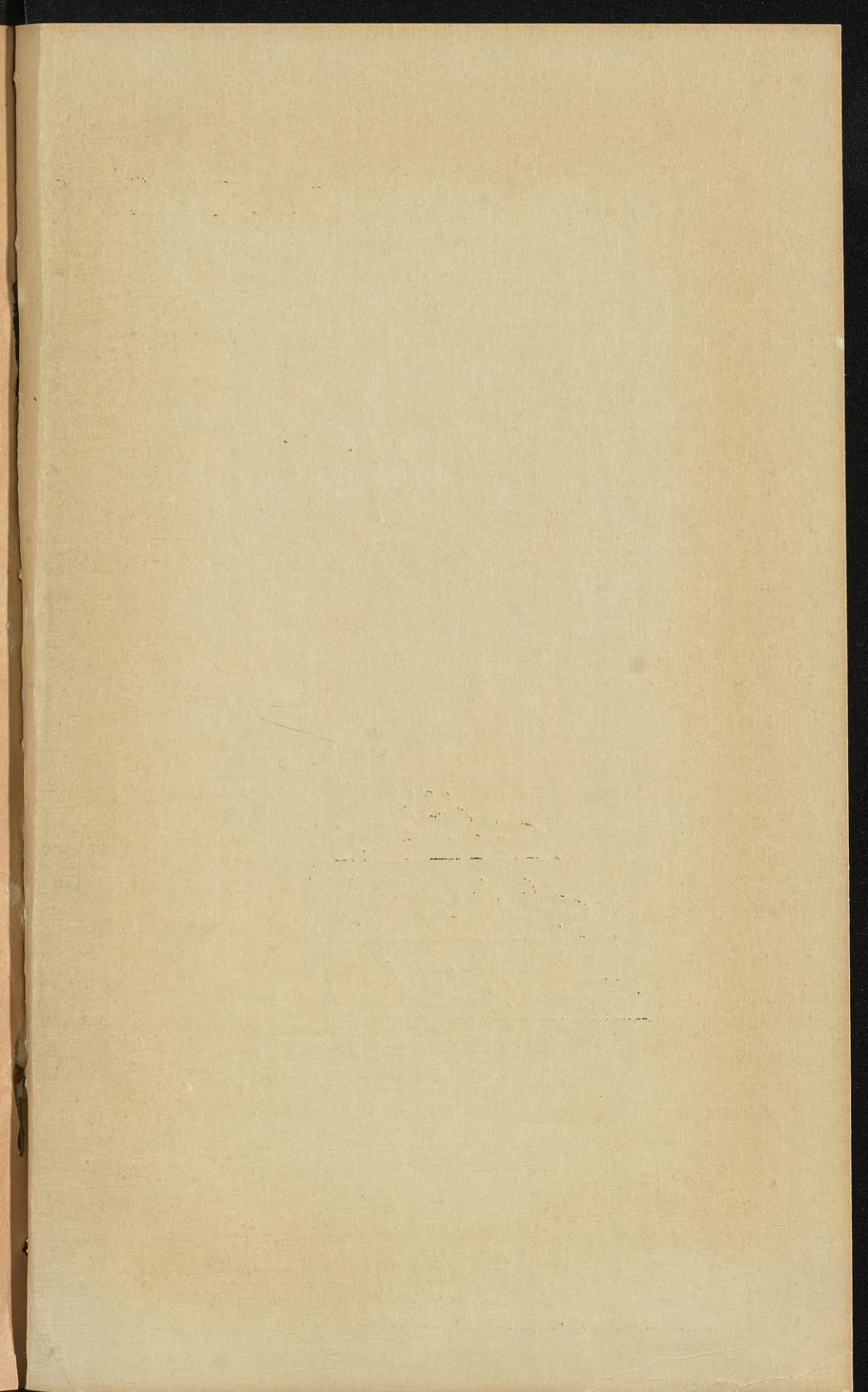
الشعراء الثلاثة

• أبو الطيب المتنبي

• أبو العلاء المعري

• الشريف الرضي

دراسة - تحليل - منتخبات



نورالدين يوسف نورالدين

الشعراء الثلاثة

أبو الطيب المتنبي
أبو العلاء المعري
الشريف الرضي

دراسة - تحليل - منتخبات

اصدار

دار الانصاف - منورات محمد

893.78

N 93

11508F

المقدمة

في تاريخ الفكر الانساني ، حروف ضخمة ، احتلت مكانتها
بجدارة ، ومقدرة ، واستحقاق ، وتفتحت امامها ابواب العبقورية
فاخلود .

وحتى الان ، والى الابد ، لن يتحجر الفكر الانساني ،
ولن تعدم العبقورية سبيلاً الى الانطلاق ، بل تخطت سنة التطور
كل حواجز الرجعية ، وحطمت افكار الانسان ، صروح الظلم ،
ودكت معالم الاصنام والعبودية .

ودائماً الانسان ، ذلك القبس الملتهب من حيوية ، ونشاط ، وتطلع .
ودائماً قلب الانسان . ذلك الوتر الذي عزف ، ويعزف
اعزب الحان الجمال ، والخير ، والحق .

ودائماً عقل الانسان ، ذلك الميزان ، الدائم العمل ، والدائم
التفتيش عن الحقيقة ، والمجدد قيم التقدم والابداع .
ثم نفس الانسان ، ويله منها ، تلك الدابة الحرون . المنتفضة
دائماً ، الانانية ابدا .

اذن ، هو الانسان ، هم الناس ايضاً ، ونحن هنا نتحدث عن بعضهم ،
عن بعض الذي شغلوا الناس ، شغلهم في عصرهم ، وفي العصور التي تلت ،
وحتى هذا الوقت ، وستبقى آثارهم شغل الناس في العصور اللاحقة ايضاً .
ولست اول من تحدث ، كما اني لست آخر من سيتحدث عنهم ،
ولكنني مع كل هذا سأحاول جاهداً ، ان اوضح ما غمض من تلك
الجبلة الواضحة الغامضة .

من اقصى الامور على النفس ، ان تكون انت التاريخ ،

التاريخ : ما هو ؟ هل هو الزمن ؟ ام الانسان ؟
فالتاريخ هو الانسان ، الانسان المتفوق ابدأ ، المتفجر قوة
وعزماً وبطولة واقتحاماً للصعاب .

انه لمعات الفكر المجدد الباعث . انه التغير المفاجيء الذي
يقضي على الهمود والتحجر . انه السفر الذي يشع من سطورهِ
لألاء الحضارة ويهوجها . انه اليجاد الفعلي الذي يرسم ويخطط
ويبنى وينشيء لما نسميه ، ولما يسميه الناس ، الاجيال .

لهذا قلت ان من اقسى الامور على النفس ان تكون انت
التاريخ . انت يا من ستعرض يوماً لقسوة التاريخ وعدله .

مع كل هذا ، كن جريئاً وجديراً بأن تكون حرفاً من
حروف . او كلمة من كلمات ، او سطوراً من سطور ذلك السفر العظيم .

ونحن الآن امام ثلاثة حروف ضخمة محفورة في قلب صفحة
من صفحات ذلك السفر حيث نود ان نتيح لأنفسنا فرصة الوقوف
على الحيز الزماني والمكاني الذي احتملته هذه الحروف ، والذي
اطلت منه على البشرية ، بالومضات الصاعقة ، واغوالد العاصفة .
حرفنا الاول حسب التسلسل الزمني هو المتني .

المتني ، ذلك الحرف الكبير في تاريخ الادب العربي . بماذا
ينبئنا ذلك الحرف ؟ وهل استطاع المتني ان يجلس في المكاتب
العالي من التاريخ الذي تنطح له ، وطمح اليه ، واراد ان
يكون فيه ؟ وهل اعد الزاد الملائم لتسم مثل هذا المكان ؟

الحقيقة ، ان المتني كأكثر رجال التاريخ ومفكره ، يتميز
بشيء من الجسارة التي لا تعرف الكلال ، وبحظ عظيم من الذكاء
اللماع الذي هم ابدأ الارتفاع ... والارتفاع ... وبموهبة شعرية
وفنية استخدمها للوصول الى ما دفعته اليه جرائته وحزمه وتطلعه

الى القمم والقلل . لأنه لا يكفي لمن يبغون الخلود ، ودخول التاريخ من رتاجه الكبير ان يقصروا زادهم على الموهبة وحدها ، وانما يجب ان تلازم الموهبة اندفاع الرجل بجراثة وجسارة وقوة فيما يندفع اليه ، وفيما يريد ان يبلغ من اهداف قد تكون هوساً وجنوناً وانسياقاً في اللامعقول ...

هكذا دخل المتنبى باب التاريخ ، وخط في صفحته حرفه الضخم . ونأتي الى الحرف الثاني ، وهو حرف مماثل للحرف الاول من بعض الوجوه ، ومختلف عنه من وجوه أخرى . ولكنه يلتقي معه في الثورة ، والايغال في الهدم والتمرد ، ويزيد عليه تعقلاً ودراية وتفلسفاً ، وعرضاً لمشاكل الحياة وقضاياها الوجودية والغيبية ، ذلك الحرف الذي لا يقل عن الحرف الاول ضخامة هو ابو العلاء المعري .

اما الحرف الثالث ، فلا يقل عن الأولين ثورة ، ورجولة وقرداً ، ولكنه يزيد عليهما اقتناناً بالجانب الضاحك من الحياة ، فهو يعني ويشدو ، كما تشدو البلابل ، ويترنم بروائع تبعث في النفس الانسانية الشعور بالذلة والموح ، اللذين رغب فيهما الشريف وأثرهما ايثاراً لا يخلو من الشدة .

ثلاثة حروف ، نستبين منها ثلاثة رجال جشموا فوق رقاب الاجيال الزاحفة ، واجبروها على الاعتراف لهم بالقدرة المتحدية الزمن ، غير الهيابة ، وغير المتعاصفة عن امر جلال ، والمستهينة بكل بغي وظلم ، والناشوة كل عدل وحق ، والمستخفة بكل مشقة وتعب .

اذن الانسان ، ذلك الجبار القزم ، ذلك الذكي الغبي . سيدبقي

دائماً امشولة الدنيا ، وكتاب التاريخ .
فيخلد من بني الناس من شذ عن قاعدة الحياة العادية ، ويمقي
مجهولاً من اتبع ذلك « الروتين » العادي لسير الانسان في ركب
هذه الحياة .

وطرق الخلود كثيرة ، وانواعها ومسالكتها متباينة ، ومن
هذا ، قد يخلد التاريخ فاجراً سفيهاً ، عريداً ، وعدواً للقيم التي
يقدمها الانسان ، وتؤمن بها البشرية .

وقد يتنكر لعبقوري عظيم كرس نفسه ووقته للانتاج الخير
الغصب .

انه الانسان ذلك الذي يصنع التاريخ ، وافعاله تلك التي تكتب
كلماته ، واذا عرفنا ما في الانسان من متناقضات واهواء ، منها الخير
الرفيع ، ومنها المنحط الوضع .

واذا عرفنا ما في اعماله من غرائب وشواذ ، لأدركنا ما وصل
اليها عن الاجيال السالفة ، ولاكتشفنا ما يحيط بنا من امور
عجيبة قد يعجز عن حلها العقل الذي آمن به المعري ايماناً
مطلقاً .

ولكن ذلك السر الذي صنع التاريخ والانسان معاً ، سيبقى
الستار الذي يحجب عن الانسان المعرفة التامة ، فالسعادة القصوى .
والذي يلجمه عما يدعي به من التسلط ، والسيطرة ، والقدرة .

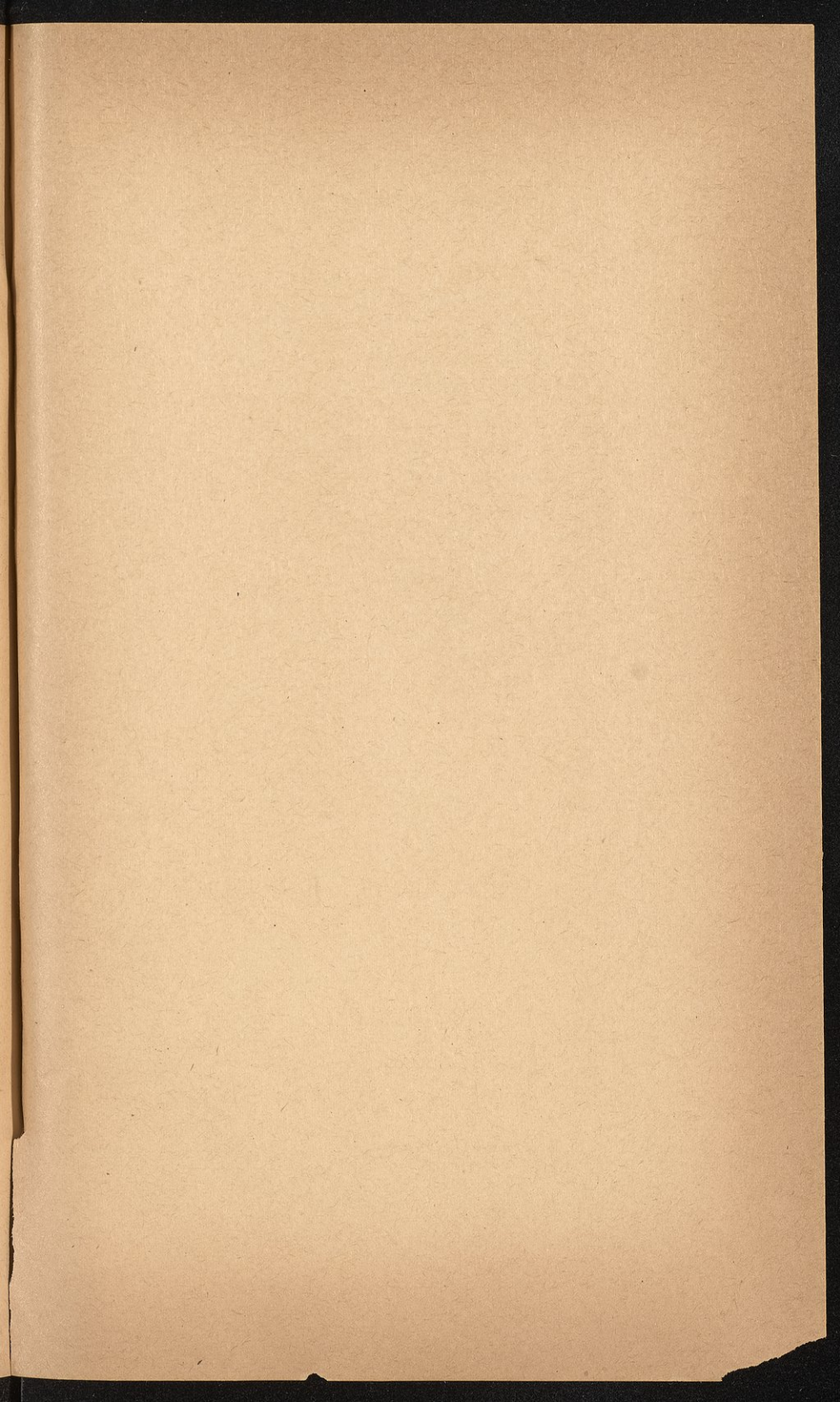
وسيبقى الانسان والحالة هذه ، اي انسان . سيبقى الحرف
الدائم السمي والعمل لاحتلال مكانه في عالم نجده اوسع من ان
تشغله عبقریات الرجال . وسيبقى الانسان وعالم الانسان ضعيفاً
بسيطاً امام تلك القدرة الجبارة العلمية .

ولكنه الخلود ، والشعور بالتفوق في هذه الدنيا ، انشودة

الرجال ، ومطلب النفوس ، ومسعى العقول ، والمهدف الذي
يجتهد الانسان في سبيله كل ما في كيانه من قوى .
فليكن الخلود والوصول الى مرتبة الخالدين في عالم الفكر
والفن والاختراع والوطنية ، غاية كل فرد ، فبذلك الابداع ،
وهذا التحفز ، تبقى امتنا متمسكة ظافرة في عالمها ، ونستمر ومشعل
التفوق ينير امامنا سبل الحق والخير .

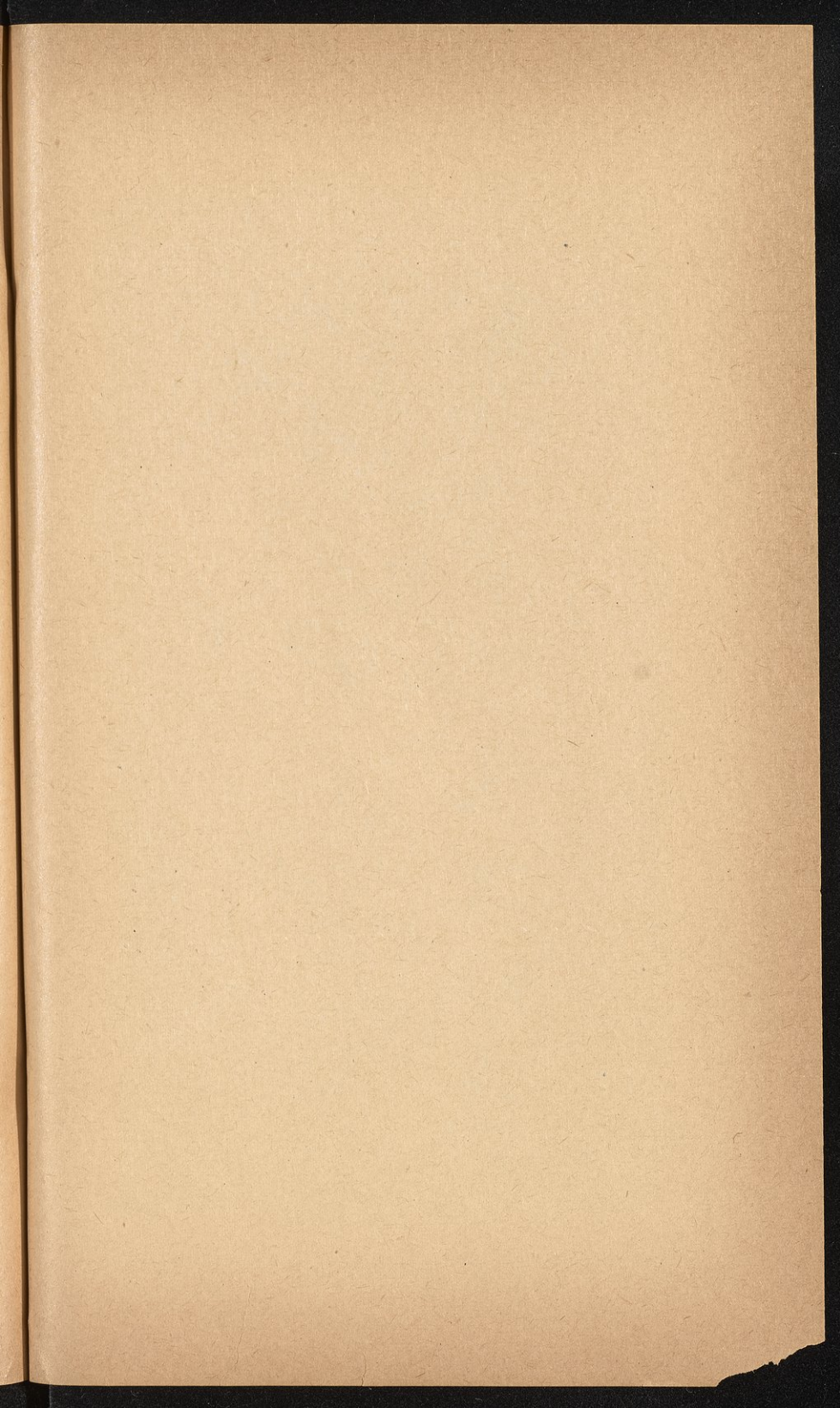
ولنا في عالم الفكر والابداع والعبقورية ، صفحات خالدة .
واذ انا ابعث بعض هذه الصفحات ادعو الى صفحات جديدة ،
بل الى كتب ضخمة في شتى حقول الفكر ، والعمل ... والتفوق .

نور الدين يوسف نور الدين





يا ساقبي أخمر في كؤوسكما	أم في كؤوسكما هم وتسفيد
اصخرة انا؟ مالي لا تحركي	هذي المدام ولا هذي الاغاريد
.....
ماذا لقيت من الدنيا واعجبه	اني بما انا منه شاك منه محسود



. . . هذا الرجل الذي لا يطربه الغناء . ولا تحركه الحمرة ونشوتها ،
هذا الرجل ، الذي تتخيل وكأن كأسه ليست سوى آنية مترعة بالهموم
والآلام ، هذا اليأس ، القانط ، المحطم ، الوحيد في حياة كلها حسد ،
ونمية ، وبغضاء .

وهذا المعنى الذي يحرك لواعج النفوس بأنشاده ، ويبعث الألم والفتنة
في القلوب بتوجهه وتألمه وشكواه ، هو نفسه القائل في مطلع شبابه
وفي زهوة صباه :

اي محل ارتقي اي عظيم اتقي
وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق
محتقر في همتي كشعرة في مفريقي

النفس الطامحة التي كانت في ذروة الكبرياء والعظمة ، والقلب الكبير ،
الذي ما خاف الاهوال ، وما خشي الليالي والايام ، والذي صور حياته
انشودة العظمة والرجولة ، هذه الرجولة نفسها قد نالت منها الايام .
وقد اضنتها مصائب الحياة وكوارثها .

ان المراحل التي سجلت فيها هذه المشاعر المتباينة ، من عظمة ومجد
واستصغار لكبار الامور ، الى الاحساس بهذا الواقع الأليم الحزين
الذي انتهى اليه امر صاحبه ، ثم هذه الوحدة المضنية ، مضت الايام
تصارع الرجل ويصارعها ، فينتصر على الاحداث حيناً ، وتنتصر هي
عليه احياناً .

في هذه المرحلة ، بل المراحل الطويلة سطرت الخطوط البارزة
لحياة وفن الشاعر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس .
من هو ذلك الرجل الذي شغل اناس عصره ، بل الاجيال التي

عقبت اولئك الناس من الذين يتكلمون هذه اللغة ، التي غنى بها الرجل
اناشيد البطولة والرجولة ، واهازيج القوة والعظمة ؟

ذلك الرجل هو ابو الطيب احمد ، المعروف بالمتنبي ، اما بقية كنيته
كما تذكر كتب الادب فهي ، احمد بن الحسين ، بن الحسن ، بن عبد
الصمد الجعفي ، الكندي ، الكوخي ، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ بمحلة
كانت تسمى كندة .

ولقد دار حول هذا النسب جدل طويل ، فمنهم من زعم ان
والده كان يعرفه القوم (بعبدان السقاء) ولكنني اشك في صحة هذا
النسب والأبوة ، ايكون ابن السقاء من يقول :

واني لمن قوم كأن نفوسهم بها انفان تسكن اللحم والعظما
انني سأعتمد امر نسبه ، اقواله واشعاره ، ثم الحوادث التي تعاقبت
على حياته والتي نال اثناؤها ما نال ، وفي اعتقادي ان نسبه جر عليه
الكثير من المشاكل ، منها امر بنوته مثلا ، وسوف نتحدث عن ذلك
في حينه .

وسأثبت هنا قوله عندما سأله علي بن الحسن التنوخي عن نسبه
فأجاب المتنبي : انا رجل احيط القبائل ، واطوي البوادي وحدي
ومتى انتسبت لم آمن ان يأخذني بعض العوب بطائلة بينها وبين
القبيلة التي انتسب اليها ... وما دفت غير متمسب الى احد فانا
اسلم على جميعهم ويخافون لساني .

لو كان المتنبي ينتسب الى احدي القبائل الكبيرة لقلنا انه على حق
في ذلك ، او لو انتسب الى رجل عظيم لقلنا ان الرجل معذور في
هذا ، اما ووالده سقاء فلماذا يخشى الانتساب اليه ؟ ، ثم لماذا يخشى
الانتساب الى قبيلة والده ولا يجزع في مدح اهل جدته ووالدها :

لو لم تكوني بنت اكرم والد اسكان اباك الفخم كونك لي اما
فكيف يخشى من الانتساب الى قبيلة ابيه ، ثم لا يهاب من
الانتساب الى قبيلة جدته وهي بنت اكرم والد .
ثم اليس هو القائل :

وبهم فخر كل من نطق الضا د وعوز الجاني وغوث الطريد

من هم هؤلاء الذين يفتخر بهم الشاعر ؟
الواقع ان ديوان الشاعر لا يؤكد النسب ولا يسجله . ولكنه
يتروكنا في حيرة ... فالمتنبى لم يمدح والده ولم يفخر به ، كما انه لم
يرثه ، ولم يحزن عليه حين موته .

لذلك حامت الشبهات حول نسبه ، سيما وقد رافقت حياته بعض
الامور التي تثبت ان المتنبى لم يكن ابناً لذلك السقاء . ولكنه
يستدل بما ورد في الحديث عن لسانه ، وفي بعض اشعاره ، ان
الرجل كان يكره الحديث حول نسبه ، واذا أكره على ذلك فضل
ان ينسب نفسه الى البأس والقوة ، والى السيف على ان ينتسب
الى ذلك الجعفي المعمر .

ترى ، هل كان الشاعر يخجل ان ينتسب الى ذلك الرجل ؟ اما
ترى هل كانت عائلة الشاعر تكره ان ينتسب هو اليها ؟

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي ...

انا ارى الافتراض الثاني ، فاذا اعتبرنا ما جر عليه نسبه من
النقمة والكره من بعض الفئات ، وخاصة العلويين ، تبين لنا ان
بين هذه النقمة وبين نسب الشاعر صلة قوية .

هل كان والد المتنبى علويًا ، وهل رافق هذا الامر بعض الشذوذ

والحوادث التي تبرر عدم الاعتراف به رسمياً . هذا ما اعتقده .
ودليلي في الاسباب التي ذكرتها ، والاسباب التي سأتي عليها ، وسأشير
اليها في حينه . ولنتعرف الآن الى طفولة الشاعر ونشأته .

كان المتنبي محباً للعلم ، ذكياً ، فطناً ، يهرع الى المكتاب فيقرأ
ويتمعن بما يقع تحت يده ، ويحفظه ، وقد روى عنه احدهم نادرة
توضح قوة حافظته وفطنته ، وهو انه استعرض من احد الدالين كتاباً
فيه اكثر من عشرين ورقة مخطوطة واطال تأمله فيها فبادره الدلال
قائلاً : اريد بيعه وقد قطعنتي عن ذلك ، فأنت كنت ترغب شراؤه
فبعجل بالثمن ، وان كنت تريد حفظه فهذا في شهر ، فقال له
ابو الطيب :

« فان كنت حفظته في هذه المدة فما لي عليك ؟ »

قال « اهب لك الكتاب » قال الوراق : فأخذته من يده ، فأقبل
يسرده علي الى آخره . . .

ان هذه النادرة عني ما فيها من مغالاة تبين فطنة الصبي وذكائه
واستعداد اليب لقبول العلم والمعرفة .

لقد حفظ أخبار العرب ، وأشعار الجاهلية ، ثم درس الشعراء المتقدمين
والمعاصرين ووفر لنفسه كنزاً و ذخيرة لا تنضب .

ولا بد لنا الا ان نشير الى عصر المتنبي ، ذلك العصر الذي كان
له مع المتنبي شأناً ، وكان له في شعر المتنبي اثرأ بارزاً .

أقد عمت الفوضى ، وتباينت الدعوات السياسية ، وملك الطمع
والجشع على الامراء والحكام كل تعقل ، وكل روية ، ففسد الحاكم والمحكوم ،
وبرزت الطبقة تهدد وتندر بالويل والثبور .

لم تكن الخلافة العباسية سوى رمزاً دينياً ، بينما استقل عنها الامراء

في الاصقاع البعيدة منها والقريبة ، ثم وقعت ثورة تركت آثاراً بارزة في حياة ذلك الجيل ، ألا وهي ثورة القرامطة . ومن المؤكد ان المتنبى قد تأثر بهذه الدعوة ، بل يمكنني ان اقول اكثر من ذلك ، اقول انه كان قرمطياً صرفاً عندما عاد من البادية ، ومن ان القرمطية ، يضاف اليها امر نسبة دفعت به الى التجول والترحال .

قلنا ان عصر المتنبى كان من العصور التي كثرت فيها الفوضى والشغب والطمع ، والطموح ، عصر جمحت فيه النفوس الى المراكز السامية ، وتناهدت فيه القلوب الى البغضاء والحسد والنميمة ، وتسخير جميع العوامل في سبيل الغايات والاهداف ، وخصائص ذلك العصر الملتهب ، انه عصر هانت فيه الوسائل مهما اختلفت انواعها ، وسهل ركوبها في سبيل الغاية .

وكان لا بد للرجل ، في ذلك العصر إلا ان يسلك احد الطريقتين ، اما ان يخضع ويستكين ، ويرى ولا يقدم ، واما ان يدلو بدلوه ، ويجرب حظه ، كما يقال ، عله يبلغ ما يتأجج في صدره من الاحلام والاماني .

من هذه الفئة الاخيرة كان شاعرنا المتنبى .

وقد يكون للشاعر العذر في هذا ، وهو الفقير المشتهي ، والذي لا يقدر له ان يبلغ في الحياة ما بلغه غيره من اهل الجاه والمال . ومن هم دونه فطنة وذكاء ومعرفة لهذا الهدف .

اذن ، لقد شعر المتنبى يفقد العدل والحق ، وانعدام المساواة والانصاف ، ولا بد له ان يسخط وينقم وهو الفتي صاحب النفس الحساسة ، ومن ذلك الحين - ويمكنني ان اقول ذلك - عرف المتنبى هدفه ، ووضع الخطط له .

كان يريد هناء الناس وسعادتهم ، ولكنه كان يريد قبل كل ذلك استغلال الظروف لمصلحته هو ، كان يريد مجد امته واجتماع كلمتها ، ومع كل هذا كان يبغى سعادة نفسه وعزها .

لقد كان الشاعر اول الامر ، اي في الفترات الاولى من حياته يندفع اندفاعاً صارخاً من اجل خير الجماعة ، وفي سبيل حياة فضلى ، ويجمع اصلح ، يعطف على المظلوم ، ويحاول مديد المساعدة للمحتاج والضعيف ، وكان لا بد له ان يشور على الاوضاع السياسية ، والاجتماعية ، ومن اجل كل هذا ، وفي سبيله ، فثار عليها وهاجمها بشدة ما بعدها شدة ، ونشير هنا الى ان المتنبي في تلك الحقبة من حياته لم يكن انانياً جشعاً ، ولكنه كان انساناً ينشد العدل لجميع الناس على اختلاف انواعهم ومتباين آرائهم ، ونؤكد هنا وجود الدعوة القرمطية في حياته ، التي اخذت الكثير من وقته وجهده وهو يبشر بها في الفيافي والبادي والقفار .

ويمر الزمن ... الزمن المعلم ، فاذا كل هذا لا يعوض عن نفس الشاعر شيئاً ، وهنا تبدو خصائص نفسيته بعد الفشل الذريع الذي نزل به في مستهل حياته ، وبعد ان تحطمت امانيه وآماله في احقاق العدل والانصاف ، وبعد ان تبخرت من رأسه اهواء الشباب وكرمه ، فاذا به بعد ان ابطلت الحياة وعرف الناس وبعد ان خابت دعوته ، وانجلت تلك الغمامة العاكرة من الاوهام ، اذا به يسيطر على نفسه الحقد الجامح والانانية المسرفة ، وبصورة اوضح ، لقد اضحى يجب نفسه ، بل يعشقها اذا كانت تعشق الانفس .

وعودة الى حياة الرجل .

عرضنا انه كان فقير الحال ، وكان في بلدته الكوفة دائم التبرم بأحزانه واحقاده وفقره ، وكان دائم الثورة على تلك الاوضاع ، كثير

العجب من هذه الحياة وما يرى وما يسمع ... والى جانب هذا
عظيم التقدير لعلمه وذكائه ...

لم الليالي التي اخنت على جدتي برقة الحلال واعذرني ولا تلم
ارى انساناً ومحصولي على غنم وذكر جود، ومحصولي على الكلم

ارأيت هذا التحرق ، وهذا الشعور ، ان هذا الشعور بالحاجة
والظلم اوصل المتنبى الى ما وصل اليه كما سنتبين .

بقي الفتي في الكوفة حتى سنة ٣١٧ ثم هجرها الى البادية وتنقل بين
قبائل كلب وغيرها وحفظ عنها قواعد الشعر واللغة ... ولم يطل به
الامر حتى عاد الى الكوفة يغرق ثانية في الشقاء والحقد ... ومن ثم
خرج الى بغداد عاصمة العلم والشهرة والمجد ، وعلى الارجح كان خروجه
حوالي سنة ٣١٩-٣٢٠ وفي بغداد شاهد المتنبى من الاحداث ما هز
نفسه هزاً ، وكيف كان الموالي من الديلم والأتراك والاعجام يخرجون
على الامراء والحلفاء ، وكيف اصبحت الخدم تتصرف بأمور الدولة
وشؤون السياسة ، فعفت نفسه الابية ، وكرامة الشباب ، ان يمدح أحداً
من هذه الجموع المتهافة الخفيفة .

وامتلاً صدره بالحقد الدفين وقد رأى امته وبلاده يسودها التنافر ،
وتحكمها جماعات من الخدم . وعقد العزم والرأي على ان يخرج الى
الارض يضرب فيها عله يصيب من وراء هذا الخروج ما يعتقد
وما يريد .

محيي قيامي ما لذتكم النصل بريئاً من الجر حتى ، سليماً من القتل
من هم محيي قيامته ، غير جدته ، وما هي قيامته ؟ ان ذلك يعني

ولا شك ثورته ، اذن لقد بدأ الفتي يفكر بالثورة ، بل بدأ يشور
وعقد العزم على انه يريد ان يدرك ثأراً وان يحقق امراً .
وخرج الفتي الى بغداد ، ثم مضى عنها بعد ان شاهد ما شاهد
الى ديار ربيعة ، ثم نصيين ، ورأس عين ، وحران ، ومبنج ، ثم دفعته
الايام الى دمشق سنة ٣٢١ هـ ثم بعلبك ، وطرابلس ، وحمص ، وحلب ،
واللاذقية ، وانطاكية .

اذن لقد سلك الفتي طريق الشعر ، واختار لنفسه هذه الحياة ،
وفي هذه المرحلة من حياته مدح اكثر الامراء والحكام الذين التقى
بهم في مستهل رحلاته وفي خطواته الاولى نحو حياة الكفاح والطموح ،
ولا بد لي من الاشارة الى ان الشاعر في تلك الاثناء كانت تظهر في
ثنايا مدائحه عقيدته القرمطية .

ومن جملة مدائحه قصيدته في بعض الكلابيين ومطلع القصيدة :

اذا ما شربت الخمر صرفاً مهناً شربنا الذي من قبله شرب الكرم
الا حبنا قوم زداما هم القنا يسقونها رياءً وساقينهم العزم
ومدح ايضا سعيد بن عبد الله الكلابي القيسي بقصيدة مطلعها :

احيا وايسر ما قاسيت ما قتلا والبين حار على ضعفي وما عدلا
ثم مدح ابو المنتصر شجاع الازري بهذه القصيدة والتي اوضحى
مطلعها انشودة تتلوها فئة كثيرة من الناس صادفهم في حياتهم ما
صادف صاحبها في حياته .

ارق على ارق ومثلي يارق وجوى يزيد وعبرة تترقرق

ومدح كثيرين غيرهم ، وفي تلك الايام التقى بسيف الدولة ،
هذا الذي قال فيه بعد سنوات قصائد خلدها الايام ورددها الاجيال

ومطلع هذه القصيدة التي قالها في مدحه :

ذكرُ الصبا ومرابع الأرام جلبت حمامي قبل وقت حمامي

اذن ، لقد التقى المتنبي في مستهل حياته بالامير الشاب سيف الدولة الحمداني ، واعجب به ومدحه ، ولم يكن هذا المدح كما اعتقد يهدف التكسب ولكنه كان نتيجة الاعجاب والتقدير والاحترام .

ونحن اذا تناولنا خصائص هذا الشعر في ذلك الوقت ، وفي ذلك السن المبكر ، والشباب الكريم للمسنا نحو الملكة الشعرية المسرع لدى المتنبي ، وان قصائده اذحت تتجه بسرعة فائقة نحو الكمال ، ونحن وان لمسنا في هذه القصائد خفة الصبا ، وشعور الشباب ، ثم بعض المآخذ ، لا بد لنا من ان نلمس ايضاً هذا الاتجاه نحو النضوج والكمال ان كان في اللفظ او في المعنى ، او في التفكير والشعور .

ولكن المتنبي لم يطل به المقام في ديار الشام وهي الديار التي كثر فيها الاضطراب وسادتها القلاقل والمنازعات بين سلطان مصر من جهة ، وسلطان العراق من جهة اخرى ، واخذت القبائل تفكر بالاستقلال عن هذين السلطانين معاً .

فرحل عن الشام الى ملك الاخشيدين يبغي هنالك الشهرة ويرجو الامن والاستقرار ولكن الامل الذي كان يراوده هناك لم يتحقق فعاد ادراجه نحو طرابلس حيث مدح عبيد الله بن خلكان بالسينية التي مطلعها :

دان بعيد محب مبغض بهج أغر حلو ممر لين ثمرس

ونحن نرى التكلفة الظاهر في هذا المدح ، ولكن المتنبي كان قد اشتهر فلذا قبل شعره قبولا حسناً .

وترك المتنبي طرابلس ثم اتجه الى ملك التتوخيين حيث مدح

رجلين منهم ، احدهما علي بن ابراهيم بن اسحاق التنوخي ببضع قصائد
جاء في مطلع احداها :

احق غاف بدمعك الهمم أحدث شيء عهداً بها القدم

ومدح ايضاً الحسين بن اسحاق التنوخي بقصائد اخرى ايضاً ،
مطلع احداها :

اتنكر يا بن اسحاق اخائي وتحسب ماء غيري من انائي

واننا نلمس ان امر الشاعر قد عرف ، وشأنه قد عظم من خلال
هذه القصيدة وغيرها من القصائد كما اننا نلمس هذه الروح الطامحة
وهذه الهمة العالية التي تبرز من خلال الفاظه ، وجمال التصوير ،
وعظمة المعنى :

أفكر في معاقره المنايا وقود الخيل مشرفة الهوادي

زعيم للقنا الخطى عزمي بسفك دم الحواضر والبوادي

الى كم ذالتخلف والتواني وكم هذا التماي في التماي

وشغل النفس عن طلب المعالي يبيع الشعر في سوق الكساد

وما ماضي الشباب بمسترد ولا يوم يمر بمستعاد

ماذا يريد الشاعر اذن ؟

انه يتهيأ ولا شك لأمر جليل ، فهذه القوة التي يدخرها ، والعزم
الذي يتغنى به ، اذن لقد نضج الشاعر ، واضحى خبيراً بالحياة والسياسة
والحكم والدهر ، واذا المتنبى الآن اوسع فكرة واعمق نظرة ،
فهو يريد تحقيق وحدة قومه وبلاده التي قطعت اوصالها مطامع الاعجام
والتوك والديلم .

ورجل المتنبي الى طهرية ، اوليست حياته رحلات متعددة
لا نهاية لها ؟

وفي طهرية نامس قوة الشاعر على الوصف ، وهذا وصفه لبحيرتها
يعطينا الدليل الواضح على تلك الخاصة والقدرة في التصوير .

والموج مثل الفحول مزبدة تهدر فيها وما بها قطم

والطير فوق الحباب تحسبها فرسان بلق تخونها للجم

كأنها والرياح تضربها جيشاوغى : هازم ومنهزم

ومر بهذه الفترة من حياة المتنبي وقد رأينا من انها تصور الشاعر
العادي وقوام شعره الرقي الفني ، ثم اتخذ هذا الشعر سبيلاً الى
الثروة والجاه ، ثم هدفة الى التفوق .

ولكننا نامس لوناً جديداً لم نشاهده عند غيره من الشعراء ، وهذا
اللون ، هو لون الثورة ، لون العاصفة التي تعصف في قلبه ، الثورة
الدائمة فهو السخط والتحفز والاشمئزاز :

وإلا تمت تحت السيوف مكرماً تمت وتقاس الذل غير مكرم

فتب واثقاً بالله وثبة ماجد

تري الموت في الهيمجاخني النحل في النهم

قلت نمر بهذه الفترة من حياته مشيرين الى هذه الخصائص التي
تميزت به حياته وشعره ، ثم اتصاله بيدر بن عمار وهذا الرجل كان
عربياً خالص النسب فاذا بالمتنبي يجد من ينشد فيه اصالة النسب
والشهامه والمرؤة ، فيقبل عليه راضياً عاشقاً مادحاً مخلصاً :

واذا مدحت فلا لتكسب رفعة للشاكرين على الاله ثناء

واذا مطرت فلا لانك مجذب يستقى الحصيب وتمطر الدماء

ولك الزمان من الزمان وقاية ولك الحمام في الحمام فداء
لولم تكن من ذا الوري أذمنك هو عقت بولد نسلها حواء

انا لا انكر ان المتنبى اسرف كل الاسراف في هذا المدح ، ولكن
هذا يميز المتنبى باندفاعه الى غرضه اندفاعاً عنيفاً . . . وهذه بعض
خصائص شعره فيما بعد .

ونحن هنا ازاء الحدث الخطير الذي هدد طموح الشاعر ووجه حياته
نحو هذا الاق الجديده ، فهو الذي كان يعتقد انه سيصلح نظم الاجتماع
وسيجر هذه الامة من الدخلاء عليها وعلى حكمها ، والاستبداد
بها ، فاذا به يغلب على امره ، واذا به امام الامر الواقع . وهو انه قد
كتب عليه ان يكون شاعراً .

فبعد تلك المرحلة الخطرة من حياته هزمت في نفسه صورة المتنبى
الطامح ، المستقل ، لتحل محلها صورة المتنبى الطامح ، ولكن المنقيد الى ظل
رجل عظيم ، او امير خطير ، هذه المرحلة القاسية هي مرحلة الدعوة للنبوة .
فالنبوة في حياته كانت من ابرز الحوادث واهمها واكثرها اهتماماً
واعنفها حقبة في تاريخ تلك الحياة الحافلة .

وقد اختلف المؤرخون والرواة في امر هذه النبوة اختلافاً واضحاً
وتباينت عندهم الآراء ، وتشعبت لديهم ، وقبل ان نستخلص الرأي
الذي نعتقده صواباً سنشير الى بعض النواحي التي تسهل لنا امر فهم
هذه التهمة الموجهة اليه ان كانت تهمة ام مجرد آراء حيكت حوله
للنيل منه ، ودسائس كثرت كي تصيب منه امراً .

لا يمكننا ان ننكر اول الامر تلك النزعة الى المجد ، وحب
العظمة ، وتأصل عشق التفوق في نفس المتنبى ، هذه العوامل والخصائص
التي ساهم فيها واقع العصر الذي عاش فيه الشاعر . ثم اساليب

الثقافة القرمطية التي شب عليها الفتى ، وانصراف الناس الى تتبع الدعوات ،
وايمانهم بالحوارق ، والدليل على ذلك سهولة قياد الجماهير الجاحمة في ثورة
القرامطة ، ثم انتشار المعتقدات المختلفة ، فلذا وقد شاهد المتنبى وهو
الطامح الطامع ، كل هذا فهل سولت له نفسه ، وهل ذهب به طموحه
الى ان يدعي النبوة ؟ ويفوق اهل عصره والطامحين جميعاً من الذين
يدعون الامامة ، وينشدون الخلافة وسنورد هنا هذه الرواية حول
النبوة المزعومة .

حدث معاذ اللاذقي قال :

« قدم ابو الطيب اللاذقية في سنة نيف وعشرين وثلاثمائة وهو لا
عذار له ، وله وفرة الى شحمتي اذنيه ، فأكرمه وعظّمته لما رأيت
من فصاحته وحسن سمته فلما تمكن الانس بيني وبينه وخلوت معه
في المنزل اغتناماً لمشاهدته واقتباساً من ادبه قلت :

— والله انك لشاب خطير ، تصلح لمنادمة ملك كبير .

فقال : ويحك ! اتدري ما تقول ؟ انا نبي مرسل .

فظننت انه يهزل ، ثم تذكرت اني لم اسمع منه كلمة هزل منذ
عرفته فقلت له : ما تقول ؟ فقال : انا نبي مرسل ، فقلت الى من
مرسل ؟ فقال : الى هذه الامة الضالة المضلة ، قلت : تفعل ماذا ؟
قال : املاً الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً ، قلت : بماذا ؟ قال : بأدراك
الارزاق والثواب العاجل لمن اطاع واتى ، وضرب الرقاب لمن عصى
وأبى ، فقلت له : ان هذا امر عظيم اخاف عليك منه ، وعدلته
على ذلك فقال بديهة :

أبا عبد الاله معاذ اني خفي عنك في الهيجامقامي

ذكرت جسم مطلي واني اخاطر فيه بالمهج الجسام

امثلي تأخذ النكبات منه ويجزع من ملاقات الحمام ؟
ولو برز الزمان الي شخصاً لخصب شعر مفرقه حسامي
وما بلغت مشيئتها الليالي ولا سادت وفي يدها زمامي
اذا امتلات عيون الخيل مني فويل في التيقظ والمنام
الخ من هذه الرواية من الاسئلة والاجوبة حول موضوع النبوة .
ولممتني ايضاً في هذه المرحلة شعراً فيه كل الفخر بنفسه ، بل
كل التمجيد لشخصه :

اي محل ارتقي اي عظيم اتقي
وكل ما خلق الله وما لم يخلق
محقر في همتي كشعرة في مفرقي

ويرى بعضهم ومنهم الاستاذ محمود محمد شاكر ان اعداء المتني
هم الذين لفقوا له هذه التهمة ، وهم الذين اظهروه بهذا المظهر فكيف
يقال « ان دعوة المتني عمت كل مدينة في الشام ، وبويع له فيها ،
كيف يكون هذا ؟ والشام اذ ذاك منزل من منازل ائمة الدين
والعلم ، وكان اكثر اهلها لا يتخلفون عن صلاة ولا يزال بين ظهرانيهم
عالم يقرأ في مجلسه ، او واعظ يعظ في حلقة ، او خطيب يخطب
من منبره ، ثم لا يؤمنون بدعوى لا تريدها معجزة بيانية ، ولا
خارقة كونية ، وان زعمنا ان اللاذقي قد آمن بالمتني لصدحة المطر ،
افتؤمن كل مدن الشام ، وتبايعه هذه الضلالة او هذه الكذوبة التي
لا تعقل ، ولكن اللاذقي رجلاً لا عقل له ، افيكون اهل الشام
كلهم هذا الرجل ؟ .

ويستبعد الاستاذ شاكر ان يكون المتنبى قد ادعى النبوة ،
وانما اخصام الرجل يتهمونه بما هو منه براء .
اما قرآنه فهو ليس بقرآن ، وانما هو « ضرب من الهذيان » ثم
يقول : والعجب ان يباع له اللاذقي ولا يحفظ من قرآنه شيئاً .
ثم ينسب امر هذه النبوة الى نسبه وما رافقه من الغموض والشك ،
واخيراً يرى ان سجن المتنبى لم يكن من اجل النبوة المزعومة ،
بل انما كان من اجل تصريحه بنسبه ، هذا النسب الذي قد يرجع الى
العلويين ، وان هؤلاء قد حرضوا عليه النفوس ، واوغروا عليه
الصدور ، وجعلوا من مسألة النبوة غطاءً يستترون به حقيقة ما قام
من اجله ابو الطيب فقبض عليه ، وان الرجل قد ادعى العلوية ،
فأقحمت عليه مشكلة النبوة ليجعل دعواه في علويته كذباً وبهتاناً
اما الدكتور طه حسين فيقول في هذا الصدد :

« وانا لا اتردد في رفض ما يروى من انه ادعى النبوة ، وحدث
المعجزات او زعم احداثها ، وضلل فويقاً من خاصة الناس وعامتهم ،
فبباعوه واتبعوه كما لا اتردد في رفض هذا السخف الذي ينبئنا بأن
المتنبى زعم ان قرآناً انزل عليه ، وبأن بعض الناس قد حفظ القرآن ،
فقد قيل مثل هذا عن ابي العلاء ايضاً وروى بعضهم قرآنه الموهوم ،
وما ينبغي ان نجهد ان الرأي العام في اوساط الشام وحمص خاصة
كان خصماً لأبي الطيب حين سجن ، وان أبا الطيب بعد خروجه
من السجن لا يكاد يستقر في مكان ، حتى يثير حول نفسه الحسد والبغض
والوان الخصومات ... فهو قد غاضب الناس جميعاً ، والب الدولة
الاسلامية كلها على نفسه ، فأى غرابة في ان يكبر من امره ما
صغر ويعظم من شأنه ما هان . »
اذن فالدكتور طه حسين يرفض الاعتراف فيما يتعلق بالنبوة .

كما ان المعري يشك شكاً ظاهراً في صحة هذه التهمة ، وان هذه الحالة التي رسمت حول نبوته لم تتكاثر الا من سخف الاحاديث الشعبية التي اثبتت حول سجن ابي الطيب .

وسلّبت هنا ونحن في معرض الحديث عن نبوة المتنبّي من ان الرجل كان لا يزال في مطلع شبابه قوياً ، تضطرم في نفسه الآمال الكبار ، كثير الحُصوم الذين لا تمر به حادثة دونها يستغلونها للنيل منه ، وبما انه كان حاد المزاج ، في تصرفه ، فلذا كان لا بد له وقد تعدد اعدائه ، منهم الامير الخطير ، ومنهم الحاكم الظالم ، ومنهم الصعلوك المهمل الغافل الذكر ، كان لا بد له من ان تجيش نفسه شعراً ينفث به الحمم التي تعلي في صدره ، يلعن ويشتم ويفتخر ويشمخ ، واذا نحن اطلعنا على تلك الحمم في هذه المرحلة الدقيقة من حياته لتبين لنا انه حرض الناس عليه ثم البهم ضده :

كم قتيل كما قتلت شهيد ببياض الطلي وورد الحدود
يترشفن من في رشفات هن فيه احلى من التوحيد

ارأيت هنا كيف يسخر من جلو التوحيد ؟
ثم يتابع قائلاً :

مامقامي بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود

ارأيت هذا التشبيه ، انه يشبه نفسه بالمسيح ثم يأتي بعدها ليشبه نفسه بصالح ، اما المسلمون فينعتهم بأشنع النعوت ، ويسخر منهم مدعياً انهم كاليهود ، ثم ستراه كيف يلين ويشتم ويعنف ويعلمن خروجه على القانون والعرف والنظام ، ويبعث تلك الحمم الفاظاً ملتتهبة ثم يضرب عرض الحائط ببعض المعتقدات ساحماً لقرمطيته ان تسيطر

وتسرح وتفرح دوئنا رادع او وازع .

عش عزيزاً أومت وأنت كريم

بين طعن القنا وخفق البنود

فروؤوس الرماح اذهب للغيظ

واشفي لغل صدر الحقود

فلننظر الى نظرتة الى الحياة ، وآماله البعيدة :

لا كما قد حيمت غير حميد

واذا مت مت غير فقيد

فاطلب العزفي لظي وذر الذل

ولو كان في جنان الخلود

يقتل العاجز الجبان وقد يوجز

عن قطع بحقق المولود

لا بقومي شرفت بل سرفواي

وبنفسى فخرت لا بمجدودي

وبهم فخر كل من نطق الضاد

وعوز الجاني وغوث الطريد

ان اكون معجباً فعجب عجيب

لم يجد فوق نفسه من مزيد

انا رب الندى ورب القوافي

وسمام العدى وغيظ الحسود

انا في امة تداركها الله

غريب كصالح في ثمود

تأمل هذه الابيات العنيفة ، وهذه الثورة الجارحة وهذه النفس المحمومة ، ثم هذا الشموخ ، وتلك الكبرياء والتعالي ، اتعجب اذن اذا رأيت الحاكم يسعى للقبض عليه ودفعه الى غياهب السجن بعد هذا الخروج على النظام وشتمه المسلمين ، والادعاء والفخر والشموخ .

ليس من حاجة الى ان يدعي المتنبى النبوة كي يغضب عليه الناس ومنهم الحاكم ، كلا ، ان حمه تلك وثورته جعلت منه خارجاً على القانون متمرداً على النظم ، وقيل انه خرج الى بادية السماوة ، وهي

من الامكنة الآهله باناس تشربت روح الاسماعيليه ، يتلو على الاعراب
كلاماً منمقاً ادعى انه قرآن أنزل عليه ، فتبعه بعض القوم من بني
كلب و كلاب و عيس ، وكاد يحدث احداثاً جساماً لولا ان خرج
اليه لؤلؤ امير حمص من قبل الأخشيديين فقاتله و فرق اصحابه و اتباعه
واعتقله ولقى به في غياهب السجن .

ونحن ايضاً لا نعتقد ولا نقر القول القائل بأن المتنبى كان قد
ادعى النبوة ، ولا بد ايضاً من ان نشير الى ان الاستاذ فوآد
افرام البستاني يرى ان المتنبى قد ادعى النبوة .

اما نحن فنعتقد ان هذا النعت اطلق عليه لانه كان دائم الادعاء
و الوعد و الوعيد كما كان الانبياء يكثرون من الوعد و الوعيد .

وهذا ايضاً ما يجعلنا نزيد من ان المتنبى لم يكن ابن ذلك السقاء
وان كان ابن ذلك السقاء فلا بد ان يكون ذلك السقاء منتسباً الى
العلويين ولكنه لوضاعة امره اهمل شأنه و اسقط من سجل العائلة .
وعندما صرح المتنبى بهذه الحقيقة او استعمل هذا النسب من اجل
مطامحه قامت قائمة العلويين ، واستعملوا جميع الوسائل للأيقاع به ،
ومن هذه الوسائل امر النبوة .

ثم ما دمنا نعتقد ان المتنبى كان ذكياً فكيف سولت له نفسه
ان يطلق عليه لقب النبوة وهو يعرف ان الاسلام لا يعترف ولا
يقر بعد الرسول نبيا ، ومنهم الاعراب خاصة . اصف إلى ذلك
انني اعتقد ان خصوم المتنبى واعدائه وما كان اكثرهم هم الذين
اتهموه بهذا ، ثم شعره وطموحه واستهانتة بالامور وتعديه على المعتقدات
وسخريته منها ، ومن المصدقين بها كل هذه العرامل يضاف اليها امر
نسبه و اسماعيليته دفعت به الى السجن ، ذلك السجن الذي عرف

المتنبي ثائراً جامعاً فاذا به يتناول الرجل الذي قيده واسلمه الى الجند بقوله:
 زعم المقيمُ بكَوتكينُ بانه من آل هاشم بن عبد مناف
 فاجبته مُذخِرت من ابناهم صارت قميودهم من الصفصاف
 أهون بطول الثواءِ والتلفِ والسجنِ والقيدِ يا ابا دؤف

الا ان السجن وما صادف المتنبي فيه من المتاعب والمرارة، وشعوره
 بكبت حرّيته ، ثم عدم الاطمئنان الى هذه الحالة التي وصل اليها ،
 كل هذه العوامل يضاف اليها امر خوفه من المستقبل والاهمال ،
 جعلت لهذا الطموح. وتلك النفس الثائرة الجشعة الى ارتقاء سلم المجد، لجاماً
 تكبح به جموحها واجبرته ان يهدأ ويستكين ثم يفكر ويتهيأ لاستقبال
 امره بأناة وتمهل .

وتأتي تباشير الفرج بتولي اسحاق ابن كيلغ ولاية حمص ،
 فيرسل اليه المتنبي مادحاً مستعظفاً طالباً العفو عنه :

بيدي ايها الاميرُ الاريبُ لا اشيء الا لاني غريبُ
 ان اكن قبل ان رأيتك اخطأ ت فاني على يديك اتوبُ
 عائب عابني لديك ومنه مُخلقت في ذوي العيوب العيوبُ

اترى هذا الاستعطف ؟ وهذا الذل والخضوع ؟ فأين النبوة وعظمة
 حاملها من النزول الى هذا الدرك من الاستهانة والاستعطف ؟

وقيل ان الامير عفى عنه بعد ان ارسل اليه قصيدة اخرى يرجو
 فيها عطفه وسماحه ، وسنرى بعد هذا ان المتنبي عاش بقية عمره في
 وحدة وغربة ، يتوسل ويستعطف ، وانا اعذر اذا قلت ان تلك القمة
 الشاهقة في الشعر العربي من تصوير الرجولة وتمجيدها ، واطناب الشهامة

والمروءة ، والصدق والعظمة لم تكن تنطبق على حياة المتنبي ، ولم تكن لتمثل فيه ، بل سيبقى المتنبي بقية عمره ذلك التابع الطماع او يصح فيه وينطبق عليه هذا البيت في شعره ؟

اذ ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

اذن لقد عاد الشاعر الى الترحال بعد خروجه من السجن ، ورافق هذه الحقبة من حياته تحرقه الى الاستقرار بعدما نالت منه الايام والحياة ما نالت وشقي بأحلامه ما شقي .

واخذ المستقبل يتراءى له غامضاً باهتاً ، فكانت هذه الاحوال التي مرت بها حياته من الاحوال التي صقلت شعره ، وانضجت قوله وفكره ، ودفعت به خطوات واسعة نحو الكمال الفني ، وعلمته ايضاً تذوق الالم والصبر على الحرمان والمصائب ، وخلاصة القول ، لقد ساعدت في تهيئته الى احتلال مركزه في عالم الشعر والنبوغ .

قلت ان المتنبي خرج من سجنه ، وقد رافق هذا الخروج الحاجة المادية الى ابسط مطالب الحياة ، والمتنبي كرجل خبر البعض من الوان الحياة . وعرف خيرها وشرها علمته التجربة كيف يكظم غيظه وكيف يصبر على مكروه الم به . وعلمه الحذر والاحتياط كيف لا يسرف في تصريف اموره كما اصرف من قبل .

لقد كان اختباره للزمن والناس ذلك الزمن فيه الكثير من الفائدة له ، وفيه الكثير من الزبدة لنا اذ تحفنا بتلك الثروة الشعرية التي يشكو فيها نوائب الزمن ، ومصائب الايام ، ومرارة الوحدة ، وسخط الناس ولؤمهم .

ويسير الشاعر في طريق الحياة مثقلاً بالهموم والاحزان فيلتقي بأسد في طريقه ، فاذا بالشاعر يشكوه همه ، ويبين له وحدته وخوفه

من الحياة .

أَجَارُكَ يَا أَسَدَ الْفِرَادِيسِ مُكْرَمٌ

فَتَسْكُنُ نَفْسِي أَمْ مُهَانَ فَمُسْلِمٌ

وَرَائِي وَقَدَامِي مُعْدَاةٌ كَثِيرَةٌ

أَحَاذِرُ مِنْ لَصٍّ وَمِنْكَ وَمِنْهُمْ

ارأيت لقد اضحى المتنبي يخاف اللصوص ، لقد نزل من علياء شموخه وكبريائه ، انه ليس باكثر من شاعر وحيد يدخر شعره لعيشه وكسبه .

فهل لك في حلفي علي ما اريدُه

فاني باسباب المعيشة اعلم

ماذا يريد المتنبي ، ترى ألا زالت تلك الافكار والاماني تأخذ قسطاً من تفكيره وجهده ؟ من يدري ؟ ولكن لنرى ما يريد .

إِذْنِ لَاتَاكَ الرِّزْقُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ

وَإِثْرِيَتْ مِمَّا تَقْنَمِينَ وَاعْنَمِ

هذا الذي يريده الشاعر . الثراء والغنى والغنيمة ، سيصل الشاعر الى كل هذا ، فلنقطع معه بقية الطريق .

سار الى حلب ، ولم تطل به الاقامة هناك ، وحلب موضع نزاع واضطراب ، ولقد كان المتنبي احوج الناس الى الراحة والسكينة بعدما

مر به ما مر .

واتجه بعدها الى انطاكية ، ويلتقي هناك بالمغيث بن علي العجلي فيقول
فيه قصيدة مطلعها :

دمع جرى فقضى في الربع ما وجبا

لا هله وشفى أنى ولا كرباً

اترى ان المتنبي ، يتحدث عن الدمع والكرب ؟ ومع هذه
المووعة والغيظ والحقد الذي ظهر واضحاً في هذه القصيدة ، نلمس
من ناحية اخرى ان الشاعر كان يمدح ونفسه مشبعة بالملل والنأم .
الم نقل انه يريد ان يعيش !

وخاصة اخرى امتازت بها هذه القصائد ، فالشاعر كان يحتفظ
لنفسه بالنصف الاول من القصيدة ، يبث شجونيه ، ويشكو زمانه
ويحمل على الناس ، ثم يعود الى ممدوحه بعد ان يكون قد اشبع
نفسه من الشكاء والتوجع والفخر . واخيراً لقد بلغ الشاعر منزلة
شاعرية ممتازة فلقد استوثق من صناعته ، وذلك الألفاظ لغاياته وتعرف
بالمعاني يرسلها حكماً ، وامثالاً ، يصور فيها الدهر ونوائبه .

ومن انطاكية يجتاز الرجل جبال لبنان في طريقه الى بدر بن
عمار في طبرية فيمدحه في عدة قصائد اوها القصيدة التي مطلعها :

أمن أزد يادك في الدجى الرقباء

اذ حيث انت من الظلام ضياء

ولكن اقامته عند بدر لم تطل ، فلقد سعى به الساعون عند بدر
فلم يجد بداً من ان ينصرف ويرحل ، ويعود المتنبي من جديد الى
حياة التشرد ، انما هذه المرة كان قد عرف امره واشهر شعره .

واضحى من فطاحل شعراء عصره ومن تقدمه .

وسنشير هنا الى فن من فنون الشعر لم يكن المتنبي من فطاحله
الا وهو النغني بالخمرة ، فالمتنبي لم يكن كالنواصي نديماً يحسن المنادمة
فلقد كان يكره مجالس الشراب ، ويعتقد انه تذهب من مكانة الرجل ،
وكان دائم المجيء للخمرة ماقناً لها ، حاملاً عليها ، وان شربها ، شربها كارهاً
مجبوراً ، لذا لم يكن يصح فيه ان يكون نديماً مجالساً ، فلننظر
ماذا يرى في الخمرة :

وجدت المدامة غلابة تهيج للقلب اشواقه
تسى من المرء تاديبه وليكن تحسن اخلاقه
وانفس مالفتي لبسه وذو اللب يكره انفاقه
وقدمت امسي بها موتة ولا يشتهي الموت من ذاقه

لقد ترك المتنبي بديراً في طريقه الى المجهول ، وفكر بصديق له يعرف
بأبي الحسن بن علي بن احمد الخراساني حيث مدحه بقصيدته المشهورة :

لا افتخار إلا لمن يضام

مدرك او محارب لا ينام

ليس عزماً ما مرض المرء فيه

ليس همماً ما عاق عنه الظلام

واحتال الاذى ورؤية جانيه

ه غداء تضى به الاجسام

ارأيت لقد نطق الرجل بالحكمة ، انها الحياة وتجاربها تنطقه
انها الاحداث التي مرت به تملي عليه :

ذل من يغبط الذليل بعيش رُب عيش اخف منه الحماُم
كل حلم اتى بغير اقتدار حجة لاجيء ، اليها اللئام

من يهن يسهل الهون عليه ما لجرح يميت ايلام
اني اترك لك ان تتلمس ما في هذه الابيات من العبر والجمال .

ويبقى المتنبي رفيق التشرذم حتى سنة ثلاثماية وثلاثين ، وعندئذ

تتغير الاحوال السياسية نوعاً ما في ديار الشام ، ويظهر الاخشيديين
لاسترجاع تلك الديار ، فيبرز المتنبي عندئذ متقرباً الى امرائهم ،

وتتميز اكثر قصائده بنغمة الحزن والتذمر من الزمن ومصائبه .

وفي تلك المرحلة حصلت معارك بسيطة بين الدولة الحمدانية الناشئة

وبين الاخشيديين ، وكان في استقرار تلك الدولة في شمالي الشام ،

قد حث المتنبي على ان ينتهز الفرصة ، سيما وعظمة هذه الدولة الفتية

توافق هوى نفسه ومطلب رجولته ، فمضى المتنبي من حكم

الاخشيديين في طريقه الى الحمدانيين فيمر بطرابلس ثم يمضي الى

انطاكية حيث ابو العشائر ابن عم سيف الدولة امير حلب ، وقائد جيوشها .

خف المتنبي من دمشق الى انطاكية حيث مدح ابا العشائر بعد

انتصاره على احد اعدائه بهذه القصيدة التي مطلعها :

مبيتي من دمشق على فراش حشاه لي بحر حشاي حاش

يقودهم الى الهيجا لجوج يسين قتاله والكر ناشي

الى ان يقول :

فسرت اليك في طلب المعالي وسار سواي في طلب المعاش

ما هي المعالي التي يريدها المتنبي ، انه ولا شك ينبغي الوصول الى سيف الدولة ، ولم يطل به الامر للوصول اليه بعد ان اشتهر امره ، وبعد ان اوضحت تلك القصائد التي تروم بها ، والتي مدح بها صاحبه نسيب سيف الدولة تزيد شهرة وقوة ، وان تصقل شعره وقد وجد البيئة الادبية العربية التي تفهم شعره وتقدره وتعرف مكانته في عالم الشعر والادب

مدح المتنبي ابا العشائر بقصائد عديدة منها القصيدة التي مطلعها :

أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقه في المآقي

ثم القصيدة التي مطلعها :

لا تحسبوا ربكم ولا طلله اول حي فراقكم قتله

ثم :

مالي لا أمدح الحسين ولا ابذلُم الودُ مثل ما بذله

أأخفت العين عنده اثرأ ام بلغ الكيذبان ما أمله

عند سيف الدولة

في سنة ٣٣٧ كان سيف الدولة الحمداني قد استولى على اكثر ديار الشام ، ووقف حصناً منيعاً ضد غارات الروم واطماعهم في بلاد كثرت فيها الدسائس ، وتفشت فيها الاطماع ، ولقد كان هذا الامير من اشد معاصريه مراساً ، واكثرهم قوة واندفاعاً ، واكثرهم دهاء ، واوسعهم حيلة ، واشدهم حباً للعرب ودينهم ، ثم كان الى جانب هذا الرجل العنيد الصبور ، العظيم الهمة . الساعي للمجد ، ثم حبه للادب ، يقوم على خدمته فكان ديوانه يجمع اهل الظرف والثقافة والشعر

والادب في عصره ، زد على ذلك انه هو نفسه كان شاعراً حلو
اللسان ، خفيف الروح .

كان سيف الدولة يبغى في ضم اطراف البلاد اليه والى حكمه ، ولكن
ذوي المطامع من جهة ، والروم من جهة اخرى قوضت هذه الفكرة
العظيمة ، ووضعوا في طريقه الكثير من المصاعب والعراقيل .

فليس من العجب ان ينشده المتنبي ، وهو الذي تجسست فيه
افكار شبابه ، واحلام قوته ، وما دام هو لا يستطيع ان يكون
رجلاً عظيماً مستقلاً ، فلا بأس لو كان شاعراً عظيماً تحت جناح
رجل عظيم مستقل ، وليكسر عبقريته وفنه وشهرته لهذا المجد المشترك
ولتلك العبقرية الفذة ، والرجولة الشاححة .

لقد كان المتنبي مدركاً لسياسة عصره ، عارفاً بخفاياها ، فلذا ادرك
ما يعترض طريق سيف الدولة من العقبات ، من اجل هذا نجح في
الامتحان ان صح القول عندما التقى به سيف الدولة في انطاكية
اثناء زيارته لأبن عمه ابا العشائر ، وكان هذا الاخير قد قدم المتنبي اليه ،
واثنى على منزلته في عالم الشعر والادب ، ويقال ان المتنبي اشتوط
شروطاً عندما ينشد الشعر بين يدي سيف الدولة ، ولكنني لا اعتقد
ذلك ولا اقره ، فما كان سيف الدولة بحاجة الى ان ينشده المتنبي وقد
ركع الى الارض ، وما كان المتنبي يفكر بهذا وقد التقى بسيف
الدولة الامل الذي يراود نفسه منذ امد بعيد .

ونحن نعلم كما تقدم ان هذا اللقاء لم يكن اول لقاء بينهما ، فلقد
التقى المتنبي بسيف الدولة سنة ٢٢١ هـ ومدحه وقدر اعماله ورجولته .
اذن لقد قدم ابو العشائر المتنبي الى سيف الدولة ، ووصف له ما
وجد فيه من الشهامة والمروءة ، ومحبة للعرب وكرهه للأعاجم ،
وحلاوة شعره ، وطلاوة ادبه ، ولم يطل الامر فاذا بشعر المتنبي ثبت

هذا فلقد قال المتنبى آنذاك قصيدته الشهيرة :

سلكتُ صُروف الدهر حتى لقيته

على ظهر عزم مؤيدات قوائمه

مهالك لم تصحب بها الذئب نفسه

ولا حملت فيها الغراب قوادمه

فأبصرت بدرأ لا يرى البدر مثله

وخاطبت بجرأ لا يرى العبر عائمه

غضبت له لما رأيت صفاته

بلا واصف والشعر تهذي طماطمه

اذن والحالة هذه سيصبح المتنبى شاعر الامير الحمداني الخاص ، بعد ان فقد الشعراء الذين لم تتوفر لهم المقدرة على ادراك صفات الامير وتمجيد اعماله ، وتخليد هذه الصفات وتصوير بطولات جيشه العنيد الجبار الفاتح :

له عسكرياً خيل وطير اذا رمى

بها عسكرياً لم يبق إلا جماجمه

اجلتها - من كل طاغ - ثيابه

وموطئها - من كل باغ - ملائمته

سحاب من العقبان يزحف تحتها

سحاب - اذا استسقت سقطتها صوارمه

لقد سل سيف الدولة المجد معلماً

فلا المجد مخيفه ، ولا القرب ثلمه °

وبقي سيف الدولة بأنطاكية مدة شهر من الزمن ، وبقي المتنبّي الى جواره ، يتحفه بشعره ، ويحدثه في امور الدولة ، وسياسة البلاد ، فقربه الامير منه بعد ان اعجب به وبسعة اطلاعه ، وعندما رحل سيف الدولة الى عاصمة ملكه كان قد اتفق مع الشاعر على ان يتبعه اليها . وهكذا لم تسجل ساعة الزمن الكثير من الوقت حتى كان المتنبّي قد اقبل على حلب . واعتذر للأمير عن عدم المسير في ركابه بهذه القصيدة التي مطلعها :

نحن من ضايق الزمان له فيك وخائنه قربك الايام

المتنبّي في حلب - عاصمة ملك سيف الدولة ، والحركة الدائمة بين عواصم العالم الاسلامي في ذلك الوقت ، هذه النهاية التي طامنا اراد الوصول اليها بعد ان وقفت الايام حائلاً دون ان يكون له هو عاصمة وبلاط ، وشعراء .

واجتمعت على ابي الطيب في اوائل حياته في حلب عوامل عديدة ساهمت في دفع شعره خطوات جريئة نحو الكمال الفني ، والغناء المجيد .

فالى جانب فرحه وسروره بتحقيق امله من لقاء هذا الامير الجليل المقدام الذي تتجاوب افكاره السياسية والقومية مع افكاره وسياسته ، كانت الايام تزیده خبرة وتجربة ، وتمعن في أيلامه واحزان قلبه ، فلقد فقد امرأته ، ثم ولده ، وجددت له هذه الحوادث والهزات ما بقلبه من مصائب الزمن وآلامه فكان تنازع الفرح والحزن ، القلق

والاستقرار، الخوف والاقدام ، في تلك النفس المرهفة الشاعرة
الحساسة ، كل هذه العوامل وما رافقها كونت الاسباب في استخراج
كوا من نفسه ، وخلاصة فنه ، وروعة انتاجه .

وعبقرية المتنبي تبلورت وصقلت بما هاجت به نفسه من العواطف
وما ملك عقله من الافكار . ثم تأمل ما تجدد في قلبه من المعاني
التي بعثتها تلك الاتراح والافراح .

ثم عاد الى ضميره والى خفايا نفسه يستوعب ما بها من الاحداث
القديمة التي تركت وشماً بارزاً فيها ، والى جانب كل هذا كان يعيش
امله بمستقبل فيه العزاء عما مضى ، المستقبل فيه القوة ، وفيه العنف
وفيه المجد ، فيه الى جانب كل هذا الثراء والغنى والجاه والاستقرار .
وكأنما الايام التي ما امهلته في حياته قط ، لن تمهله الآن ابداً ،
ولكنها اشغلته بنوع من العمل جديد على حياته ، ولطالما كان
هو يتعشقه ويعمل من اجله ، وكأنما مجالس العلم والادب والشعر
المتجددة لدى سيف الدولة وبلاطه ، وذلك الرقيب الدائم على شعره
وانتاجه اهابت به الى ان يحسن القول ، ويجدد المعنى ، ويبتكر
ابتكاراً لم يعرفه لا قبل ، ولا بعد .

وأصل هنا الى حقيقة ثابتة لا بد منها وقد يعارضني فيها من
يعارض ، ولكنني اعتقد تمام الاعتقاد ان شاعرية المتنبي لم تبلغ هذا
التفوق الا عندما اتصل بصاحبه سيف الدولة ، وعندما عاش في هذه
البيئة السورية الدائمة الحركة ، العنيفة المسعى التي لا تهدأ ولا تستقر
الا لتفتش عن نوع آخر من الطموح والاندفاع حتى تستكمل نموها
وتحقق ما في جوهرها من التفوق .

وكان المتنبي والحالة هذه في اضطرار بحكم منزلته كشاعر الامير ان
يدرك هذا الواقع وان ينظر الى الحياة نظرة المتدبر ، ويقلب الرأي ،

ويعبر الفكرة ، ويقيس الاشياء ، ثم يردها الى اصولها ، ثم ينتزع جوهر المعاني انتزاعاً حتى يكون جديراً بهذه البيئة الكريمة العنيفة الثائرة التي لا تهدأ ابداً .

ومقابلة بين شعر المتنبي في ديار الشام - سورية - وفي مصر فيما بعد ، نجد الفرق الشاسع ، فبينما هو في الاولى يمثل العنف والشموخ والجودة ، والدموية ان صح هذا التعبير ، والابداع ايضاً ، نشاهده في الثانية ، يمثل الهدوء والنعومة والجفاف الذي يفقده في شعره السالف ، ولا اثر لتلك الثورات العنيفة الصارمة فيه .

والمتنبي في ذلك مصور ، يصور البيئة السورية تصويراً صادقاً ، تلك البيئة التي قدمنا البعض من اوصافها ، تلك البيئة التي لا تكل ولا تمل ، بل تعمل وتجاهد وتكافح ، وتثبت وجودها ، لتحقق عظمة كيانها ، وتلعب دورها المجيد في التاريخ ، ذلك الدور الذي اقتضته وقائع ذلك العصر ان تكون سورية الحصن الوحيد امام هجمات الروم .

وبينما كانت بغداد والفسطاط وغيرها من المدن الاسلامية الدائرة في فلك العباسيين والفاطميين والعلويين ، منها من يلهو ، ومنها من يكيد ، ومنها من يتعامل مع الروم .

كانت ديار الشام صامدة دون غيرها لجحافل الروم وبخيوهم ، تصدهم وهي ثابتة صامدة راسخة .

اما البيئة المصرية ، والبيئة البغدادية ، ثم الفارسية بعدها كانت هادئة مستقرة بحيث انه لم يكن فيها ما يلهم الشعر ولا ما يثير العاطفة ولا ما يستهوي القلوب ، ولذلك قل شعر المتنبي السياسي ، وتصويره للحياة والغزو والجيوش في هذه البيئة او البيئات الثلاث لأنه لم يكن فيها اندفاعاً ، ولم تكن فيها الجيوش التي تحارب وتقارع

بل كان في الاولى الاستقرار ، وكان في الثانية اللهو والعبث ، وكان في الثالثة المكر والدهاء والكيد ، وهذه الامور كان المتنبى يكرها اشد الكره ولا يرى فيها ضرباً واحداً من ضروب الرجولة ، فلذا اقتصر مدحه على الاشخاص كما سنرى .

سوف لا نطيل الحديث عن حياة المتنبى عند سيف الدولة ، لأننا سندرج الكثير من شعره في المنتخبات التي سنتبعها هذه الدراسة ، ولكن لا بد لنا من ان نقول :

ان شعر المتنبى في حلب بلغ غاية الروعة ، وبلغ غاية العظمة ، وان تلك الحياة الحافلة قد استهوته ، ثم سنروي احدى الروايات عن مجلس سيف الدولة في حلب والشعراء والادباء الذين كان يجمعهم ذلك المجلس ، والذين كانوا يوغرون صدر الامير على شاعره دائماً بما ادى الى غضب الامير على الشاعر ، ثم رحيل الشاعر عن اميره وقائده هذا الى جانب الحوادث العديدة التي كانت له معهم ومعه ، والتي كانت تجرح كبريائه ، وتنقص عليه عيشه .

قيل ، قال ابو فراس الحمداني لسيف الدولة - وابو فراس كان شاعراً وكان قائداً ثم قريب سيف الدولة وسنرى موقفه من المتنبى ، ثم سنرى كيف كان المتنبى مضطراً بحكم بيئته ان ينشد الكمال في شعره ، قال له : ان هذا المتشدد « يعنى المتنبى » كثير الأدلال عليك وانت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ويمكن ان تفرق مئتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره ، فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام ، وكأنا اقتنع بما قدم ابو فراس وعمل بما اشار عليه ، وكان المتنبى غائباً فبلغته القصة ، ولما حضر ، دخل على سيف الدولة وانشده ابياتاً ، فأطرق سيف الدولة ولم ينظر اليه كعادته وحضر ابو فراس وجماعة من الشعراء فبالغوا في

الوقية وانقطع ابو الطيب بعد ذلك ونظم القصيدة التي اولها :
واحر قلباه ممن قلبه شيم ومن بجالي وجسمي عنده عدم
ثم جاء ديوان سيف الدولة وانشدها حتى اذ وصل الى :

مالي اكرم حبا قد برى جسدي وتدعى حب سيف الدولة الامم
تجاوز الى القول :

قد زرتة وسيوف الهند مغمدة وقد نظرت اليه والسيوف دم
عندئذ همت جماعة بقتله في حضرة الامير لشدة ادلاله واعراض
الامير عنه وعندما بلغ في انشاده قوله :

يا اعدل الناس الا في معاملتي

فيك الخصام وانت الخصم والحكم

قال له ابو فراس : « لقد مسخت قول دعبل »

ولست ارجو انتصافاً منك ما ذرفت

عيني دموعاً وانت الخصم والحكم

فتابع المتنبي :

اعينها نظراتٍ منك صادقة

ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

فأدرك ابو فراس انه يعنيه فقال : « من انت يا دعي كندة ،
حتى تأخذ اعراض الامير في مجلسه » ولكن المتنبي استمر في انشاده
ولم يرد عليه الى ان قال :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأنني خير من تسعى به قدم

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي واسمعت كلماتي من به صمم
فراذ ذلك ابا فراس غيظاً وقال محتداً : « قد سرقت هذا من
عمرو بن عروة ابن العبد حيث يقول :

اوضحت من طرق الاداب ما اشتكلت

دهراً واظهرت اغراباً وابداعاً

حتى فتحت باعجاز خصصت به

للعى والضم ابصاراً واسماعاً

ولما انتهى المتنبي الى قوله

الحيل والليلن والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فقال ابو فراس : « وماذا ابقيت للامير ، اذا وصفت نفسك بكل
هذا ؟ تمدح الامير بما سرقته من كلام غيرك ، وتأخذ جوائز الامير !
اما سرقت هذا من الهيثم بن الاسود النخعي الكوفي المعروف بأبن
العرين العثماني :

انا ابن الفلا والطنن والضرب والسرى

وجرد المذاكي والقنا والقواضب

فقال المتنبي متابعاً .

وما انتفاع اخي الدنيا بناظره اذا استوت عنده الانوار والظلم

فقال ابو فراس « وهذا سرقته من قول معقل البجلي »

اذالم امز بين نور وظلمة بعيني فالعينان زور وباطل

ومثله قول محمد بن احمد مرة المكي :

اذا المرء لم يدرك بعينيه ما يرى فما الفرق بين العمي والبصراء

وضجر سيف الدولة من كثرة المناقشة في هذه القصيدة ، وكثرة دعاويه فيها ، فضربه بالدواة التي بين يديه فقال المتنبي على الفور :

ان كان سر كم ما قال حاسدنا فما لجرح ، اذا ارضاكم ، الم

فقال ابو فراس : « وهذا اخذته من قول بشار .

اذا رضيتم بأن منجني وسر كم قول الوشاة فلا شكوى ولا ضجر

ومثله قول ابن الرومي :

اذا ما الفجائع اكسبتني رضاك فما الدهر بالفاجع

فلم يلتفت سيف الدولة الى ما قاله ابو فراس ، واعجبه بيت المتنبي ورضي عنه في الحال وادناه اليه ، وقبل رأسه ، واجازه بألف دينار ثم اردفها بألف اخرى .

ان هذه المناقشة الطريفة الجريئة تبين لنا اعتداد المتنبي ، وفخره من جهة ، ثم ثقافة البيعة التي كان المتنبي يعيش فيها ، وحسد الشعراء ورجال الادب منه من جهة اخرى .

وقبل ان تنتقل الى كيفية خروج المتنبي من عاصمة سيف الدولة في طريقه الى عاصمة كافور ، واغلب الظن ان هذا كان بناء على اتفاق سابق مع رسل كافور لأن المتنبي بعد هذه الحوادث التي تكاثرت عليه ، والتي نالت من كبريائه ففكر بالرحيل ولذا رحب برسل كافور اليه ولم يكن خروجه عبثاً .

قلت : قبل ان ابين كيفية خروج المتنبي من لدى سيف الدولة سألمح الى ناحية هامة ، تفرعت بسببها الآراء ، وتشعبت فيها الظنون

وهي ، هل احب المتنبى شقيقة سيف الدولة ؟
 اني اخالف الكثيرين من الذين يقولون بأن المتنبى لم يحب شقيقة
 سيف الدولة ، و ارد على هذا السؤال : بنعم .

فقمة ابو فراس عليه ليست من اجل منافسة شعرية فحسب ،
 ثم ارسال ابو العشائر غلمانه لأغتيال المتنبى ، ان لذلك اعتبارات خاصة
 فلا بد انها عرفا نوايا الشاعر نحو نسيبتها ، ثم عندما عرف المتنبى
 خبر الاغتيال ومن وراه قال معاتباً صاحب الفكرة :

ومنتسب عندي الى من أحبه^١ وللنبل حولي من يديه حفيف^٢
 الى ان يقول :

فان كان ينبغي قتلها يك^٣ قاتلاً^٤ بكفيمه فالقتل الشريف شريف

ماذا اذنب المتنبى بحق الصديق القديم ، حتى يستحق القتل الشريف ؟
 انا اعتقد ان تطاوله على حرم الامير هو الذنب العظيم ، بل تفكيره
 في ذلك من الذنوب التي لا تعترف ، لذا ارادوا اغتياله .

ولنعد الى شعر المتنبى ، لنعد الى رثائه للأخت الصغرى لسيف
 الدولة ، ثم رثائه لفقد الأخت الكبرى التي كان المتنبى ولا شك يحبها
 ويحترمها ، فلنسمع قوله في صدد رثاء الصغرى وقد ماتت قبل
 الكبرى .

ولكن قبل ان نصل الى هذا سنشير الى انقطاع المتنبى عن سيف
 الدولة البعض من الوقت ثم عودته اليه وقوله :

ولكن حمى الشعر الا القليب^٥ ل^٦ هم^٧ حمى النوم^٨ إلا غرارا
 وما انا اسقمت^٩ جسمي^{١٠} به^{١١} ولا انا اضرمت في القلب نارا

فلا تلزمني ذنوب الزمان الي اساء واياي ضارا
وهذا الهم الذي يلزم القلب ويمرض الجسم ، ولا يقدر الانسان له
رداً ان هو إلا الحب .

ثم سنبت هنا هذه المقطوعة الحلوة ، هذه الاغنية الجميلة :

لعينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي وللحب ما لم يبق مني وما بقي
واحلى الهوى ما شك في الوصل ربه

وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي

سقى الله ايام الصبا ما يسرها

ويفعل فعل الباطلي المعتق

اذا ما لبست الدهر مستمعاً به تخرقت والملبوس لم يتخرق

لعيني من ما يلقي الفؤاد ؟ لعيني خولة ولا شك
ولنعد الى موضوع الرثاء .

يقول في رثاء الاخت الصغرى :

ماذا قست ما اخذن بما غا درن سرى عن الفؤاد وسلى .

اذن فخولة افضل من شقيقتها . لماذا ؟ لانه يحبها .

ثم رثائه خولة نفسها حين وفاتها بعد خروجها من حلب .

يا اخت خير اخ يا بنت خير اب كناية بهما عن اشرف النسب

اجل قدرك ان تسمى مؤبنة ومن يصفك فقد سماك للعرب

الى ان يقول :

طوى الجزومة حتى جاءني خبر^ه فزعت^ه به بأما لي الى الكذب

حتى ذا لم يدع لي صدقه املاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

لماذا يبكي الشاعر؟ انه الحب والجوى . وسأثبت البعض من هذه القصيدة ولك انت ان تفسر وان تستخلص منها ما تشاء ، اما انا فقد قر رأبي انه كان يحبها ، فعاطفته الواضحة هي عاطفة محب ، ولوعته لوعة عاشق اضناه الهوى ، ونال منه الغرام وليست مجاملة فقط :

كأن خولة لم تملأ مواكبها ديار بكر ولم تخلع ولم تهب

ولم ترد حياة بعد تولية ولم تفت داعياً بالويل والحرب

ارى العراق طويل الليل مذ نعيت

فكيف ليل فتي الفتيان في حلب

يظن أن فوادي غير ملتهب وان دمع جنوني غير منسكب

بلى وحرمة من كانت مراعية لحرمة المجد والقصاد والادب

ومن مضت غير موروث خلائقها

وان مضت يدها موروثة النشب

وهما في العلى والمجد ناشئة وهم اترابها في اللهو واللعب

* * * * * * * * * * * * * *

ولا رأيت عيون الانس تدر كها

فهل حسدت عليها أعين الشهب؟

وترك المتنبى حلب بعد ان احتال على اميرها من انه ذاهب الى
احدى ضيعه القريية ، ولكنه لم يكذب بعد عن حلب حتى اوغل في
البعث في طريقه الى مصر ، ولخروجه من حلب قصة ايضاً
قيل انه جرت مناظرة لغوية بينه وبين ابن خالويه النحوي ، في
مجلس سيف الدولة فأدى بها الحديث والجدل الى النفور فالغضب ،
فلم يكن من ابن خالويه الا ان وثب على المتنبى وكان في يده
مفتاح ، فضرب به وجه المتنبى فشجه ، ولم يجد المتنبى من سيف الدولة
انتصاراً له ، ولا دفاعاً عن كرامته فغضب وقرر الرحيل عن حلب
واحتال بأمر الراحة والاستجمام ثم ارتحل بعيداً نحو دمشق ومنها
الى مصر حيث نزل على كافور حاكم مصر آنذاك ، ويفارق سيف
الدولة ولسانه يقول :

لا تطلبن كريماً بعد رؤيته
ولا تبالي بشعرٍ بعد شاعره
ان الكرام بأسخامهم يداً ختموا
قد أفسد القول حتى أحمد الصمم



في ارض النيل

وصل المتنبى مصر سنة ست واربعين وثلاثماية بعد ان فارق حلب بأشهر ، ولكن فراقه حلب لم يذهب ذكرى اميرها ، بل سيرافقه هذا الامير طوال عمره ، لانه لم يمر به مروراً عابراً ، بل لقي لديه ما لم يلقه عند غيره من الامراء فانتعش مادياً ومعنوياً واديباً ، ولم يقدر ان ينسى ديار الشام ، تلك الديار التي دفعت بشعره مراحل نحو الكمال والخلود ، تلك الديار العنيدة الجبارة الصارمة ، التي بقيت لها الآثار الخالدة دائماً وابدأ في شعره وفي عاطفته .

واتى المتنبى مصر وتوكلها ، وكأنه لم يدخلها ابدأ ، فلم يكن للبيئة المصرية في شعره سوى القدر اليسير ، انما كان شعره قد قسم بينه وبين ممدوحه فاذا القسم الاول للفخر والكبرياء ، والقسم الثاني للطموح والمدح والاستعطاف .

وكأننا اهداف المتنبى وامانيه التي اعتقد انه قد نسيها اثناء اقامته في حلب في الوصول الى السلطة والحكم والاستقلال تعود اليه وكأننا ذلك الظل الواسع الذي كان المتنبى ينعم في افيائه في ديار الشام لم يجده على ضفاف النيل ولم يجد ايضاً ما يشغل نفسه عن الاحداث ، فاذا بفكرة الاستقلال تعاوده هذه المرة ملحة عنيفة وحياة المتنبى في مصر ، وشعره في حاكمها ، كل هذا يهدف فيه الى الامر الذي طالما حلم به الشاعر ، وطالما عاش من اجله ، انه يريد الاستقلال ، ويرغب في السلطة ، وسيسخر من جديد لسانه وقلبه وعاطفته اذا احوج الامر ، والكبرياء التي حرص عليها ، سيسخر كل شيء في

سبيل السلطة .

قلت ان المتنبى ترك ديار الشام ، وانتقل الى بلاد النيل ، ولكن عاطفته وقلبه لا زال الحنين والشوق يتغلب عليها الى تلك الديار ، التي اشبعت نهم ذلك القلب الى حياة كلها الحركة ، وكلها التطاحن وكلها الحياة والقوة والعزم ، واقتحام المعارك بين خفق البنود ، ورنين السيوف ، فلذا بقيت عاطفته نحو الشام ظاهرة في شعره ، وسنتبين بعد مرحلة قصيرة من وجوده في مصر عاطفة اخرى وخاصة هامة سبغت شعره ، تلك التي لم تكن سوى الظل الواضح من الحزن والحسرة والفيجعة ، ثم هذا النوع من الغناء الحزين ، ثم التهمك من حكام مصر ومهاجمة اهلها وخضوعهم وخنوعهم .

هل كان في جملة الشروط كي يشخص المتنبى الى كافور ، ان يمنحه هذا الاخير ولاية يتصرف بها كيف شاء . انا اعتقد هذا ، ورب قائل ما هي فائدة شخوص المتنبى الى كافور . وماذا يجني كافور من شخوص المتنبى اليه حتى يعده بولاية ؟ على هذا نجيب ، من ان الشاعر في ذلك الوقت كان يقوم مقام وسائل الدعاية اليوم ممن صحافة واذاعة وكتابة وخطابة ، فلذا كان لا بد لكافور ان يستغل هذه الصحيفة التي انتشر صيتها ، وذاعت بلاغتها في اكثر الاقطار بل في الاقطار الاسلامية بأسرها ، ونحن نرى اليوم كيف ان الجريدة المنتشرة القوية يتهافت عليه المعلنون والسياسيون ، انها المصالح والمنافع المتبادلة والمشاركة .

ولنعد الى اوائل ايامه في مصر ، ولنرى كيف يمدح الحاكم الذي اتى يطلب في ظلاله السلطان والمجد ، والذي ترك من اجل هذا السلطان عشيره وصديقه واتجه اليه ، وسوف لا نطيل الحديث عن شعره في معرض هذه الدراسة لاننا سنفرد لها مكاناً في منتخباته .

قال يمدح كافوراً بهذه القصيدة التي مطلعها :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكن أمانيا
تمنيها لما تمنيت أن ترى صديقاً فأعيا ، أو عدواً مداحيا
ولاحظ معني هذا التطلع الى سيف الدولة وذكره .

فراق ومن فارقت غير مذمم وأمُّ ومن يممت خير ميمم
اذن فهو لا يذم سيف الدولة ، ولكنه يعجب من هذا الفراق
الذي كتب عليه ، وكأنما المتنبى قد ادرك انه لن يبلغ لدى
حاكم مصر ما يريد :

اغالب فيك الشوق والشوق اغلب

واعجب من ذا الهجر والوصل اعجب

ولكنه مع كل هذا يريد ان يتملق كافوراً حتى يصل الى
هدفه .

قواصد كافورٍ تواركٍ غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا
انه لا يريد ان يتملق كافوراً فحسب بل يريد ايضاً ان يداعب
ريفيظ سيف الدولة ، ويعود المتنبى الى حاجته .

قد تهب الجيش الذي جاء غازياً لسائلك الفرد الذي جاء عافيا
وكانما كافور قد اطال عليه وعوده فلم يجد المتنبى مفرأً من التصريح
وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب
وما انا بالباغى عن الحب رشوةً ضعيف هوى يُبغى عليه ثواب

وما شئت الا ان ادل عواذلي علي ان رأيي في هواك صواب
الى ان يقول :

اذا نلت منك الود فالمال هين وكل الذي فوق التراب تراب
وما كنت لولا انت إلا مهاجراً له كل يوم بلدة وصحاب
ولكن الأسود يماطله ولا يستجيب له .

ابالمسك هل في الكأس فضل اناله

فاني اغني منذ حين وتشرب

ويعرض بحاجته الى ان يقول :

وكل امري يولي الجميل محب وكل مكان ينبت العز طيب

وفي هذا البيت ، نلمس المتنبي بشخصيته التي تتعشق ذاتها ،
فهي المسرورة حيث تجد الجميل ، وراضية حيث تجد العز والمجد .
وفي هذه الاثناء يتعرف المتنبي بأحد الامراء الشجعان ، والقواد
المغاوير ألا وهو فاتك الاسدي ، فيمدحه بعد ان يكون قد نفذ يده
من كافور ، وانما تعمد ذلك كي يثير غيظ كافور .

ومدح المتنبي فاتكاً بعدة قصائد قال في مطلع احداها :

فلا ينحل في المجد ما لك كله فينحل محمد كان بالمال عقده

ثم قصيدته الثانية :

لا خيل عندك تهديها ولا مال فاي سعد النطق ان لم يسعد الحلال

ولا بد ايضاً من ان نشير الى ان استقبال كافور للمتنبي كان حافلاً ،
ولم يبخل عليه بشيء مما يحتاج من وسائل الرفاهية والنعيم ... الا ان المتنبي

لم يكن يريد هذا فحسب .

وفي مصر برزت حكمة الشاعر وفلسفته فهو الى كونه يصور المه ،
وخوفه واغترابه ، ثم هذا اليأس الذي اطبق على نفسه ، اذا به
يصدح في رياض الحكمة والنبوغ والمعرفة ، والتفلسف على هذه
الحياة ومن فيها التي لم يحدد منها سوى الفشل واليأس ، وفلسفة المتنبئ
في هذه المرحلة متشائمة ، قلت فلسفة ان صح ان نقول عن حكمه
وتجاربه وآرائه وفلسفته ، ان فلسفته حياتية خاصة .

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم من شأنه ما عانا
وتولوا بغصة كلهم من ه وان سر بعضهم احيانا
ربما تحسن الصنيع لياليه ولكن تكدر الاحسانا
وكانا لم يرض فينا بريب الد هر حتى اعانه من اعانا
لكما انبت الزمان قنائة ركب المرء في القنائة سنانا
ومراد النفوس اصغر من ان تتعادي فيه وان تتفاني

اذن ما دام الدهر لم ينصفه في مصر ، وما دام اضحى في شبه
سجن ، وما دام صاحبه كافور قد اخل بالشروط التي تعهد بها فليرحل
عنها ، ورحل عنها حقاً الا انه ترك لهذا الرحيل ضجة ما بعدها ضجة -
سندكر قصيدته في المنتخبات - .

ولكن الى اين سيرحل ، بل الى اين سيهرب من هذه الاسوار التي
احاطها بها كافور هل سيعود الى سوريا ، وهل الذي تركها على ما تركها ،
وفي الشكل الذي لم يكن سيف الدولة راضياً عنه ، واستطاع المتنبئ ان
يفلت من اسوار كافور الى الصحراء الواسعة ولم تقلح البعثات التي

ارسلها كافور للقبض عليه ، لانه أوغل في الصحراء في طريقه الى العراق .

ودخل بغداد بعد الكوفة ، فأقام فيها سبعة اشهر او ثمانية الا انه لم يقل في هذه المرحلة شعراً ، وهو الذي لم ينجو من لسانه سلطان وامراء بغداد عندما كان في حلب ، او في مصر ، فكيف يمدحهم الآن ؟ هل يمدح من شتمهم البارحة ؟ كلا . لم يفعل . بل فضل الصمت والسكون .

وقد يكون المتنبى قد فكر بالعودة الى حلب الا انه فكر بالعودة الى مسقط رأسه الى الكوفة ، يستقبل فيها امره بالتفكير والروية ، وعاد الى الكوفة حقاً ، وفي هذه الاثناء وردته هدية سيف الدولة فشكره باللامية المشهورة ثم نعوا اليه اخت سيف الدولة ، فرثاها بتلك القصيدة التي اتينا على ذكرها فيما سلف ، وفي هذه الاثناء يغير القرامطة على الكوفة فيقاتلهم المتنبى ، ويتناولهم بأقذع الالفاظ ، فيهبجو داعياً بدويّاً من دعائم ضبة بن يزيد الكلابي :

ما انصف القوم ضبة وأمه الطرطبة

وهي اقذع ما قال المتنبى في الهجاء .

اذن لقد تنكر لمذهبه القرمطي ، ولقد تنكر لأشياء وعقائد ، كانت لها مكانة وشأناً في حياته ذات يوم .

وفي هذه الاثناء يصله كتابان في وقت واحد ، احدهما من سيف الدولة يطلب منه الحضور اليه ، والثاني من ابن العميد يستزيه في ارجان ، فأرسل الى سيف الدولة يقول :

فهمت الكتاب ابر الكتب فسمعاً لامر امير العرب

اما جوابه ابن العميد فكان رحيه اليه .

ويصل المتني ارجان في شهر صفر سنة اربع وخمسين وثلاثمائة
وهناك يلقاه ابن العميد احسن لقاءً ، ويمنحه الهدايا والهبات ، ثم ظفر
من هناك بالأتصال بعضد الدولة بعد ان مدح ابن العميد بعدة قصائد
قال في مطلع اولها :

بادِ هواك صبرتْ او لم تصبرا

وبكاك ان لم يجر دُمُك او جرى

وعند ارتحاله الى ديار عضد الدولة في شيراز ودع ابن العميد
بهذه القصيدة :

نسيت وما انسى عتاباً على الصد ولا خفر^ه زادت به حمرة الخد

وفي شيراز رحب عضد الدولة بالمتني خير ترحيب وابقاه عنده
اشهر ثلاث مدحه فيها المتني فأكثر المدح واجاد ، مدحه بست
قصائد وارجوزة ومقطوعة ، يقول في احدى القصائد :

أوه بديل^ه من قولتي واهَا كمن نأت^ه والبديل ذكرها

ثم في مطلع غيرها ، وهي قصيدة مشهورة لما فيها من الصور
الحية ، والحنان الى بلاده .

مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان

ثم في اللامية :

أثلث فانا ايها الطلل^ه نبكي وترزُم تحتنا الابل

اما مطلع المقطوعة :

قد صدق الورد في الذي زعما انك حيرت نثره ديمًا

ثم الارجوزة :

ما اجدرَ الايام والليالي بان تقول ما له وما لي

وترك المتنبى عضد الدولة ، مثقلاً بالهدايا والعطايا ، وانتهى الى واسط في شهر رمضان من سنة اربع وخمسين وثلاثمائة ، ونزل على صديق له يدعى ابن نصر محمد الجبلي ثم تركه بعد ان نصحه هذا الاخير بأن يسير معه حراسا في خدمته ، الا ان المتنبى رفض وعندما وصل في طريقه الى بغداد ، وبالقرب من دير العاقول ، تلقاه فاتك بن ابي جهل الاسدي واصحابه من الاعراب ، فكان بينه وبينهم اشد القتال ثم تكثر فاتك برجاله فقتلوه وقتلوا صحبه ، واخذوا ما كان معه من المال والمتاع .

وتروى حول هذه المعركة قصة ، من ان المتنبى حاول الهرب الا ان غلامه قال له : « لا يتحدث الناس عنك بالفرار وانت القائل الخيل ، والليل ، والبيداء تعرفني والسيف والرمح ، والقرطاس والقلم فقال المتنبى : « قتلني ، قتلك الله ! » وحمل على الاعداء فقتل ، وقتل ابنه محمد وغلامه مفلح .

ومن المؤكد ان فاتك قد انتقم لأبن اخته ، ثم انتقم لعقيدته اذ من المرجح انه كان من القرامطة المتعصبين .

لقد عاش المتنبى حياة حافلة ، ومات ميتة حافلة ايضا وليكن شعره احدث دويماً عظيماً في عصره ، وما اعقبه من عصور .

والمتنبى شاعر جريء في فرض شعره ، شامخ في روعته ذلك الشعر الحياتي وقد يكون قد جرى الاقدمين في بعض الفنون الشعرية ، انما قد يفنى مع الزمن بعض آثار اربك الاقدمين . ولكن شعر المتنبى سيبقى خالداً لانه يلائم كل مكان ، وكل زمان وقد يفنى ايضا ما ضعف من شعره وهو الدير الا ان قصائده وامثاله وحكمه ستبقى انشودة الرجال في العصور المقبلة .

مختارات من شعرة

المرح

مدح سيف الدولة وتمنّته بعيد الاضحى

قال يمدح سيف الدولة ويمنّته بعيد الاضحى سنة ٣٤٢ هـ .
(١٧ نيسان ٩٥٤) وانشده اياها في اميدانه بجلب ، وهما على
فرسيهما :

لكل امريء ، من دهره ، ما تعودا !

وعادت سيف الدولة الطعن في العدى ،

وان يكذب الارجاف عنه بضده !

ويدي ، بما تنوي اعاديه ، اسعدا . (١)

وربّ مُريدٍ ضره ، ضر نفسه ،

وهاد اليه الجيش اهدى ، وما هدى .

ومستكبر لم يعرف الله ساعة ،

رأى سيفه في كفه ، فتشهدا . (٢)

(١) الارجاف : الاكثار من الاخبار الكاذبة .

(٢) تشهد : نطق الشهادة

هو البحر! غص فيه ، اذا كان ساكناً ،

على الدر ، واحذره ، اذا كان مزبدا ،

فاني رأيت البحر يعثر بالفتى ،

وهذا الذي يأتي الفتى ، متعمدا .

تظل ملوكُ الارض خاشعة له :

تقارقه هلكى ، وتلقاه سُجّدا

وُتحي له المال الصوارمُ والقنا ،

ويقتل ما تحي التبسم والجددا (١)

ذكي، تَظَنِّيهِ طليعة عينه : يرى قلبه ، في يومه ، ما ترى ، غدا

وَصَوْلٌ إِلَى الْمُسْتَصْعَبَاتِ بِخَيْلِهِ ، فلو كان قرنُ الشمسِ ماء لا وردا

لذلك سَمِّيَ ابْنُ الدُّمُسْتَقِ يَوْمَهُ مَمَاتًا ، وسماه الدُمستقُ مولدا (٢)

سريتَ الى جيجانَ ، من ارض آمد

ثلاثًا ، لقد ادناكَ ركضَ وابعدا . (٣)

فولى ، واعطاك ابنه وجيوشه جميعًا . ولم يُعْطِ الْجَمِيعَ لِيُحْمَدَا

عرضتَ له دون الحياة وطرفه ، وابصر سيف الله ، منك ، مجردا

(١) الجدا : المنح

(٢) الدُمستق لقب قائد جيش الروم

(٣) جيجان : نهر بأسية الصغرى . آمد

وما طلبت رزقُ الاسنة غيره ولكن قسطنطين كان له الفدى ،
فاصبح يجتاب المسوح مخافةً ،

وقد كان يجتابُ الدِلاصَ المرّداً (١)

ويمشي به العُكَّازُ ، في الدير ، تائباً وما كان يرضى مشي أشقر أجرداً
وما تاب حتى غادر الكرُّ وجهه جريماً ، وخلى جفنه النقعُ ارمداً
فلو كان ينجي من عليٍّ ترهبُ

ترهبت الاملاك مثنى وموحداً (٢)

وكل امرئ في الشرق والغرب ، بعده

يُعد له ثوباً من الشعر اسوداً !

هنيئاً لك العيدُ الذي انت عيدُه وعيدُ لمن سمّي ، وضحّي وعيداً !

ولا زالت الاعياد لبسك ، بعده تُسلم مخروفاً ، وتُعطي مجدداً !

فذا اليوم ، في الايام ، منلك ، في الوري

كما كنت فيهم اوحداً ، كان اوحداً !

هو الجدُّ ! حتى تفضل العين اختها

وحتى يكونُ اليومُ ، لليوم ، سيداً (٣)

(١) فاصبح الضمير للمستق

(٢) الاملاك : الملوك . علي اسم سيف الدولة

(٣) الجد : الحظ

فيا عجباً من دائلٍ انت سيفه ! اما يتوقى شفرتي ما تقلدا؟ (١)
ومن يجعل الضرغام، للصيد، بازه تصيده الضرغام فيما تصيداً!
رأيتك محض الحلم في محض قدرة

ولو شئت ، كان الحلم منك المهندا (٢)

وما قتل الاحرار كالغفو عنهم ، ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا !
اذا انت اكرمت الكريم ، ملكته وان انت اكرمت اللئيم ، تمردا !
ووضع الندى في موضع السيف ، بالعلی

مُضْر ، كوضع السيف في موضع الندى (٣)

ولكن تفوق الناس رأياً وحكمة ،

كما فقتهم ، حالاً ونفساً ومحتدا .

يدق علي الافكار ما انت فاعل ،

فيترك ما يخفى ، ويؤخذ ما بدا .

أزل حسداً الحساد عني ، بكبتهم ،

فانت الذي صيرتهم لي حسداً ، (٤)

(١) الدائل : ذو الدولة والمقصود به الخليفة

(٢) المحض : الخالص .

(٣) الندى : الجود .

(٤) كبتته : اذله .

إذا شدَّ زندي حن رأيك فيهم

ضربت بسيفٍ يقطع الهام مغمداً . (١)

وما انا الا سمهري ، حملته فزّين معروضاً ، وراع مسدداً !

وما الدهرُ الا من رواة قصائدي

إذا قلت شعراً ، اصبح الدهر منشداً :

فسار به من لا يسير ، مشمراً وغنى به من لا يغني ، مغرداً !

اجزني ، اذا انشدت شعراً ، فانما بشعري اتاك المادحون ، مردداً

ودع كلَّ صوت غير صوتي ، فاني

انا الطائر المحكيُّ والآخر الصدى !

تركت السرى ، خلفي ، لمن قلَّ ماله

وانعلت افراسي ، بنعمك ، عسجداً (٢)

وقيدت نفسي ، في ذراك ، محبّةً

ومن وجد الاحسان قيداً ، تقيداً . (٣)

إذا سأل الانسان ايامه الغني

وكنت علي بعد ، جعلناك موعداً

(١) الهام : ج . الهامة : الرأس .

(٢) السرى : مشي الليل . العسجد . الذهب

(٣) الذرى . الكنف

قال المتنبى يمدحه ويذكر القلعة الحدث وانشده اياها بعد انتصاره على الدمستق ، في الحدث :

على قدرِ اهل العزم ، تأتي العزائم

وتأتي ، على قدر الكرام ، المكارم ،

وتعظم ، في عينِ الصغير ، صغارها

وتصغرُ ، في عينِ العظيمِ العظائمُ ،

يكلف سيف الدولة الجيشَ همَّه

وقد عجزت عنه الجيوش الخضارمُ ، (١)

ويطلب عند الناس ما عند نفسه وذلك ما لا تدعيه الضراغم

يفدي اتم الطير عمراً سلاحه ، نسور الفلا: احداثها والقشاعم (٢)

وما ضرَّها خلقٌ بغيرِ مخالبٍ ، وقد خلقت اسيفه والقوائم (٣)

هل الحدثُ الحمراء تعرف لونها وتعلم اي الساقيين الغنائم؟ (٤)

سقتها الغمامُ الغرُّ فقل نزوله فلما دنا منها ، سقتها الجماجم (٥)

(١) الخضارم . ج . الخضم . الكثير من كل شيء . اي . يكلف الجيش ان يقوم بما تقضي به همته من الحروب والغزوات ، وهو امر تعجز عنه الجيوش الكبيرة ، ولكن جيش سيف الدولة لا يعجز

(٢) القشاعم . المسنة من النسور

(٣) القوائم . ج . قائم السيف ، وهو مقبضه

(٤) الحمراء . لتلطخها بدماء الروم

(٥) نزوله . الضمير لسيف الدولة

بناها فاعلى : والقنا يقرع القنا وموج المنيا حولها متلاطم .
وكان بها مثل الجنون ، فاصبحت ومن جث القتلى عليها قائم (١)
طريدة دهر ساقها ، فرددتها على الدين ، بالخطي ، والدهر راغم
نفيت الليالي كل شيء أخذته وهن ، لما يأخذن منك ، غوارم .
اذا كان ما تنويه فعلاً مضارعا مضى ، قبل ان تلقى عليه الجوازم

وكيف ترجي الروم والروس هدمها

وذا الطعن آساس لها ودعائم (٢)

وقد حاكموها ، والمنيا حواكم فامات مظلوم ، ولا عاش ظالم
اتوك بجرّون الحديد ، كأننا سروا بيجاد ما لهن قوائم .
اذا برقوا لم تعرف البيض منهم ثيابهم من مثلها والعمائم (٣)
خميس بشرق الارض والغرب زحفه

وفي اذن الجوزاء ، منه ، زمازم (٤)

تجمع فيه كل لسن وأمة فما يفهم الحدّاث الا التراجم

(١) التائم . ج . تميمة . تعويذة

(٢) الروس . فئة من المرتزة في الجيش البيزنطي ، اصلهم من مناطق روسية وسكندرية نافية

(٣) البيض . السيوف . الثياب والعمائم . استعارة للدروع والخوذ

(٤) الخميس . الجيش المؤلف من خمس فرق . الزمازم . ج . زمزمة . صوت الرعد

فلاَّه وقت ذوّب العُشَّ نارُه فلم يبق الا صارمٌ او مُضبارم !
تقطع ما لا يقطعُ الدرع والقنا وفرّ من الفرسان من لا يصادم (١)
وقفت ، وما في الموت شكٌ لو اقف كأنك في جفن الردى ، وهو ناثم
تمرُّ بك الابطال ، كلسى ، هزيمةٌ ووجهك وضاحٌ وثرلك باسم (٢)
تجاوزت مقدار الشجاعة ، والنهى

الى قول قوم : انت بالغيب عالم (٣)
ضمت جناحيهم على القلب ضمة تموت الخوافي ، تحتها ، والقوادم
بضرب اتى الهامات ، والنصر غائب

وصار الى اللبّات ، والنصر قادم (٤)
حقرت الردينيات حتى طرحتها

وحتى كأنّ السيف للرمح شاتم ! (٥)
ومن طلب الفتح الجليل ، فانما مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم
نثرهم فوق الاحيدب كله

كما نثرت ، فوق العروس ، الدراهم (٦)

[١] تقطع ... اي تكسر من السيوف ما لم يكن قاطعاً .

[٢] كلهى . ج . كليم . جريح

[٣] النهى . العقاب

[٤] الهامات . الرؤوس . اللباب ، اعالي الصدور

[٥] الردينيات ، الرماح .

[٦] الاحيدب ، جبل الحدث

تدوس بك الخيل الوكور على الذرى

وقد كثرت ، حول الوكور المطاعم

تظن فراخ الفتح انك زرتها باماتها ، وهي العتاق الصلادم .

اذا زلقت مشيدتها ببطونها كما تتمشى ، في الصعيد ، الارقم

أني كل يوم ذا الدمستق مُقدم؟ قماه ، على الاقدام ، للوجه ، لائح .

أينكر ريح الليث ، حتى يذوقه؟ وقد عرفت ريح الليوث البهائم

وقد فجعته بابنه ، وابن صهره ، وبالصهر ، حملات الامير الغواشم

مضى ، يشكر الاحباب ، في فوته الطي

لما شغلتها هائمهم والمعاصم ، (١)

ويفهم صوت المشرفية ، فيهم على ان اصوات السيوف اعاجم

يسر بما اعطاك ، لا عن جهالة ولكن مغنوماً نجا منك غانم

ولست مايكاً هازماً لنظيره

ولكنك التوحيد للشرك هازم (٢)

تسرف عدنان به ، لا ربيعة وتمتخر الدنيا به ، لا العواصم

لك الحمد ، في الدر الذي لي لفظه فانك معطيه ، واني ناظم .

[١] الطي ، حدود السيوف ، المعاصم ، اطراف السواعد

[٢] الشرك ، القول بان لله شركاء في الوهيته

واني لتعدوبي عطاياك، في الوغى فلا انا مذمومٌ ، ولا انت تادم
على كل طيارٍ اليها برجله اذا وقعت في مسميه، الغماغم (١)
الا ايها السيف - الذي ليس مُعمداً

ولا فيه مرتابٌ ، ولا منه عاصم -

هنيئاً لضرب الهام ، والمجد ، والعلی

وراجيك ، والاسلام ، انك سالم !

ولم لا يقي الرحمن حدّيك ، ما وقى

وتقليقه هام العدى ، بك ، دائم ؟

مدح كافور

كافور هو عبد خصي ، كان غلمان الامير ابن طعج امير مصر يصفعونه
في الاسواق كلما رأوه ، فيضحك . فقالوا : ان هذا الاسود خفيف
الروح . وكلم ابو بكر محمد بن طعج صاحبه في بيعه ، فوهبه له ،
فأقامه على وظيفة الخدمة . حتى توفي سيده ابو بكر ، عن
ولد صغير ، فأخذت البيعة له . فتفرد كافور بخدمته ، وخدمة امه ،
فقرب من شاء وابتعد من شاء . ثم ملك الامر على ابن سيده ،
وامر ان لا يكلمه احد من ممالك ابيه ، ومن كلمه اوقع به .
فلما كبر ابن سيده ، وتبين ما هو فيه ، جعل يبوح بما في نفسه ،
بعض الاوقات على الشراب . ففزع الاسود منه وسقاه سماً فمات ،
وخلت مصر له . وهو الذي ذهب المتنبى اليه في مصر كما تقدم .

[٣] الغماغم ، الاصوات المختلطة ، اي جلبة الحرب ،

ومن مدائح المتنبي له هذه القصيدة ، وانشده اياها في جمادي الآخرة
٣٤٦ هـ (ايلول ٩٥٧)

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا!

وحسبُ المنايا أن يكنَّ امانيا!

تمنيتهَا ، لما تميت ان ترى

صديقاً ، فأعيا ، او عدواً مداجياً! (١)

إذا كنت ترضى ان تعيش بذلةٍ فلا تستعدنَّ الحسامَ اليائيا

ولا تستطيلنَّ الرماحَ لغارةٍ ولا تستجيدنَّ العتاقَ المذاكيا

فما ينفع الاسدَ الحياءُ من الطوى ولا تُتقى حتى تكونَ ضواريا.

حببتك ، قلبي ، قبلَ حبِّك من نأى

وقد كان غداراً ، فكن أنت وافيًا. (٢)

واعلمُ أنَّ البينَ يُشكيك ، بعده

فلمستَ فؤادي ، إن رأيتك شاكيا (٣)

فإنَّ دموعَ العينِ مُغدرٌ برَّها إذا كنَّ ، إثر الغادرين ، جواريا!

[١] مداجياً ، اي مدارياً

[٢] الطوى ، الجوع

[٣] البين ، البعد

إذا الجود لم يُرزق خلاصاً من الأذى

فلا الحمد مكسوباً ، ولا المال باقياً

وللنفس أخلاقٌ تدلّ عليّ الفتى أكان سخاءً ما اتى ، أم تساخياً.

أقلّ اشتياًً ، أيها القلب ، ربّما رأيتك تصفي الودّ من ليس صافياً

خلقتُ الوفاً ، لو رجعت إلى الصبى

لفارقت شبي ، موجع القلب باكياً !

ولكنّ بالفسطاط مجراً أزرته حياتي ونصحي والهوى والقوافيا

وجرداً مددنا بين آذانها القننا فبتن خفافاً يتبعن العواليا (١)

تأشى بأيدٍ ، كلما وافت الصفا نقشن به صدر البزاة ، حوافيا

وتنظر من سودٍ صواقٍ ، في الدجى

يرين بعيديات الشخوص ، كما هميا

وتنصب ، للجرس الخفيّ ، سوامعاً

يخلن مناجاة الضمير تناديا (٢)

تجاذب فرسان الصباح أعنةً كأن على الاعناق ، منها ، افاعيا

بغرم يسير الجسم في السرج راكباً به ، ويسير القلب في الجسم ماشياً

[١] جرداً ، قصار الشعر ، يريد بها الخيل

[٢] الجرس ، الصوت

قواصد كافور ، توارك غيره

ومن قصد البحر استقل السواقيا (١)

فجاءت بنا انسان عين زمانه وخسّلت بياضاً ، خلفها ، وماقيا
نجوز عليها المحسنين الى الذي نرى عندهم إحسانه والاياديا (٢)
فتى ما سرينا في ظهور جدودنا

الى عصره ، الا بزجبي التلاقيا (٣)

ترفع عن عون المكارم قدره فاي فعل الفملات إلا عذاريا (٤)
يبيد عداوات البغاة بلاطفه فان لم تبيد منهم ، أباد الاعاديا .
ابا المسك ، ذا الوجه الذي كنت تأثقا

ليه ، وذا اليوم الذي كنت راجيا ! (٥)

لقيت المرورى والشناخيب ، دونه

وجبت هجيراً يترك الماء صاديا .

ابا كل طيب ، لا ابا المسك وحده وكل سحب ، لا اخص الغواديا
يدل بمعنى واحد كل فاخر وقد جمع الرحمن ، فيك ، المعانبا .

[١] قواصد ، حال من الجرد اي الخيل ، والمراد ارباب الخيل

[٢] «نجوز ، تتخطى ، عليها ، الضمير للخيل - فيه تعريض بسيف الدولة

[٣] «الجدود ، الخطوظ

[٤] «عون ، ج ، عوان : المرأة المتزوجة

[٥] «ابو المسك ، كنية كافور لسواده ، وهي على سبيل التضاد

إذا كسب الناس المعالي ، بالندي . فانك تعطي ، في نذاك ، المعالي
وغير كثير أن يزورك راجلٌ فيرجع مملكاً للعراقين ، واليا
فقد تهب الجيش الذي جاء غازياً لسائك الفرد الذي جاء غافياً (١)
وتحتقر الدنيا احتقارٌ مجربٍ يرى كل ما فيها ، وحاشاك ، فانيا!

مدح ابي العشائر

هو الحسن بن حمدان احد اقرباء سيف الدولة وعن يده اتصل
المتنبي بسيف الدولة كما تقدم .

أترهاها ، لكثرة العشاق تحسب الدمع خلة في المآقي ؟
كيف ترثي التي ترى كل جفنٍ راءها - غير جفنها - غير راقِي

* * *

ليس ، الا ابا العشائر ، خلقٌ ساد هذا الانام باستحقاق !
طاعن الطعنة التي تطعن النسيء لمق ، بالذعر ، والدم المهرق
ذات فرغ ، كأنها في حشا الخ بر عنها ، من شدة الاطراق (٢)
ضارب الهام ، في العبار ، وما يرهب أن يشرب الذي هو ساق .

* * *

ثاقب الرأي ، ثابت الحلم ، لايقة بدر امر له على إقلاق .

(١) العافي ، القاصد المعروف

(٢) الفرغ : مخرج الماء من الدلو

يا بني الحَرث بن لقمان ، لا تَع

دَمَكُم ، في الوغى ، متون العتاق (١)

بعثوا الرعب ، في قلوب الاعادي

فكان القتال ، قبل التلاقي

وتكاد الظبي ، لما عودوها تنتضي نفسها الى الاعناق

واذا اشفق الفوارس من وقع القنا ، اشفقوا من الاشفاق (٢)

كلُّ ذَمْر يزداد ، في الموت ، حسناً كبدور تمامها في المحاق (٣)

جاعل درعه منيته ، إن لم يكن ، دونها من العار ، واق

كرمٌ خشن الجوانب منهم فهو كالماء في الشفار الرقاق (٤)

ومعال ، اذا ادعاها سواهم لزمته جناية السراق

يا ابن من كلما بدوت ، بدا لي غائب الشخص ، حاضر الاخلاق

لو تنكرت ، في المكر ، لقوم حلفوا ، أنك ابنه ، بالطلاق (٥)

كيف يقوى ، بكفك ، الزند ، والافاق فيها كالكف في الآفاق !

قل نفع الحديد فيك ، فما يدا قاك ، الا من سيفه من نفاق

(١) بنو الحرث بن لقمان : اهل المدوح

(٢) الاشفاق ، الخوف

(٣) المحاق ، آخر ايامي القمر

(٤) الشفار ، ج ، شفرة ، حد السيف

(٥) المكر ، مكان الكفر في الحرب

إف هذا الهواءِ اوقعَ في الأَفسَسِ أن الحمامِ مرَّ المذاقِ
والأسي، قبل فرقة الروح عجز^ه والاسى لا يكون، بعد الفراق!
كم ثراءٍ فرجتَ بالرُمحِ عنه كان، من بُخلِ اهله، في وثاق!
والغنى في يدِ اللئيمِ قبيحٌ قدرَ قبيحِ الكريمِ في الاملاق.
ليس قولي في شمسِ فعلك كالشمسِ، ولكن كالشمسِ في الاشراقِ
شاعرُ المجدِ خدنه شاعرُ اللغظِ، كلانا ربُّ المعاني الدفاقِ!
لم تزل تسمعُ المديحَ، ولكنَّ صهيلَ الجيادِ غيرِ السُهَّاقِ.
ليت لي مثلُ جدِّ ذا الدهرِ، في الأَدِّ

هُر، او رزقه من الارزاقِ!
انت فيه، وكان كلُّ زمانٍ يشتهي بعضَ ذا على الخلاقِ!

مدح بدر بن عمار

هو بدر بن عمار الاسدي ولقد لزمه المتنبى فترة من الزمن وفي
تلك الاثناء يلتقي بدر بأسد فيهرب الاسد منه، وكان قد قتل اسداً
قبل ذلك فيمدحه المتنبى بهذه القصيدة:

أَمِعِفَّرَ اللَّيْثِ الْمِزْبَرَ بِسُوطِهِ لَمَنْ ادخَرْتَ الصَّارِمَ الْمُصْقُولَا؟
وَقَعْتَ عَلَى الْأَرْدَنِ، مِنْهُ، بَلِيَّةٌ مُنْضَدَتْ بِهَا هَامُ الرَّفَاقِ تَلُولَا
وَرَدَّ، إِذَا وَرَدَ الْبَحِيرَةَ، شَارِبًا وَرَدَّ الْفِرَاتَ زَيْبَرُهُ وَالنَّيْلَا.
مَتَخَضَّبَ بَدْمُ الْفَوَارِسِ، لِابْسٍ فِي غِيَلِهِ، مِنْ لِبْدَتِيهِ، غِيَلَا.

ما قوبلت عيناه الا مُظنّتا تحت الدجى ، نارَ الفريق حلولا
في واحة الرهبان ، الا انه لا يعرف التحريم والتحليلا
يطأ الثرى مترققاً ، من تيهه فكأنه آس يجسّ عليلا
ويرد عُفرتَه الى يافوخه حتى تصيرَ ، لرأسه ، إكليلا . (١)
وتظنه ، ممّا يُزجر ، نفسه عنها ، لشدة غيظه ، مشغولا
قصرت مخافته الخطى ، فكأنما ركب الكمي جواده مشكولا .
لقى فريسته ، وبرّ برّ دونها وقربت قرباً خاله تطفيلاً .
فتشابه الخُلُقان في اقدمه وتخالفا في ذلك المأكولا
أسد يرى عُضويه فيك ، كايها : متناً ازلّ ، وساعداً مفتولا .

* * *

ما زال يجمع نفسه في زوره

حتى حسبت العرض منه الطولا (٢)

ويدقُّ ، بالصدر ، الحجار كأنّه يبغي الى ما في الخضيض سبيلا .
وكأنّه غرّته عينٌ ، فادّني لا يبصر الخطب الجليل جليلا .
أنف الكريم من الدنيئة تارك في عينه ، العدد الكثير قليلا (٣)

(١) العفرة : شعر القفا

(٢) الزور : وسط الصدر

(٣) الانف . والانفة . الاستنكاف .

والعار مَضَاضٌ ، وليس بخائفٍ من حثفه ، من خاف مما قيل (١)
سبق التقاء كه بوثة هاجم لو لم تصادمه ، لجازك ميلا .
خذلته قوته ، وقد كافحته فاستنصر التسليم والتجديلا
قبضت منيته يديه وعنقه فكأنما صادفته ، مغلولاً .
سمع ابن عمته به ، وبجاله فنجأ يهروا ، أمس ، منك ، مهولا
وامرٌ مما فر منه فراره ! وكفته ان لا يموت قتيلا !
تلف الذي اتخذ الجراءة مُخلةً وعظ الذي اتخذ الفرار خليلا !
لو كان علمك بالاله مقسماً في الناس ، ما بعث الاله رسولا
لو كان لفظك فيهم ، ما انزل ال فرقان ، والتوراة ، والانجيل .
لو كان ما تعطيهم ، من قبل ان تعطيهم ، لم يعرفوا التأميلا .
فلقد عرفت ، وما عرفت حقيقة ولقد جهت ، وما جهت خمولا
نطقت بسؤدك الحمام ، تعنياً وبما تجشمها ، الجياد ، صهيلا .
ما كل من طلب المعالي نافذاً فيها ، ولا كل الرجال فحولاً .

الرجاء

هجاء كافور

اودع المتنبي الزمن هذه القصيدة الصارخة بعدان ماطله كافور طويلا ،
ولم يسلمه الولاية التي كان قد وعده بها ، ثم مضى عنه بل عن مصر بأسرها ،
عيد بأية حال عدت ، يا عيد ؟ بما مضى ! ام لا أمر فيك تجديد ؟
أما الأحبة فالبيداء دونهم فليت دونك بيداً دونها بيداً !
لولا العلى ، تجب بي ما أجوب بها

وجناء حرف ، ولا جرداء قيدود (١)

* * *

يا ساقبي ، أخمر في كؤوسكما ؟ ام في كؤوسكما هم وتسهيده ؟
أصخرة أنا ؟ مالي لا تحركني هذي المدام ، ولا هذي الاغاريد
اذا اردت كيمت اللون ، صافية وجدتها ، وحبيب النفس مفقود !
ما لقيت من الدنيا ؟ واعجبه أني ، بما انا شك منه ، محسود
أمسيت أروح مثر ، خازناويداً انا الغني واموالي المواعيد
إني نزلت بكذايين ، ضيفهم

عن القرى ، وعن الترحال محدود (٢)

(١) الجرداء . القصيرة الشعر . القيدود . الطويلة العنق

(٢) القرى . الطعام

جود الرجال من الأيدي ، وجودهم
من اللسان . فلا كانوا ! ولا الجود !
ما يقبض الموت نفساً من نفوسهم
الأ ، وفي يده ، من ننتنها ، عود .
الكلما اغتال عبد السوء سيده او خانة ، فله ، في مصر ، تمهيد ؟
صار الحصي إمام الآبقين ، بها فالحر مستعبد والعبد معبود (١)
فامت نواظير مصر عن ثعالها فقد بشمّن وما تقى العناقيد (٢)
العبد ليس لحر صالح بأخ لو أنه ، في ثياب الحر ، مولود .
لا تشتت العبد الا والعصا معه ان العبيد لانجاس مناكيد !
ما كنت احسبني احيا الى زمن يسى بي فيه عبد ، وهو محمود
ولا توهمت أن الناس قد فقدوا
وأن مثل ابي البيضاء موجود (٣)
وأن ذا الأسود المثقوب مشفره
تطيعه ذي العضاريط الرعايد (٤)

(١) الآبقين . ج ، الآبق ، الهارب من سيده

«٢» بشم ، اصابته تخمة من كثرة الاكل ، نواظير مصر : ساداتها ثعالها ، العبيد
امثال كافور ، العناقيد ، الامراء

«٣» ابو البيضاء ، كنى بذلك كافوراً من باب السخرية والهزوء

«٤» المشفر ، شفة البعير ، استعارها لكافور تحقيراً ، العضاريط ، ج ، العسروط ، الذي
يخدم بطعامه ، الرعيد ، الجبان

جوعان ، يأكل من زادي ، ويمسكني

حتى يقال : « عظيمُ القدرِ مقصود »

ويُلَمُّها خَطَةً ! ويلمُّ قائلها ! لئلا يُخلَق المَهْرِيَّة القود !

وعندها لذَّ طعمَ الموتِ شارِبُه اِزْمانِيَّة ، عند الذلِّ ، قنديد! (١)

من علمَ الاسودِ المخصِيَّ مكرمةً ؟

أقومه البيض ، ام آباؤه الصيد ! (٢)

ام أذُنُه ، في يدِ النحاس ، داميةً ؟

ام قدره ، وهو بالفلسين مردود (٣)

ولي اللثامِ كوينفيرٌ بِمَعْدِرَةٍ

في كلِّ لَوْمٍ وبعض العذرِ تفنيد (٤)

وذلك أن الفحولَ البيضَ عاجزةٌ

عن الجميل ، فكيف الخصية السود !

«١» القنديد عَصيرِ قصبِ السكر

«٢» الصيد ، ج ، اصيد ، السيد العظيم

«٣» النحاس ، بائع العبيد

«٤» كوينفير ، تصغير كافور ، للاحتقار

هجاء بن كيلغ

من هجائه لابن كيلغ بعد ان امتنع عن مدحه :

لهوى النفوس سريرة لا تُعلم ! عَرَضًا نظرتُ ، وختلتُ أني اسلمُ
يا أختَ معتنقِ الفوادرِ في الوغى
لأُخوكِ شمَّ أرقُّ منك و ارحم !
راعتكِ رائحة البياض بفرقي ولو أنها الاولى ، لراع الأسمم
لو كان يُمكنني سفرت ، عن الصبى

فالشيبُ ، من قبل الأوان ، تلثم .

ولقد رأيت الحاديات فلا ارى يقفًا يميت ، ولا سواداً يعصم . (١)
والهمُّ يحترم الجسمَ نخافةً ويُشيبُ ناصية الصبي ، ويُهرِم (٢)
ذو العقل يشقى ، في النعيم ، بعقله

واخو الجهالة ، في الشقاوة ، ينعم ! (٣)

والناس قد نبذوا الحفاظ ، فطلق

ينسى الذي يولى ، وعافٍ يندم .

(١) اليق : الابيض ، الشيب

(٢) يحترم : يهلك

(٣) ينعم لقله فكره

لا يخذعناكَ ، من عدوِّ ، دمعُه

وارحم شباَبِكَ ، من عدوِّ ، ترحمُ .

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق ، على جوانبه ، الدم !

يؤذي القليلُ ، من اللثام ، بطبعه من لا يقلُّ ، كما يقلُّ وَيَلْوُمُ

والظلم من شيم النفوس ، فان تجد ذا عفة ، فلعلَّة لا يظلم !

ومن البليَّة عدلٌ من لا يرعوي عن غيبه ، وخطابٌ من لا يفهم

* * *

الرباء

رثاء جدته

رثى المتنبى جدته بهذه القصيدة ، وكانت لهذه الجدة منزلة رفيعة في نفسه ويقال انها ماتت من الفرح بعد ان وصلتها رسالة منه وكانت قد نُسيت من عودته :

ألا! لا أري الأحداثَ مدحاً ولا ذمّاً ؟

فما بطشها جهلاً ، ولا كفها حلماً . (١)

الى مثل ما كان الفتي من جمع الفتي

يعود كما أبدي ، ويُكرى كما أرمى .

لك الله ؟ من منجوعة بجديها قتيلة شوقٍ غير ملحقتها وصما ؟
أحن الى الكأس التي شربت بها

وأهوى ، لمشواها ، التراب وما ضما (٢)

بكيت عليها ، خيفةً في حياتها

وذاق كلانا ثكل صاحبه ، قدماً (٣)

* * *

(١) الأحداث : نوب الدهر

(٢) الكأس : المراد بها كأس الموت . المشوي : المقام ، اراد به القبر .

(٣) الثكل : الفقد

عرفت الليالي ، قبل ما صنعت بنا
فلما دَهتني ، لم تزدني بها علما؟

* * *

أثاها كتابي ، بعد يأسٍ وترحةٍ
فمات سروراً بي ، فتُّ بها غمّاً . (١)

حرامٌ على قلبي السرور ؟ فاني
اعدُّ الذي ماتت به ، بعدها ، سما . (٢)

تعجب من لفظي وخطي ، كأنما
ترى بحروف السطر أغربةً عصما

وتلثمه ، حتى أصار مداده
محجرَ عينيها وانياها سُحماً . «٣»

رقادمعها الجاري ، وجفَّت جفونُها
وفارق حبي قلبها ، بعد ما ادعى «٤»

(١) الترحة : الحزن

(٢) به : الضمير للسرور . - إشارة الى انها ماتت سروراً .

(٣) السحْم . ج . الاسحْم . الاسود .

(٤) رقا الدمع . انقطع - المعنى

ولم يُسَلِّها الا المنايا ، وانما

اشدُّ من السقم الذي اذهب السقم

طلبت لها حظاً ، فقات ، وفاتي

وقد رضيت بي ، لو رضيت بها قسماً .

فاصبحت استسقي الغمام لقبورها

وقد كنت استسقي الوغى والقنائلصماً .

و كنت ، قُبَيْلَ الموت ، استعظم النوى

فقد صارت الصغرى التي كانت العظمى

هَبَيْني اخذت النارَ فيكَ من العدى ؟

فكيف باخذ النارَ فيكَ من الحمى ؟

وما انسدت الدنيا عليّ لضيقها ، ولكن طرفاً لا أراك به أعمى

فوا أسفاً الا أكبَّ مقبلاً

لرأسك والصدرِ الذي مُلثا حَزْماً ؟

والأقبي رَوْحَكِ الطيبِ الذي

كأن ذكيَّ المسك كان له جبماً ؟

ولو لم تكوني بنتَ اكرمِ والدٍ

لكان اباك الضخمَ كوني لي أمّاً

لئن لذت يوم الشامتين بيومها لقد ولدت مني لانتفهم رنما؟
تقرب لا مستعظماً غير نفسه ولا قابلاً ، إلا لحاقه ، حكماً
ولا سالكاً إلا فؤاد عجاجة ولا واجداً ، إلا لمكرمة ، طعماً
يقولون لي : « ما انت ؟ » في كل بلدة

« وما تبغني ؟ » ما ابتغني جل أن يسمى

كأن بنبيهم عالمون بأني جلوب اليهم ، من معادنه اليتما
وما الجمع بين الماء والنار ، في يدي

بأصعب من ان اجمع الجد والفهما « ١ »

ولكنني مستنصر^ه بذبابه

ومرتكب في كل حال به الغشما « ٢ »

وجاعله ، يوم اللقاء تحييتي

وإلا فلست السيد البطل القرمما « ٣ »

إذا قل عزمي ، عن مدى ، خوف بعده

فابعد شيء ممكن لم يجد عزما

« ١ » الجد . الحظ

« ٢ » الذباب . الحد . الغشم

« ٣ » القرم ، متقدم القوم

وإني لمن قومٍ كأن نفوسهم

بها أنفٌ أن تسكن اللحم والعظم» (١)

كذا انا ، يا دنيا اذا شئت فاذهبي

ويا نفس ، زيدي في كرائها مقدا

فلا عبرتُ بي ساعةٌ لا تعزني ؟

ولا صحبتني مهجة تقبل الظلم

رثاء ام سيف الدولة

ماتت ام سيف الدولة سنة ٣٣٧ هـ (٩٤٨ م) فقال يرثيها

ويعزي الامير ومن هذه قصيدة :

نعد المشرفية والموالي وتقتلنا المنون بلا قتال

وترتبط السوابق مقربات وما يُنجين من خبب الليالي» (٢)

ومن لم يعشق الدنيا قديماً ولكن لا سهيل الى الوصال

تصيبك في حياتك ، من حبيب نصيبك ، في منامك ، من خيال

رمانى الدهر بالأرزاء ، حتى فؤادي في غشاء من نبال» (٣)

فصرت ، اذا اصابتي سهام تكسرت النصال على النصال

وهان ، فما أبالي بالرزايا لاني ما انتفعت بان أبالي

«١» الانف ، الاستنكاف

«٢» السوابق ، صفة للخيل ، مقربات اي قريبة من البيت ، الحجب ، نوع من الركن

يكون بالمرأحة بين اليدين والرجلين «٣» الارزاء المنصائب

وهذا أول الناعين طراً لأول مَيِّتَةٍ في ذا الجلال
كأن الموت لم يَفْجِعْ بنفسٍ ولم يَخْطُرْ لمخلوقٍ بيسال !
صلاة الله خالقنا حنوطاً على الوجه المكفّن بالجمال (١)
على المدفون ، قبل التراب ، صوناً وقبل اللحد ، في كرم الحلال !
فانّ له ، بينن الارض ، شخصاً جديداً ذكرناه ، وهو بالي .
أطاب النفس أنك مت موتاً تمنّته البواقي والحوالي .
وزلت ، ولم تَرَيَ يوماً كريهاً تُسرّ النفس فيه بالزوال . (٢)
رواق العز فوقك مُسْطِرٌّ ومملك علي ابنك في كمال (٣)
سقى متوالك غاد ، في الغواصي نظير نوال كفك ، في النوال ! (٤)
وليست كالاناث ، ولا اللواتي تُعدّها القبور من الحجال (٥)
ولا من في جنازتها تجارٌ يكون وداعها نفض النعال
مشى الامراء ، حوليها ، حفاةً كأن المرّو من زف الرئال (٦)

(١) الصلاة : هنا يقصد بها الرحمة والمغفرة . الحنوط : طيب تعالج به جثة الميت فتحفظ من الفساد . الوجه المكفّن بالجمال : اشارة الى ان الموت لم يغير محاسنها .

(٢) زلت : انقضيت

(٣) مسطر : متمد

(٤) المثوى : المقام

(٥) الحجلة : الستر

(٦) الرئال : ولد النعام .

وأبرزت الحدورُ مخبآت

يضعن النقسَ أمكنةَ الغوالي (١)

أتمهنَّ المصيبة ، غافلاتٍ فدمع الحزن في دمع الدلالِ .
ولو كان النساءُ كمن فقدنا لفضلت النساءُ على الرجالِ !
وما التأنيتُ لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكيرُ فخرٌ للهلالِ !
وأفجعُ من فقدنا من وجدنا مُقبيلُ الفقد ، مفقودَ المثالِ !
يُدقن بعضنا بعضاً ، وتمشي أواخرنا على هامِ الأوالي .
ولم عينٍ مقبلةٍ النواحي كحيلٍ بالجنادلِ والرمالِ
ومُغضٍ ، كان لا يُغفي لخطبٍ وبالٍ ، كان يفكرُ في الهزالِ
أسيفَ الدولة ، استنجدُ بصبرٍ وكيف بثل صبرك للجبالِ
وانت تعلم الناسَ التعزي

وخوض الموت في الحرب السجال (٢)

وحالاتُ الزمان ، عليك ، شتى وحالك واحد في كل حال (٣)

رأيتك ، الذين ارى ملوكاً كانك مستقيمٌ في محال (٤)

(١) النقس : الحبر

(٢) السجال التوازن بين فريقين

(٣) شتى : متفرقة .

(٤) المحال : الموعود .

فان تُصقِ الانام . وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال

رثاء اخت سيف الدولة

كان ابو الطيب في الكوفة سنة ٩٦٣ ، فورده نعي اخت سيف الدولة وكانت قد توفيت في ميا فارقين . فكتب الى اخيها في حلب يرثيها ويعزيه ومن الأرجح ان المتني كان يحمل لهذه السيدة الحب الصادق والعاطفة المخلصة كما تقدم مما جعله يسلك بشعره هذا المسلك الزاخر بالاحاسيس والمشاعر التي سنتبينها في هذه القصيدة الرائعة :

يا أختَ خيرِ أخٍ ، يا بنتَ خيرِ أبٍ

كنايةً بهما عن أشرف النسبِ

أجل قدرك أن تُسمي مؤبنةً ومن يصفك فقد سَمَّكَ للعرب
لا يملك الطربُ المحزونُ منطقَه

ودمعه ، وهما في قبضة الطرب .

غدرت ، يا موت ! كم أفنيت من عدد

بن أصبت ! وكم أسكت من لجب ! (١)

وكم صحبت أخاها في منازلة !

وكم سألت ! فلم يبخل ، ولم تحب !

طوى الجزيرة ، حتى جاءني ، خبر

فزعت فيه بآمالي الى الكذب

(١) اللجب : الضجة ، واختلاط الاصوات .

حتى اذا لم يدع لي صدقه أملاً

شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي (١)

تعثرت به ، في الافواه ألسنها

والبرد في الطرق ، والاقلام في الكتب .

ارى العراق طويل الليل ، مذُنعت

فكيف ليل فتى الفتيان ، في حلب ؟

يظنُّ أن فؤادي غير ملتهب وأن دمع جفوني غير منسكب ؟

بلى ! وحرمة من كانت مراعية حرمة المجد ، والقصاص والادب

ومن مضت غير موروثة خلائقها

وان مضت يدها موروثة النشب (٢)

وهمها في العلى والمجد ، ناشئة وهم أترابها في اللهو واللعب

* * *

يا احسن الصبر ، زراً أولى القلوب بها

وقل لصاحبه : « يا انفع السحب

واكرم الناس ، لا مستثنياً احداً

من الكرام ، سوى آباءك النجب

(١) شرق : غص

(٢) الخلائق : ج . الخليقة . الصفة المحممة . النشب : المال

قد كان قاسمك الشخصين دهر^١هما وعاش درهما المفدي بالذهب
وعاد، في طلب المتروك تاركه انا لتغفل ، والايام في الطلب ؟
ما كان اقصر وقتاً كان بينهما !

كأنه الوقت بين الورد والقرب (١)

جزاك ربك ، بالاحزان ، مغفرة !

فحزن كل اخي حزن اخو الغضب .

وانتم نفر^٢ ، تسخو نفوسكم

بما يهين ، ولا يسخون بالسلب (٢)

حلتم من ملوك الارض كلهم

حل سمر القنا ، من سائر القصب (٣)

فلا تنك الليالي ! ان ايديها

اذا ضربن ، كسرن النبع بالغرب (٤)

ولا يُعين عدواً انت قاهره !

فانهم يصدن الصقر بالحرب .

(١) الورد : اتيان الماء للشرب . القرب : السير في الليل الى الماء

(٢) النفر : الجماعة . يسخون : الضمير لنفوسكم

(٣) القنا : الرماح

(٤) النبع : شجر صلب العود تؤخذ منه القسي ، ومن اغصانه السهام . الغرب : شجر

لبين الاغصان ضعيف

وان سررنَ بمحبوبٍ ، فجمعن به

وقد أتيناك ، في الحالين ، بالعجب .

وربما احتسب الانسانُ غايتهاَ وفاجأته بأمرٍ غير مُحْتَسَبٍ (١)

وما قضى احدٌ ، منها ، لبيانه

ولا انتهى أربٌ إلا الى أرب . (٢)

تخالف الناس ، حتى لا اتفاق لهم

إلا على شجبٍ وأخلفٍ في الشجب (٣)

فقيل : تخلص نفس المرء سالمةً

وقيل : تشركُ جسم المرء في العطب .

ومن تفكرَ في الدنيا ، ومُهجته

أقامه العكراً بين العجز والتعب ! (٤)

(١) غاية الشيء : نهايته

(٢) اللبانة والأرب : الحاجة في النفس

(٣) الشجب : الهلاك . الخلف : الخلاف .

(٤) المهجة : الروح

رثاء عمه عضد الدولة

توفيت عمه عضد الدولة في بغداد ، وكان ابو الطيب عند هذا
الملك ، في شيراز ، سنة ٩٦٥ ، فقال يرثيها ويعزيه :
آخِرُ مَا الْمَلِكُ مَعْرِىَ بِهِ هَذَا الَّذِي أَثَّرَ فِي قَلْبِهِ !

* * *

لو درت الدنيا بما عنده لاستحيت الايام من عتبه !

* * *

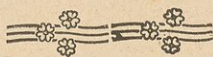
لا بدَّ للانسان من ضجعة لا تقلب المضجع عن جنبه (١)
ينسى بها ما كان من عجه وما اذاق الموت من كربه
نحن بنو الموتى ، فما بالناس نفاق ما لا بدَّ من شربه !
تبخل ايدينا بارواحنا على زمان ، هنَّ من كسبه !
فهذه الأرواح من جوّه وهذه الاجساد من تربه !
لو فكر العاشق في منتهى حسن الذي يسببه ، لم يسببه !

* * *

يموت زاعي الضان ، في جهله ميتة جالينوس ، في طبه
وربما زاد على عمره وزاد في الامن على سربه .

(١) الضجعة : اسم مرة من ضجع بمعنى اضطجع . المراد به الموت

وغايةُ المُفرطِ في سَلَمِهِ كَغَايَةِ المُفرطِ فِي حَرْبِهِ
فَلَا قَضَى حَاجَتَهُ طَالِبٌ فَوَادِهِ يَحْتَقِقُ مِنْ رُعبِهِ !
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِشَخْصٍ مَضَى كَانَتْ نَدَاهُ مِنْتَهِي ذَنْبِهِ
وَكَانَ مِنْ عَدَدِ إِحْسَانِهِ كَأَنَّهَا أَفْرَطَ فِي سَبِّهِ
يَزِيدُ، مَنْ حَبَّ الْمُلَى، عَيْشَهُ وَلَا يَرِيدُ الْعَيْشَ مِنْ حُبِّهِ
يُحْسِبُهُ دَافِنَهُ وَحَدَّهُ وَمَجْدَهُ فِي الْقَبْرِ مِنْ صَحْبِهِ



الفخر

كنا قد ذكرنا في معرض دراستنا الشيء الوافر من فخره ،
وثبت هنا امثلة من ذلك الفخر ، في هذه القصيدة التي يمدح بها سيف
الدولة يقترن المدح بالفخر كما نرى .

واحر قلباه

(١) واحر قلباه ممن قلبه شيم

ومن ، بجسمي وحالي ، عنده ، سقم

ما لي أكرم حبا قد برى جسدي ،

وتدعي حب سيف الدولة الأئم ؟

ان كان يجمعنا حب لغرته ،

فليت أزا ، بقدر الحب ، نفتسم !

قد زرتة ، وسيوف الهند مغمدة ،

وقد نظرت اليه والسيوف دم ،

فكان أحسن خلق الله كلهم ،

وكان أحسن ما في الاحسن الشيم .

فوت العدو ، الذي يمته ، ظفره ،

في طيه أسف ، في طيه نعم .

قد ناب عنك شديدُ الخوف ، واضطنعت

لك المهابةُ ما لا تصنع البهيمُ ،

ألزمتَ نفسك شيئاً ليس يلزمها

أن لا يواريهم أرضٌ ولا علم

أكلتها رمت جيشاً فانشنى هرباً

تصرقت بك في آثاره ، الهيم

عليك هزمهم في كل معتك

وما عليك بهم عارٌ ، إذا انهزموا

أما ترى ظفراً حلواً سوى ظفر

تصافحت فيه بيض الهند والليم

يا أعدل الناس ، إلا في معاملتي

فيك الخصام ، وانت الخصم والحكم

أعيدها نظراتٍ منك صادقة

إن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وما انتفاع اخي الدنيا بناظره

إذا استوت ، عنده ، الأنوارُ والظلم

سيعلم الجمع بمن ضم مجلسنا
بانني خير من تسعى به قدم!
انا الذي نظر الاعمى الى اديبي
واسمعت كلماتي من به صم!
انام ، ملء جفوني ، عن شواردها
ويسهر الخلق جرهاها ، ويختصم
وجاهل مدّه في جهله ضحكى
حتي اتته يد فراسه وفم
اذا رأيت نيوب الليث بارزة
فلا تظن ان الليث يبتسم!
ومهجة مهجتي من هم صاحبها ادركتها بجواد ظهره حرم
رجلاه في الر كض ، رجل ، واليدان يد
وفعله ما تريد الكف والقدم
مرهف سرت ، بين الجحفلين ، به
حتي ضربت ، وموج الموت يلتطم!

الخيل والليل والبيداء تعرفني

والسيف والرمح والقرطاس والقلم

صحبت ، في الفلوات ، الوحش منفرداً

حتى تعجب مني القور والاككم

يامن يعز علينا ان تفارقهم

وجداننا كل شيء ، بعدكم ، عدم

ما كان أخلقنا منكم بتكرمة لو ان امركم من أمرنا أمم

ان كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح ، اذا ارضاكم ، ألم

ويبيننا ، لورعيتم ذلك معرفة ان المعارف ، في اهل النهي ذمم

كم تطلبون لنا عيباً ، فيعجزكم ويكره الله ما تأتون ، والكرم

ما ابعد العيب والنقصان ، عن شرفي

انا الثريا ، وذان الشيب والهرم

ليت الغمام ، الذي عندي صواعقه

يزيلهن الى من عنده الديم

ارى النوى يقتضيني كل مرحلة

لا تستقل بها الوخادة الرسم

لئن تركن ضميراً عن ميامننا ليحدثن ، لمن ودعتهم ، ندماً !
إذا ترحلت عن قوم ، وقد قدروا ان لا تفارقهم ، فالراحلون هم
شر البلاد مكان لا صديق به

وشر ما يكسب الانسان ما يصم
وشر ما قنصته راحتي قنص شهب البزاة سواء فيه والرحم
بأي لفظ تقول الشعر زعنفته

تجوز عندك ، لا تعرب ولا عجم
هذا عتابك ! الا أنه مقمة قد ضمن الدر ، الا أنه كلم

المجد والمال

من قصيدة مدح بها كافوراً :

اود من الايام ما لا توده واشكوا اليها بيننا ، وهي جنده (١)
واتعب خلق الله من زاد همه

وقصر ، عما تشتهي النفس ووجدته (٢)

فلا ينجل ، في المجد ، ما لك كله

فينحل مجدك كان بالمال عقده (٣)

(١) بيننا : فراقنا . جنده : الضمير للدين اي هي التي تقرم بالتفريق

(٢) الهم : بمعنى الهممة . الوجد : الغنى ، فاعل قصر . - المعنى : اتعب الناس من

زادت همته ، وقصرت طاقته عن قضاء مراده

(٣) فلا ينحل ... : اي لا تنفق كل مالك في سبيل المجد ، فيضيع ذلك المجد الذي

انما يكون بالمال

وَدِيرُهُ تَدِيرُ الَّذِي الْمَجْدُ كَفَّهُ

اِذَا حَارِبَ الْاَعْدَاءَ ، وَالْمَالُ زَنْدَهُ (١)

فَلَا مَجْدَ ، فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ

وَلَا مَالَ ، فِي الدُّنْيَا ، لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ

وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ

وَمَنْ كُوبَهُ رِجْلَاهُ ، وَالثُّوبُ جِلْدُهُ (٢)

وَلَكِنْ قَلْبًا ، بَيْنَ جَنِيِّ ، مَالِهِ

مَدَى يَنْتَهِي بِي فِي مَرَادٍ اُحَدُهُ (٣)

يَرَى جِسْمَهُ يُكْسَى شَفُوفًا تَرُبُّهُ

فِيخْتَارُ اِنْ يَكْسَى دَرُوعًا تَهْدُهُ (٤)

هَؤُلَاءِ الْبَشَرُ

اَفْاضِلُ النَّاسِ اَغْرَاضٌ لَدَى الزَّمَنِ

يُجَلُّوْنَ مِنَ الْهَمِّ اِخْلَاصًا مِنَ الْفِطَنِ

[١] ديره : الضمير للمال .

[٢] والثوب جلده : اي عاريا .

[٣] المدى : الغاية . المراد : المطلوب . احده : اجعل له حدا .

[٤] يرى : الضمير للقلب . الشفوف : ج . الشف : الثوب الرقيق . تربه : تنميه .

وانما نحن في جيلٍ سواسيةٍ
شرٍ على الحرِّ من سُقمٍ على بدن!
حولي ، بكل مكان ، منهم خلقٌ
مُتخطي ، اذا جئت ، في استفهامها ، بمن
لا اقتري بلداً إلا على غررٍ ولا امرٌ بخلاقٍ غير مضطغين (١)

ارانب

فؤادٌ ما تسليه المدام! وعمرٌ مثل ما تهب اللثام!
ودهرٌ ناسه ناسٌ صفارٌ ولو كانت لهم جثثٌ ضخامٌ
وما انا منهم ، بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغامُ
ارانبٌ! غير أنهم ملوكٌ مفتحةٌ عيونهم ، نيامٌ
بأجسامٍ يجرُّ القتلُ فيها وما اقرانها الا الطعام

طريق المجد

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر
وحيداً وما قولي كذا ، ومعني الصبر؟

واشجع مني ، كلَّ يومٍ ، سلامتي ! وما ثبتت إلا وفي نفسها أمرًا
تمرّست بالآفات حتى تركتها

تقول: «أما الموت؟ أم دُعرَ الذعرُ»

واقدمت إقدامَ الآتيِّ ، كأنَّ لي

سوى مهجتي ، أو كان لي عندها وترًا

ذَرَّ النفسَ تأخذُ وسُعبها ، قبلَ بينها

ففترقَّ جاران دارهما العمرًا

ولا تحسبنَّ المجدَ زقًا وقينةً

فالمجدُ إلا السيفُ ، والفتكةُ البكرُ

وتضريبُ اعناقِ الملوكِ ، وأن تُرى

لك الهبواتُ السودُ والعسكرُ المجرُ

وتركك ، في الدنيا ، دويًّا كأنمَّا تدأولَ سمعَ المرءِ انقله العشرُ

إذا الفضلُ لم يرفعك عن شكرِ ناقص

على هبةٍ ، فالفضلُ فيمن له الشكرُ

ومن يُنْفِقُ الساعاتِ ، في جمعِ ماله

مخافةً فقرٍ ، فالذي فعلَ الفقرا

نضال

أقل فعالي - بله أكثره! - مجد!

وذا الجِدِّ فيه ، نلت أم لم أنل ، جدُّ (١)

سأطلب حقي بالقنا ، ومشايخ

كانهم ، من طول ما التتموا ، مرد

ثقال اذا لاقوا ، خفاف اذا دعوا

كثير اذا اشتدوا ، قليل اذا عدوا

وطعن ، كأنَّ الظعنَ لا طعنَ عنده

وضرب كأنَّ النار ، من حره ، برد

اذا شئت حفت بي ، على كل سابع

رجال كأنَّ الموتَ فيهم شهد (٢)

أذم ، إلى هذا الزمان ، أهيله فاعلمهم قدم ، واحزمهم وغد (٣)

وأكرمهم كلب ، وابصرهم عم ، واسهدهم فهد ، واشجعهم قردا

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى

عدواً له ، ما صداقته بدُّ (٤)

[١] الفعال : مصدر . بله : اسم فعل بمعنى : دع . الجِد : الاجتهاد . الجِد : الحظ المعنى : ان اقل فعلي مجد ، فلا تسلم عن أكثره . وان اجتهادي في طلبه حظ لي على كل حال

[٢] السابح : القوس السريع

[٣] أهيل : تصغير اهل للاحتقار .

[٤] النكد : قلة الخير . الحر : الكريم

الحكم والامثال

وكننا ايضا قد اتينا على شيء من الحكم في شعر المتنبي ونزيد هنا بعض الامثلة والتي اصبحت مضرب الامثال . وكل ذلك وليد تجارب خاصة لمصارعته الدهر ومقارعته الايام .

عيش الذليل

لا افتخارٌ إلا لمن لا يضامُ : مدرك ، او محارب لا ينام
ليس عزماً ما مرض المرء فيه ! ليس همماً ما عاق عنه الظلام !
واحتمال الأذى ، ورؤية جانيه غداءً تضوى به الاجسام
ذلٌّ من يغبط الذليل بعيش ! رب عيش اخف منه الحمام !
كل حليم اتي بغير اقتدار حجه لاجيء اليها اللئام
من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح يميت ايلام
تقديره للرأي

الرأي قبل شجاعة الشجعان ! هو اول وهي المحل الثاني !
فاذا هما اجتمعا لنفس حرة بلغت ، من العلياء ، كل مكان !
ولربما طعن الفتى اقرانه بالرأي ، قبل تطاحن الاقران !
لولا العقول لكان ادنى ضيغم ادنى الى شرف من الانسان !
حكم متفرقة

اذا غامرت ، في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في امر حقيرٍ كطعم الموت في امر عظيم

*

كريشةٍ ، في مهب الريح ، ساقطةٌ لا تستقرُّ على حالٍ من القلق

*

وقد يتزيا بالهوى غير اهله

ويستصحب الانسان من لا يلائمه!

*

واذا كانت النفوس كباراً تعبت ، في مرادها ، الاجسام!

*

ان السلاح جميعُ الناسِ تحمُّلهُ ، وليس كل ذوات الخلبِ السبعُ!

*

ومن سر اهل الارض ، ثم بكى أسي

بكي بعيون سرها ، وقلوبِ

*

ومن صعب الدنيا طويلاً ، تقلبت

على عينه ، حتى يرى صدقها كذباً

*

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونُه

وصدق ما يعتاده من توهم^ه!

فاحسن وجهه ، في الوري ، وجه محسن

وايمن كفه ، فيهم ، كف منعم!

*

تريدن إدراك المعالي رخيصة

ولا بدّ ، دون الشهد من إبر النحل!

*

إذا اشتبهت دموع^ه في خدود^ه تبيّن من بكى من تباكى!

*

وإذا اتتك مذمتي ، من ناقص^ه فهي الشهادة لي باني كامل!

*

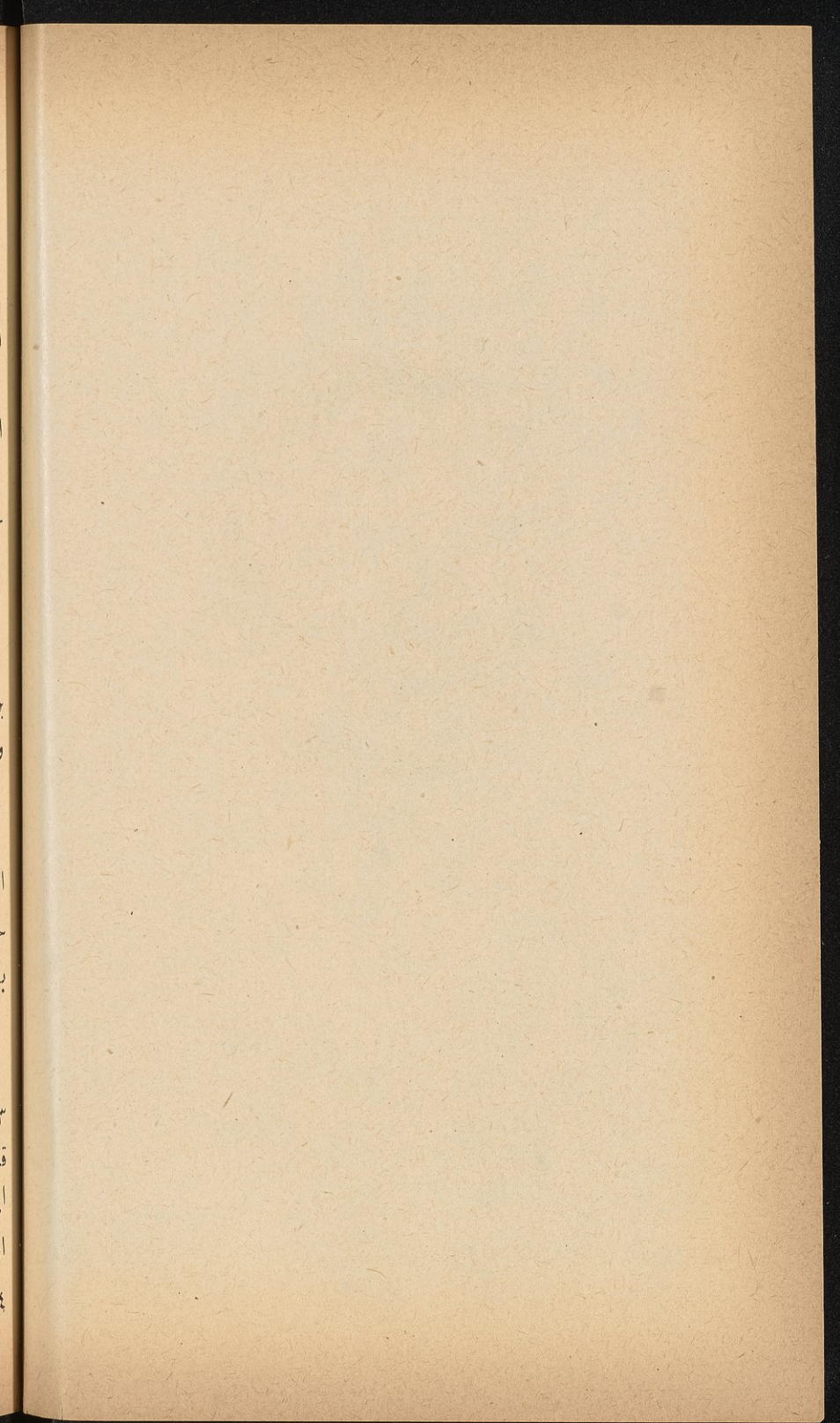
وإذا ما خلا الجبان بأرض^ه طلب الطعن ، وحده ، والتزالا!

*

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً له إذا لم يكن في فعله والخلاق!



هذا جناه ابي علي وما جنيت علي أحد



المعري ، المفكر الذي يمثل الذهن الانساني ، في اوسع حقوله
المعري ، ذلك الفنان الذي رسم لنفسه ولمجتمعه صورة حية مثلت في
الوقت نفسه خصائص فنه وادبه وعبقريته .

اذن لنلتمس هذه الصورة فيما انشد المعري من شعر ، وفيما اطلق من
اراء .

سأبدأ دراستي لهذا الفنان ... وانا اعتبر المعري فناً سابدأ دراستي من
حيث انتهى هو ، او من حيث اعتبرنا نحن انه انتهى .

هذا جناه ابي علي وما جنيت على احد .

هذا ما اوصى ان يكتب على قبره .

ولكن ما هي الجناية التي ساقها عبد الله بن سليمان بن محمد
بن داود علي ولده ، حتى يتوجب هذه التهمة يلصقها به ولده
وفلذة كبده .

لي هنا بعض الرأي يخالف الكثير من الاراء وهو :

اجل ، لقد جنى عبدالله علي ولده . لقد جنى المعرفة ، اوليست
المعرفة جناية لمثل المعري ، اوليست المعرفة كسجن رهيب لنفس
حساسة ، ولقلب كبير ، وعقل لا يهدأ ولا يستقر إلا وقد
بلغ مرحلة لا تستوي عندها كل العقول ؟

المعرفة جناية لأنها تشقي صاحبها . اليس هذا حق ؟

ولد ابو العلاء بن عبد الله ... نهار الجمعة ٢٧ ربيع الاول
٣٦٣ هجرية الموافق ٢٦ كانون الاول ٩٧٣ ميلادية ، من اسرة
قديمة عريقة ينتهي نسبها الى قبيلة قضاة ثم الى قحطان ، التي هاجرت
الى سوريا فيمن هاجر من القبائل العربية حيث استوطنت المعرة ،
او معرة النعمان ، وهي مدينة من المدن السورية واعمال حلب تقع على
٨٤ كلم من الجنوب الغربي لها ، وعلى نحو من ٦٠ كلم من

شمال مدينة حماه .

وللمعرة تاريخ حافل قاست خلاله هذه المدينة الكثير من المصاعب والحوادث ، من الحروب والكوارث التي طمست اكثر معالمها ومحت اكثر آثارها .

ولسنا هنا في معرض الحديث عن تاريخ هذه المدينة ، ولكن هذه المدينة قد اخذت تحتل مكانها في عالم الشهرة من حين ظهور المعري فاصبحت بحجة للمعرفة وكعبة لأهل الأدب والفلسفة ، حتى بعد وفاة المعري برقت طويل عملت الحكومة ورجال الادب واهل الفكر على تقديس ذكرى وفاته فاقامت الاحتفالات التذكارية العددية ، واخرجت الصحف والمجلات الاعداد الخاصة الحافلة عن حياته وفنه وادبه وفلسفته .

وإذا كان قد وقف على قبر المعري حين وفاته الموافق نهار الجمعة في ٢٠ ايار سنة ١٠٥٧ م بعد مرض لم يممه اكثر من ثلاثة ايام ، اذا كان قد وقف على قبره نحو من اربعين شاعراً يرثون فيه العبقرية والنبوغ والمعرفة والجرأة ، فلقد كرس الكثير من الجرائد والكتب والابحاث من عربية وغيرها لدراسة ثمار تلك العبقرية الفذة ، وتلك الذاكرة العجيبة ، والذكاء الحاد والشخصية الفريدة الجريئة في عالمها .

ان هذا يدل على ان موت الرجل لم يمه امره ، بل سيستمر هذا الامر مع الزمن ما دام هنالك تطلع نحو جلاء الاسرار التي اكتنفت الكثير من المسائل التي تتناول حياتنا وتترك علامات استفهام ضخمة عند التساؤل عن اسرار وجودنا .

ولكن ما علاقة المعري بالوجود والحياة وما وراء الطبيعة ، حتى يقترن اسمه دائماً عند البحث بمثل هذه المسائل ؟

وكيف اضحى ذلك الاسم يذكر ويردد ويستشهد به عند البحث في مشاكل الدهر وحوادث الايام ، ما ظهر منها وما خفي .
وإذا كان الامر كذلك فما هي خصائص تلك الشخصية ، وما هي العوامل التي تكاتف على توجيهها هذه الوجهة التي انتهت اليها .
الواقع ان للعوامل التي تتكاتف لتكوين شخصية كشخصية المعري اثر لا بد ان يبرز وان يقوي ويقرر فيما يتعلق بنظرة صاحبه الى الناس ، ثم في توجيه افكاره ، واطلاق معتقداته والعامل الشخصي هنا واضح بارز ، في افكار الرجل فليس كالمعري الا ما ندر اتفقت افكارهم مع واقع حياتهم ، وليس كالمعري اتصلت حياته بأفكاره وشخصه اتصالاً وثيقاً ، كما سنتبين ذلك كما انه للعامل الخارجي خطوط بارزة في حياة الرجل وفنه وفلسفته ، اذن لم يعد لنا وعلينا إلا ان نعرف ما هي العوامل التي عملت على تكوين هذه الشخصية الفريدة ؟

العمى

اني احمد الله على العمى ، كما يحمده غيبي على البصر .

هل صحيح ان المعري كان سعيداً في عماءه ؟

اجيب : بلا . ليس هو القائل :

وكم اشتكت اشفار عين مسهدّها

وشفاؤها مما ألمّ شفار

ولطالما صابرت ليلاً عاتماً فمتى يكون الصبح والاسفار

وفي مكان آخر :

عمى العين يتلوه عمي الدين والهوى فليلتي القصوى ثلاث ليالي

ثم يقول ايضا :

وما بي طرف للمسير ولا السرى

لأنني ضير لا تضيء لي الطُرق

هل تلمس هذا التحرق ؟

هل يكون صاحب هذه الحشرات قد قنع بما قسم له
من ان يكون فاقد البصر ابد الدهر دواما حسرة ولا عبرة ؟ انا
لا اعتقد هذا .

ولكن تظاهرة بالرضى والقناعة في سياق شعره في بعض
الاحيان لم يكن سوى مظهراً من مظاهر التجلد والتعزي .
ومها يمكن من امر فان عمى المعري من الاسباب الرئيسية التي
وجهت حياته ، ثم نظرته الى الحياة والناس ، هذه النظرة التي
تقوم على دعائم الشك والتشاؤم والحيرة .

فاذا قلنا ان الصبي دهمه العمى وهو في الرابعة من عمره
ولم يعرف من الالوان الاحمر لانه البس ثوباً معصفاً اثناء
مرضه بالجدري ، لتبين لنا هذا النقص الفاضح في تلمس الجمال والتمتع
بما في الحياة من روائع الحسن .

ثم ، فان مرضه لم يتركه رفيق العصا فيحسب ، ولكنه
ارفق الظلام بتشويهاً فظيماً بغيضاً الى نفس صاحبه وكرهاً في نظر
من شاهده .

ولكن هل العمى وحده وجه المعري الى هذه الطريق الفريدة
نوعاً ما بالنسبة لغيره . من الذين كتب عليهم الحرمان من نعمة البصر ؟
الجواب على هذا . لا .

اذ اتنا في كثير من الاحيان ما نرى العميان قد اندجوا في

الحياة فنالوا منها ما نال غيرهم وقاسوا منها ما قاس غيرهم ، ولم يقذف بهم عمائم الى احضان الوحدة الموجعة . . . او المقنعة ، لست ادري .

إذاً لقد كان العمى بالنسبة للمعري نقطة انطلاق صادفت نفساً دقيقة الحس ، وقلباً مرهف الشعور ، وعقلاً دائم التأمل ، فاذا بهؤلاء جميعاً ، النفس ، والقلب ، والعقل ، بل وجميع المشاعر والجوارح لدى المعري تتأرجح طويلاً ، وهي تفتش عن السر في هذه المصيبة القاسية التي بلبت بها دون غيرها . ثم عن العبرة من كل هذا ؟

وإذا كان الصبي قد رافق الحيرة في هذا الامر في مستهل شبابه فلقد حاول اهله ان يغرسوا في نفسه العمل في الانتصار على هذه الكارثة التي ابتلي بها ، فشمله والده بعطفه واغدقت عليه امه من حنانها ما جعل الصبي يأنس الى الحياة محاولاً الاندماج فيها ، ومتمضية وقته كواحد من هؤلاء الذين تضيق بهم الحياة نفسها .

وكأنما الحياة قد ضاقت ذرعاً بهذا الدخيل عليها ، وهي التي ارادت له حياة تختلف عن حياة الآخرين . وكأنما عز عليها ان يتحدى ارادتها فاذا بها تقذفه بسهم آخر من سهامها السامة عندما افقدته المنهل العذب الذي كان يستمد منه المعونة والعطف والمساعدة .

لقد حرمته الحياة اذن المعين المادي والروحي والعقلي ، والده وحنانه ايضاً ، والمدافع عن ضعفه . وكان الفتى لم يبلغ الرابعة عشر من عمره بعد ، فعززت هذه الكارثة الجديدة فكرة انعزاله عن الحياة اذ تركت وفاة والده فراغاً مريراً في حياته وراح يشكو ألمه ويرثي والده

بهذه القصيدة التي مطلعها :

نعمتُ الرضا حتى على ضاحكِ المزنِ فلا جادني الا عبوس على الدجن

والتي يقول فيها ايضاً

ونادبة في مسمعي كلُّ قينةٍ تغرد باللحن البريء من اللحن

وهذه القصيدة تظهر لنا ميزة في شعر المعري او فيما قال من الشعر في سقط الزند ، وهو ان الفتي يحاول ان يحاكي الشعراء الفحول ، ويعمل على اظهار مقدرته على النظم حتى اتت مرثيته هذه خالية نوعاً ما من التأثر والتفجع الذي يجب ان يكون عادة في شعر الرائي لوالده :

ونلاحظ هنا ايضاً خاصة اخرى ظهرت فيما بعد ظهوراً واضحاً في شعره ، هذه الظاهرة هي شكه في مصير الناس بعد الموت :

طلبت يقيناً من جهنمة عنهم ولم تخبريني يا جهين سوي الظن

اذن فالحياة لم تهان الفتي حتى الآن ، بل انها تمنع في الاساءة اليه فلقد فقد الفتي كما ذكرت بفقده والده منهلاً روحياً وثقافياً ، كما فقد ايضاً العائن المادي على مطالب الحياة . ولم يكن موت والده ، إلا ليزيد من مشكلة شكه في العدل الآلهي ، ثم تضخمت تلك العلامات من الاستفهام في خياله وفكره عن الحياة والوجود ودور الانسان ، بل كل ما يتعلق بهذا المخلوق المستضعف الضعيف . لماذا خلق الانسان ؟ الى اين مصيره ؟ ما العبرة من وجوده ؟

اسئلة عديدة ومختلطة حاول المعري ان يوضح ما غمض منها ، وسنرى مقدار توفيقه في هذه المحاولة .

فاذا كان الرجل قد خلف بعده ابناً عاجزاً ، ضريباً ، وحيداً

لكنه ترك معه ايضا الاطلاع الواسع على ثقافة عصره والعصور السابقة ، لقد غرس حب المعرفة في نفسه ... فدفعه هذا الحب الى ان يكون مستعداً ابداً لطلب العلم والسعي في طريق المعرفة . كل هذه العوامل رسمت للفتى طريقه فمن التراث العائلي ، الى الذاكرة القوية ، والذكاء النادر الى هذه العاهة التي تركت نفسه تتمزق في كل لحظة باحثه عن العبرة في كل ما هي عليه .

هذه العوامل يضاف اليها عوامل اخرى رسمت للمعري المنهاج الذي سنتبينه في دراستنا الموجزة هذه .

اما ما هي العوامل الاخرى التي اتينا على ذكرها فلا بد لنا ايضا هنا من توضيح حالة عصر كما اتينا على ذلك عند دراستنا للمنتبي . لقد كانت حالة عصر المنتبي والمعري ايضا عاملا اساسيا في خلق المعري ، ثم في حياته العملية والفكرية .

ولست ابغي هنا ان اضع ترجمة لعصر المعري وهذا يستلزم كتابا خاصا ولكن لا بد ان نلم الماما عاما بأهم خصائص ذلك العصر من نواحيه الاقتصادية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والاخلاقية ، والادبية ، والعقلية ، والدينية ايضا ، وذلك عند محاسبة الرجل على آرائه وبنات افكاره نعدره اذا كان له من عذر ، وندينه عندما يفقد ذلك المسبب ، او العذر ...

فمن الوجهة السياسية ، لقد عاصر المعري ثلاثة من خلفاء بغداد ولكنه لم تكن للخلفاء سوى تلك الألفاظ الفارغة ، والالاقاب الفضاضة ، كانوا يملكون ولكنهم لا يحكمون ، واذا جاز لنا ان نطلق اسم خليفة على من كان يتمتع بهذه المكانة لكان ملوك بني بويه احق بها من اولئك الضعفاء من بني العباس ، الذين يجلسون على عروش هي اشبه بالأعيب بين ايدي بني بويه وغيرهم من الجند والامراء والخدم والجواري .

ولقد كان عهد البويهيين من اسوأ العهود فيما يتعلق بالاضطراب السياسي والاذاري في بلاد العراق وفارس .

وفي اقاصي الشرق كانت الدولة السامانية في نجاري تنشر الاسلام ، وفي الاندلس ابتدأت الفتن والمطامع تنذر بالويل والثبور بعد موت عبد الرحمن الناصر

وفي مصر كانت الدولة الفاطمية تأخذ طريقها نحو العظمة السياسية ، فلقد امتد حكم الفاطميين من مصر الى الحجاز ثم الى الشام هذا فيما يتعلق بالعالم الاسلامي عامة . اما فيما يختص ببلاد الشام - سوريا - فسأتناول هنا امرها بالتفصيل نوعاً ما من حيث انها تهتمنا في دراسة المعري ثم تلقي بعض الاضواء على وضعنا القومي الذي يتخبط بعض ادبائنا وكتابنا عن التحدث عنه دون ان يلموا به الماما كفاً وهذا بعض نقص في مناهجنا الثقافي القومي .

لا يمكننا القول ان التغلب الحربي والعسكري في سوريا قد جعل منها بلاداً عربية خالصة .

لقد كانت ديار الشام - سورية - عند الفتح الاسلامي . آهلة بالسكان ، وهم اصحاب حضارة انحدرت اليهم من حمورابي وغيره من مفكري الامة السورية ومن واقع حياتهم ومحيطهم كأمة اتصلت بأكثر أمم الارض المعروفة في تلك العصور ، فلذلك لم يكن من الممكن ان تفنى خصائص تلك الامة العريقة في الحضارة في هذا الفتح الجديد ، ولكنه يمكننا الاعتبار وهذا هو الواقع ان اكثر خصائص الفاتحين قد فويت واضمحلت عندما وجدت نفسها وجهاً لوجه امام خصائص سكان البلاد السورية ، فلذلك ايضا لا يمكننا ان نعتبر اهل سوريا عرباً خالصاً ، ولكنهم امة لها خصائصها ولها اطوارها ، ولها حضارتها . حتى كانت ازمة ما بعد الفتح ازمة الاستقرار

وهنا لا يمكننا في الوقت نفسه ان نهمل دور الفاتح في الاختلاط
بسكان البلاد الاصليين ونشوء جيل جديد خليط ، ولكن هذا الاختلاط
لم يقدر له ان يطغي على حياة سوريا الاجتماعية الخاصة ، كما لم يستطع
ان يقضي على خصائص غيرها من الامم التي خنقت فوقها راية الاسلام
كالفرس ، والهنود ، وغيرهم ، ولكن نسبة الاختلاط بين السوريين
والعرب كانت اقوى واقرب واكثر انسجاماً من غيرها من
الشعوب .

قلنا ان الاختلاط ، فالجوار ، ثم الاشتراك في الاصل اوجد جيلا
جديداً . وحصل هذا كما بينا بطبيعة الفتح ، وحكم الجوار ، ثم
تبادل المنافع .

واذا قلنا ان خلفاء المسلمين وقواد جيوشهم في اوائل الفتح لم
يكونوا ليسمحوا للجنود بالنزول الى المدن ، لتبين لنا ان هؤلاء
القواد كانوا يدركون ان جيوشهم سوف تفتق بهذه الحياة الجديدة على
جنودهم وسوف يندمج الجند بها لانها رائعة ومحبية ومثيرة . ولكن
خلفاء بني امية ضربوا عرض الحائط بهذا التقليد وسمحوا بالاختلاط
بل شجعوا عليه .

اذن نحن ازاء الجيل الجديد الذي كان نتيجة هذا الاختلاط
ولكن هذا الجيل لم يتسم بخصائص الصحراء والجزيرة التي خرج
منها الفاتحون . ما عدا ما يتعلق بالدين فمن المعروف ان الدين هو
الدين الاسلامي الذي اصبح دين الاكثوية الساحقة في دار سوريا ما عدا
بعض العناصر التي شملها الاسلام برعايته وتسامحه فبقيت على دينها .
اما فيما يتعلق بخلاف هذا من نواحي الحياة فنقد تميز هذا
الجيل ومن اتى بعده بخصائص البيئة التي نشأ فيها ، وتلمس الجمال
في طبيعتها والخير والبركة في اهلها وارضها .

من ذلك ، فالفلسفة التي نشأت في الهلال الحبيب - سورية - والادب الذي ترعرع في ربوع هذه الطبيعة المعطاءة الخيرة لا يمكننا ان نشبهه ابداً بما بين ايدينا من شعر البدواة ، ثم نظرهم الى الحياة قبل فتح سورية .

اذن ، لقد كونت الحياة العقلية هذه الاجيال التي نشأت عن هذا الاختلاط .

ومن خضم هذه الحياة الدائبة الحركة اخذ المعري مادته . وفي اعتقادي ان المعري لو نشأ في الحجاز مثلاً بعيداً عن هذه الحياة العقلية والدينية والاجتماعية الحافلة ، لأختلفت نظرته الى الحياة ، والى الاديان ، والى المعتقدات ، ثم الى الناس بأسرهم .

واذا كان عصر المعري قد شاهد انقسام الاممة الواحدة الى دويلات ، لكل منها مصالح خاصة تسيروها التأثيرات السياسية ، والتشكيلات الاقليمية ، والمصالح الشخصية التي لم ينظر فيها الى مصلحة البلاد العليا ، اذا كان كل هذا قد حصل فعلاً ، فكثيراً ما تفرق الأحداث السياسية الامم كما هو الحال في امتنا اليوم وكثيراً ما يتحكم بعض الاشخاص في مرافق الاممة الواحدة فيعملون على تفريقها ، إن بوحى من مصالح الخاصة ، او من وازع اجنبي تتضارب مصالحه واتفاق كلمة هذه الاممة ووحدتها .

ولكن هذا لا يدوم فأدراك ابناء الامم لواقع حياتهم ، وحقيقة امهم لا بد من ان يجمع الكلمة ولا بد من ان يسود الاجتماع بعد التفسخ ، وزوال العوارض السياسية الزمنية ثم التيارات الداخلية الخاصة .

ونعود الى شاعرنا او فيلسوفنا وناقدا المعري لنتأكد انه عاش في خضم هذه البيئة وفي هذا العصر الذي فسدت فيه الحياة السياسية

وانحطت فيه القيم الاخلاقية ثم تحطمت الموازين الاقتصادية امام
جشع المسيطرين على مرافق البلاد .

في تلك الأثناء . وبينما كانت بلاد الشام تضرب يوماً بين
ايدي الحمدانيين ، وآخر بين ايدي الفاطميين ، وتارة في متناول
الروم ، ثم طوراً في ايدي بني مرداس ، وفي خضم هذه التيارات
الداخلية والخارجية حيث كثرت المفاسد والشور ، نشأ المعري وعاش
واختبر مر الحياة وشرها . ولم تداعب شعره نسمة خير واحدة
في سعي هذه الرياح المجنونة .

وإذا كانت حالة العصر السياسية ، والاجتماعية ، والدينية سيئة جداً ،
فان الحياة الادبية والعقلية كانت بالعكس راقية زاهية ، اتت
ثمارها ناضجة طيبة . وما نقوله عن الحياة الادبية والعقلية نقوله بصفة
خاصة عن الحياة الفلسفية .

فلقد كانت حضارات اليونان ، والفرس ، والهند تترجم الى
العربية ثم نشط المسلمون في الرد على المسائل التي اعترضت عقيدتهم
من جراء هذه المذاهب التي عرفتها لغتهم ، فنشأ اخوان الصفاء
وغيرهم من الجمعيات والمذاهب كالمعتزلة ، ثم برزت طبقة الفلاسفة
الذين توسعوا في معالجة امور الناس وما خفي عن الابصار في
عالم الغيب .

في ذلك العصر نشأ التفكير الحر فحكم على اكثر الفلاسفة
بالأحد لانهم جحدوا امورا كثيرة اقرها الدين ، وسجد ان المعري
كان احدى دعائم هذا التفكير .

اذن فالمعري معاصر للأفكار الحرة الطليقة ، ولما كان ذكياً
يشد المعرفة ويطلب الحقيقة وهو طليق حر فلقد ارتسمت امامه
تلك العلامات الكبرى من الاستفهام عن وجود الانسان ومصيره

وفساده . وكان لا بد له من ان يلم الماماً كافيّاً بعلوم عصره ،
ومعارف وقته ، وما سلفه من عصور ، فلذا هاجر طالباً للعلم وناشداً
للمعرفة ،

بعد هذه المرحلة الحافلة بالمصائب والصعوبات .

هذا كما بينا فيما يتعلق بمرافق الحيامن الوجهة العامة وتزيد
على ما ذكرنا من الوجهة الادبية ، اذ انه لا بد لنا من ملاحظة
ظاهرة سيكون لنا معها شأن هاماً خلال هذه الدراسة .

اما هذه الظاهرة فهي انتشار الفلسفة انتشاراً واسعاً ومفصلاً
فان انتشار العلوم الفلسفية ، ثم دراسة الشعراء لها واهتمامهم بها
وادخالها في انتاجهم قد اثر تأثيراً كبيراً في الشعر بصورة عامة ،
ثم في الفاظه ومعانيه بصورة خاصة اذ انه قد استحدثت الالفاظ
الجديدة التي تتناسب مع ما جاء في تلك المذاهب المتباينة المتعددة
وهذا التأثير ادى عند البعض الى الأبهام في بعض الاحيان ، ثم
التعقيد ايضاً ، واصبح فهم الشعر صعب المنال لجميع الفئات ، بل اقتصر
في بعض الاحيان على فئة خاصة .

ثم هذه الالغاز التي استعملت لاختفاء بعض الاغراض والمعاني
والاهداف التي لم تكن مشروعة في ذلك الوقت . بل كانت تتجه
اتجهاً خاصاً يتنافى والعرف الديني والسياسي والاجتماعي المعروف
والمعتمد .

اذاً نحن تجاه المذهب الشعري الحديث الذي لم يكن معروفاً
المعرفة الكافية ، ألا وهو الشعر الفلسفي ،

نحن لا ننكر ان هذا الفن كان معروفاً لدى العرب الاقدمين
امثال زهير وغيرهم ، ولكنه لم يبلغ ما بلغ ايام المعري من العناية
والحُصْب . بل لم يبلغ الشيء اليسير الذي اضحى عليه على ايدي

المعري وغيره من الشعراء والفلاسفة .
اذ ان المعري جسد كل عبقريته في سبيل هذا الفن ، يضاف الى جانب ذلك اتفاقا من المعري وادباء عصره على استخلاص الطريف من المعاني والصحيح منها ، ثم هذا الخيال الجامح زد على ذلك الانسجام التام بين متطلبات العلم من جهة والشعر الحر الطليق من جهة اخرى .
هذه الظواهر كان المعري من انصارها بل واضع الحجر الاساسي في بنائها .

كيف وصل المعري الى ان يكون ذلك الرجل ؟

لقد اختار المعري بنفسه طريقه ، او خطط له القدر هذا الطريق ، فما عليه إلا اتقان الاندماج في الحياة العقلية ومعرفة اصولها والاطلاع على آداب عصره ، والفلسفة المتداولة ، والنظريات الشائعة في ذلك العصر ويقيني ان المعري بعد ان حذق اللغة على يد والده وغيره من اهل المعرفة ففكر ان هذا المحيط الضيق الذي يعيش فيه لا يمكن ان يشبع رغبته في الدرس والتحصيل اذا لم يعد عليه الا توسيع هذا الافق .
ورحل المعري في طريقه الى حلب يطلب المعرفة ، وينشد الحقيقة في اکتال الاطلاع واتساع نطاقه ، وقرأ هناك النحو والأدب ثم اليسير من الفلسفة .

ومن المعتقد ان المعري كان يقيم عند اخواله آل سبيكة ، وهي اسرة عرفت بالادب والوجاهة في تلك المدينة ، ولكن اقامته في حلب كانت قصيرة اذ سرعان ما رحل عنها في طريقه الى انطاكية ومن انطاكية انتقل الى اللاذقية . ولقد اشبعت هذه الرحلة نهم المعري في الدراسة والاطلاع ووضعت اكثر من حجر في بناء مذهبه الفلسفي اذ انه قد لقي في هاتين المدينتين رهبان النصارى ، وبعض مفكرهم لأن انطاكية واللاذقية كانتا وقتئذ من مراكز النصارى الدينية - قلت لقي في

هائين المدينتين بعض مفكري النصارى ، وهذا اللقاء سمح له بالأطلاع على الديانة المسيحية وفلسفة اللاهوت .

اما احدى هذه الاحجار التي ساهمت رحلة انطاكية واللادقية في ايجادها هي اللادرية ، اذ ان اطلاقه على ديانات غير الدين الاسلامي وفلسفات تناهض الدين في مسائل عديدة ، من العوامل التي زعزعت الايمان التقليدي في نفسه ، فلنستمع بهذه الايات ولنلاحظ مقدار هذه الخيرة ... والادرية .

في اللادقية فتنة ما بين احمد والمسيح

هذا بناقوس يدق وذاك بمأذنة يصيح

كل يمجّد دينه ياليت شعري ما الصحيح

انا ارى ان المعري لم يكن حائراً او لاادرياً فحسب ، بل كان ساخراً وناقماً ، انه ينشد الحقيقة ، بين اقوام وعقائد متعددة كل منها يدعى الحقيقة لنفسه ، ولكن الحقيقة لم تنشر بينهم السلام والأمن بل ذرت بينهم الفساد والشقاق ، هذه حقيقتهم ، اذاً فليفتش هو بنفسه عن الحقيقة الصحيحة ، انه انسان مسالم ، انسان مترفع عن العواطف ليس له من امام سوى العقل .

وترك المعري اللادقية بعد انطاكية في طريقه الى طرابلس ، وهناك عاش رديحاً من الزمن في مكتبتها الكبرى يعترف من مختلف العلوم والفنون ، ما قدر له ذلك ثم عاد بعد هذه الرحلة الى المعرفة وكان كما ذكرنا قد فقد ركناً من اركان راحته واطمئنانه بفقده لوالده .

عاش المعري في بلدته بين سنة ٣٨٣ حتى ٣٩٨ ومن المرجح انه حاول ان يتغلب على مصائب الحياة وما تركت في نفسه من

الأسى والألم فيجالس الظرفاء ، وتعرف الى فنون الهزل والجد ، ويقال انه كان من امهر من لعب الشطرنج ، ويقال ان طريقة معيشته ويومياته في ذلك الحين كانت غامضة حتى انه كان يقول : « ان العمى عورة فيجب الإظهار للناس عليه » ومن ذلك انه اضحى يجب الاستتار ، فلقد كان يأكل دون ان يسمح لخدمه ان يشاهده اثناء ذلك . وهذا عندنا دليل من الأدلة على الحذر والحيطه ، ثم الخوف من السنة الناس وملاحظاتهم الذين اخذت اسباب الحياة تبعد بينه وبينهم . ومن المؤكد ان المعري كان يقول الشعر في ذلك الوقت ، فتلك النفس لا بد من ان تجيش بشيء من العواطف والانطباعات فتنشدها شعراً خالصاً يعبر عن هذه العواطف . ويؤكد هذا انه عند رحيله الى بغداد فيما بعد لم يكن مجهولاً ولا مغموراً في اوساط الادب والشعر ، والملاحظ ان هذه الحياة الرتيبة التي كان يعيشها في المعرة لم ترق له ، فذلك فضل ان يرحل الى ديار العلم ، ومنهل الادب والفلسفة وهل تكون صاحبة هذه المرتبة سوى بغداد . ويقال ان هناك الاسباب العديدة التي جعلته يترك المعرة الى بغداد ومنها انه ترك المعرة ليشكو صاحب حلب على سوء معاملته له بعد ان تعرض لما في يده من الوقف ، وفي رأبي ان جميع هذه العوامل اجتمعت لتجعل المعري يشد الرحال في طريقه الى بغداد .

وإذا لم تكن بغداد المرجع السياسي والعاصمة الزمنية بالمعنى الصحيح في تلك الحقبة من الزمن ، فقد كانت العاصمة الادبية دون منازع ، وكانت الهدف الذي لا يجاريه مسعاً آخر لمن ينشد المعرفة الشاملة ، والشهرة الواسعة .

وإذا قلنا ان المعري لم يتنكر حتى الآن للحياة بل يسعى

ويحاول الانتصار على ما اعترض سبيله من عقبات لاممكننا اذا ان
تقول ان وراء رحلته الى بغداد طلب الشهرة والجاه والمال ايضا .
اذاً لقد غادر المعري بلدته المتواضعة في اواخر ٣٩٨ في طريقه
الى عالم جديد لا عهد له به من قبل ، بعد ان ودع امه تلك الام
الخنون التي كانت له اليد الرقيقة الكريمة . والتي اعانتته على النضال
والتجملد والتشجع . ثم هنالك كما اعتقد الهدف البعيد في اعماق نفس
المعري كما سنلاحظ ، هو رغبته باحتلال مكانته في عالم الادب ،
وتأكيد تفوقه وتميزه ، وانتصاره على كوارث الحياة ، كي يعوض
عما يشعر به من نقص في تكريمه . ولم يكن المعري في ذلك
الوقت كما سيكونه فيما بعد ذلك الزاهد الساخر ، بل كان حينئذ
رجلا غير هذا تماما ، اليس هو القائل :

وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم

باخفاء شمس ضوءها متكامل

واني وان كنت الاخير زمانه لات بما لم تستطعه الاوائل
الى ان يقول .

وطال اعترافي بالزمان وصرفه فلست ابالي من تقول الغوائل
فلو بان عضدي وتأسف منكبي ولو مات زندي ما بكته الانامل
اذاً لقد خرج المعري الى بغداد بروح وثابة فيها رغبة
التفوق ، وفيها الكبرياء وفيها الشجاعة ، ثم فيها التعزي والسلوى
عن هذه الحياة الرتيبة التي يعيشها ، والى جانب هذا النضال عن
نفسه والدفاع عنها انه ينبغي مكاناً لائقاً تحت الشمس .
نعم لم تكن للوحدة من وجود في تفكيره ، ولم يكن للزهد

من مكان في نفسه ، ولو كان ذلك لما رحل الى بغداد .
ووصل المعري الى بغداد بعد رحلة شاقة قاسية ، ولكنه اوليست
حياته بأسرها رحلة طويلة شاقة ، ومع هذا وصل بغداد نجماً متألقاً في
عالم الادب ، واتصل بالناس واتصلوا به . وعرف الادباء وعرفوه
واحبه اهلها واحبهم ، وعاشر ادباؤها وفلاسفتها وسمع منهم وسمعوا
منه ، ودق بيديه باب الشهرة ، وفي نظري انه تاه عظمة وكبرياء
وفي هذه القصة الطريفة نبين مدى اعتداد المعري آنذاك : قيل انه
دخل على مجلس الشريف الرضي ببغداد فعثر برجل فقال الرجل :
- من هذا الكلب ؟

فاجاب المعري :

الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً

ان في هذه الرواية مقدار رغبة الرجل في النضال وتحدي الناس
ثم هذه الرغبة الجارحة في المعاندة للعالم والايام .
ولكن الايام عادت تسخر منه وتعاونه ، انه لم يخلق لكي
يكون انساناً اليقياً ، فهو يقول عن نفسه :

انساني الولادة وحشي الغريزة .

ويبدو ان المعري لم يصمت في بغداد بل جادل واقتحم المجامع
ثم قال الشعر ، واسعاره هذه موجودة في سقط الزند . ولننظر هذه
امثلة من شعره وهو في بغداد :

تمنيت ان الخمر حلت لنشوة تجهلني كيف اطمأنت بي الحال
فأذهل اني بالعراق علي شفأاً رزي الاماني لا انيس ولا مال
إلى ان يقول :

سيطلبني رزقي الذي لو طلبته لما زاد والدنيا حظوظ وإقبال

انظر كيف كان يتوجع ويتألم من الناس ومن الاماني المحطمة .
ثم من الناس ايضاً الذين يحسدونه على علمه ومكانته .

ولا بد لي هنا ، من ان اشير الى حادثة تناوها الكثير من
الذين كتبوا عن المعري اما هذه الحادثة التي قيل ان المعري ترك
بغداد بسببها او انها كانت من الاسباب التي جعلت المعري يستعجل
الرحيل عن بغداد فهي قصة طرده من مجلس الشريف الرضي اثر
تلك المناقشة التي دارت بين الرجلين حول المتنبى .

انني ارى ما رآه الاستاذ طه الراوي وما اثنى عليه الدكتور زكي مبارك
من ان هذه القصة غير صحيحة ، ومن ذلك ان المعري رثى والد
الشريف بهذه القصيدة التي مطلعها :

أودى فليت الحادثات كفاف مال المسيف وعنبر المستاف
وفي هذه القصيدة يثني المعري على كل من الشريف الرضي
وشقيقه المرتضي ايضاً .

ابقيت فينا كوكبين سناهما في الصبح والظلماء ليس بخاف
فلو اعتبرنا ان المعري رثى الموسوي ، اي والد الشريف - قبل
هذه الحادثة المزعومة لكان ادب الشريف وكرامة مجلسه ثم
مبادئ الوداد والاخلاص لرجل كنعيب للطالين من جهة - جعله لا يتعرض
لرجل رثى والده ومدحه هو وشقيقه - ثم عليه احترام عاهته من جهة
اخرى . والافتراض الثاني ، لو كانت هذه الحادثة حصلت قبل موت
الموسوي لما اقدم المعري على رثائه ، ثم على مدح الذي اهانه وطرده
من مجلسه فلذا تجدي لا اصدق هذه القصة . كما انني ادعوك انت ان لا
تصدقها .

لقد حاول المعري ان يطيل اقامته في بغداد اذ ان الحياة

العقلية والعملية في بغداد كانت تؤمن له غير قليل من المتعة ،
وكانت حفاوة اهل بغداد به تحببهم اليه .
ولكن الدهر الذي كان قد امعن في ايذائه والاساءة اليه
منذ الصغر لم يرغب ان تطول هذه الغفوة الهائلة ، فاذا بالاخيار
تقد من المعرة ان امه مريضة ، اذا لم يكن من بد إلا ان يشد رحاله
الى المعرة .

اثارني عنكم امران والدة لم القها وثناء غير مسفوتا
هذان سيبان وجيهان الرحيل ، ولكن هنالك الأسباب
العديدة التي جعلت المعري يعجل بالرحيل ، منها انه لم يقدر له
ان يعرض عن النقص الذي كان يحس به ، فلقد كثر حساده
وكثر سخريتهم ، والمعري كما نرى قليل الجلد على مصارعة
الناس ، ومقارعة الخطوب ، وفي اعتقادي انه لو ترك بغداد من اجل
والده او من اجل المال لعاد اليها لأن اكثر الشعراء كانوا
يعيشون برشاء في بغداد .

اذا لقد كان رحيله عن بغداد قد قرر فأتى خبر مرض والدته
ووفاتها يستعجل هذا الرحيل .

وعاد الرجل متعب الى بيته في المعرة ، ولكن ماذا وجد؟
وجد الظلام ، وظل الموت يجثم على صدر هذا البيت ، ان كان
للبوت صدور ، لقد ماتت والدته قبل ان يصل الى المعرة .

تفجع ابو العلاء على امه ما شاء له التفجع :

رحمك الله من ساكنة رمس اصبحت حياتك كأس

لقد تمت المساة ، ولم تكن هذه المرحلة من الاعتقاد بمهادنة الدهر
له ثم التغلب على الاحداث سوى غفوة استيقظ الرجل منها واعصابه
مرهقة ، وعقله مجهد ، ونفسه قد عافت هذه المظاهر ، عندئذ

وضع منهاجاً للحد من هذا النضال مع حياة لا طائل في مناهضتها ،
وسيبقى ابد الدهر لا يقتصر حزنه على والدته فحسب بل سيبقى
هو نفسه رفيق هذا الحزن العميق على نفسه ايضاً :

فان ينقطع منك الرجاء فإنه سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر
واضحى وقد شملته هذه الوحدة يتحسر على ايام بغداد :

يا لهف نفسي على اني رجعت الى

هذي البلاد وقد فارقت بغداد

ومنذ ذلك الوقت ، بعد هذا الفشل الذريع مني به ، لزم المعري
سجنه بل سجونه :

اراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن النبأ النبئث

لفقدي ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيث

ترى كيف كانت حياة المعري في هذه السجون ؟ ما هو دور هذه
السجون في فلسفة المعري وخاصة سجنه الاخير ؟ سنحاول ان
نتبين ذلك في هذه الصفحات القليلة .

لقد كتب المعري لنفسه ان تهرب من الناس وتنشد في وحدتها
ما لم تجده بينهم من الراحة ، والاستقرار والاطمئنان ، بعد ان
سئمت الحياة الزاخرة بالرياء والفساد ، ثم هؤلاء البشر الذين تتراكم في
صدورهم عوامل الغش والخداع .

انها الوحدة ، الوحدة وحدها تحل مشكلته :

في الوحدة الراحة العظمى فأخى بها

قلباً وفي الكون بين الناس ائقال

ولكي يكون الانسان معتصماً بالوحدة عليه ان
ينظي عن الكثير من مطالب الحياة التي تقرها الصلة الاجتماعية .
عليه ان يقنع بما هو فيه ، فلذا قنع المعري بما يأتيه من وقف
يدر عليه القليل من الدنانير في السنة ، ومقتسماً لهذا القليل ايضاً مع خادمه .
الحمد لله لقد اصبحت ذا دعة ارضى القليل ، ولا اهتم بالقوت
ومشكله الوحيد ايضاً ، انه يكون قد فقد الوفاء ، والصدق ،
والاخلاص حتى يبتعد عن الناس بعد ان يكون قد نفذ يده
من وجود من يتسم فيهم الاخلاص الصحيح ، والصدقة الحقة ، انه
القلب ، القلب الذي حرم من قطرات الحنان والحنو .
وما تحسن الايام ان ترزق الفتى وان كان ذا حظ صديقاً يوافقه
يضاحك خل خله وضميره عبوس وضاع الود لولا مراقبه
ارأيت اين يذهب المعري ، انه يتهم الضمائر بالرياء وعدم النقاء .
ولكن هل بقي المعري في الحقيقة رفيق وحدته التي طالما
ارادها لنفسه ، كلا . لم يستمر الرجل رهين هذه الوحدة وقتاً طويلاً ،
بل ان الشعراء والادباء والطلاب تقاطرت على سجنه من اكثر
الاقطار الاسلامية كلها اتت الى هذا المنهل تنهل منه العلم والعرفان ،
وتدرس هذه الصوفية الهادئة ، الثائرة ، الهازئة ، الجادة .
الهادئة بهذه الحياة اللينة اللطيفة الساكنة ، والثائرة بهذه الافكار
العنيفة التي تجلو وتكشف عن حقائق النفوس ، وخبائيا الصدور . ثم
تجمع كي تتناول الى معرفة مصدرها ... ومصيرها .
لقد توفرت عوامل عديدة كي تدفع بالمعري الى ان يتقلسف

فهو الذي فطر على البحث والاستطلاع ، وهو الذي كره رياء هؤلاء الناس وتقليدهم ، ووجدانهم على ضلال من حيث لا يفتقرون .
لذا لم يكن منه إلا ان خالفهم في حياتهم العملية والعقلية فهو الذي اعتزل الناس ومشاربهم وتقليدهم المقيت ... وتحرر من العادات والتقاليد التي تغل تطلع النفوس نحو التحرر والانعتاق ، ثم وضع هذه النفس بين يدي العامل الذي لا يقيم للتقليد اعتباراً ولا للعادة مقاماً ، بين يدي العقل .

ولقد خضع المعري الى سلطة العقل لاسباب قاهرة ، اجبرته على ذلك متكاتفه ، وجعلت منه انساناً مرهف الاحساس بعد ان ابتلته الحياة بالمصائب والآلام . ثم هذه الحياة الاجتماعية التي كانت سبباً الى ابعاد حدود السوء ، وهذه الاحداث من سياسية الى اقتصادية الى دينية والتي قدمنا بايجاز وصفها وتعريفها في مستهل هذا البحث . وهذه الحياة المثيرة ، هذه الحياة القلقة ، ثم طبيعته وغريرته الوحشية كما عرفها هو جعلت منه قلقاً حذراً ثم تطور هذا الحذر وذاك القلق بعد ان رافقتها نفسية الباحث ، المحب لمعرفة الحقائق كي يمكن له تحليلها التعليل الصحيح ، كل هذه العوامل ساهمت في ان يكون باحثاً ومنقباً عن الاسباب والعوامل التي تدفع بالناس الى كل هذه الاعمال . التي تدفع بهم الى سلوك طريق الاعوجاج .

وتطلع المعري ليجد الفساد يشمل اكثر مرافق الحياة ، ففي السياسة استغلال ، وانتقام ، وظلم من رجال فطروا على الجشع والانانية يمتصون دماء الضعفاء والفقراء :

مُلُّ المقام فكم أعاشر أمة امرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجاروا كيدها فمئثروا مصالحها وهم أجراؤها

أما من اين تناول المعري هذه الصور ، وهذه المادة ؟ فانه تناولها من الحياة نفسها . لقد كان المعري منقياً ودارساً ، ومستقصياً ، اطلع على الفلسفات القديمة ، ثم درس الاديان كما تقدم عندما وصل الى النطاكية واللاذقية وبغداد وغيرها كما اطلع على المذاهب السياسية في زمنه وفي الأزمنة السابقة .

نتقل من هذه الزاوية من حياة المعري وارائه الى نقطة هامة في بناء فلسفته ، وذلك عندما نظرق القاعدة التي قامت عليها الفلسفة العلائية ، وعند معرفتنا لهذه الفلسفة يمكننا ان نتلمس معرفة فيما اذا كان المعري قد خالف شرائع الاسلام ام انه بقي محافظاً على ما اتت به الشريعة ، ومقرراً لها .

الواقع ان المعري اعتمد العقل طريقه الى المعرفة فأقر ما اقره العقل ، وكذب ما كذبه ، ولم يتأثر فيما لو انهم مخالفة المعتقدات الدينية التي قد تعترض سبيل العقل ، وبمعنى اوسع حيث يقدم الشرع على العقل .

فالمعري شديد الوثوق من قدرة العقل في الحكم على الحياة ومن انه المقياس الصحيح للمعرفة والعلم . وهذه لزومياته تنطق في اكثر من مناسبة واحدة بايمان الرجل بالعقل ايماناً مطلقاً لا جدل فيه .

سأبع من يدعو إلى العقل جاهداً

وأرحل عنها ما امامي سوى عقلي

ثم انظر كيف يكذب كل عامل سوى العامل العقلي .

كذب الظن لا إمام سوى العقل مشيراً في صبحه والمساء

فاذا ما اطعته جلب الرحمة عند المسير والارساء
لقد اطاع المعري عقله ، فالى اين قاده هذه الطاعة وهل جلبت
له الرحمة التي يدعي والتي ينشد ؟

انا لا اعتقد ان عقل المعري جلب لنفسه الرحمة والطمأنينة
والراحة ، ولو آمن ايماناً مطلقاً بكل هذه المذاهب والآراء التي شك
بها لكانت له الرحمة والراحة عندئذ ، اما عقله فلم يقده إلا الى
الشك والقلق والحيرة ، فأين راحة الايمان ورحمته من رجل يقول .
وانما نحن في ضلال وتعليل فان كنت ذا يقين فهاته
وهذه الحيرة الموجهة .

يخبرونك عن رب العلي كذباً وما درى بشؤون الله انسان
فكيف عرف اذن المعري ربه ؟
لقد عاش فترة طويلة رفيق الحيرة والشك . هل الله موجود
ام غير ذلك ؟

ولقد حاول ان يجد تعليلاً كي يعيش في نعيم الراحة ،
نعيم الايمان فوجد هذا :

فأللال المنيف والبدر والغر
قدو الصبح والثرى والماء
والثريا والشمس والنار والنثرة
والارض والضحي والسماء
هذه كلها لربك ما عابك في قول ذلك الحكماء

انا اعتقد ان المعري كان مؤمناً بقوة غير منظورة ، تحرك هذا
العالم ، وتسيره الى غرض ما ، هذه القوة هي الله .
ولكن المعري مع اعترافه بوجود الله يتجاهل البحث في

صفاته ، وليكنه لا يسعه إلا ان يقول بأن الله قدير ، ومثال ذلك ما تقدم في الابيات التي ذكرناها عن بسط سلطته على التريا والهلال والشمس والارض وغيرها من الكواكب ، والمعري ايضا موحد حين يقول :

بوحداية العلام دنا فذرني اقطع الايام وحدي
وكأنما المعري لا يرغب ان يخوض في ماهية الله وحقيقته فيقول في هذا .

الله اكبر لا يدنوه له القياس ولا يجوز عليه كان او صار
ولكن هذه الراحة والايمان بوجود الله ثم اتصافه بالقدرة والوحدانية لا تبعث الطمأنينة في قلب المعري ، وهو يرى ما في هذه الحياة من شرور منتشرة ، وآثام ترتكب كل صباح ومساء ، ويرى الدنيا :

قد فاضت الدنيا بأدناسها على براياها واجناسها
وشك المعري من هذه الناحية شأنه شأن اكثر المفكرين والفلاسفة العالمين ، الذين وقفوا من هذا الامر موقف الحائر . ما دامت الحكمة والعدل والقدرة من صفات الله فلماذا امر الشقاء منتشر ، والمآسي مستفحلة ؟ ولماذا بوادر السعادة مفقودة ؟ ولماذا عوامل الفساد والشر مهيمنة على الارض ومن فيها ؟
ولزوميات المعري زاخرة بمثل هذه الاسئلة الصريحة التي تدل دلالة واضحة ليس فيها مواربة على ان المعري كان مؤمناً ايماناً مطلقاً بالله ، واذا كان قد انتابته فترات من القلق في بعض الاحيان فهذا ليس بغريب على شخص ابتلته الحياة ، وسخرت منه الايام ، وتحامل عليه القدر ، انما هذا لا يمنع ان يكون مؤمناً

وإذا اردنا التوسع في هذه الناحية من نواحي فلسفة المعري
لثبت لنا ان المعري اسلامي العقيدة فيما يتعلق بصفات الله ووحدانيته ،
كما يتفق بذلك مع عامة الديانات ثم يجاري الفلاسفة ايضا .

انفرد الله بسلطانه

فما له في كل حال كفاء

وانظر كيف يقر بوحداية الله .

توحد فان الله ربك واحد ولا ترغبن في عشرة الرؤساء

وهذه احدى القضايا التي جعلت ايمان المعري في بعض الأحيان
قلقاً نوعاً ما ألا وهي مشكلة الصلاح على الارض ، فالمعري يؤمن
بالقدرة الشاملة ، والوحدة المطلقة لله تعالى . فكيف اذن فقد
الصلاح والخير على الارض ؟

وإذا اعتبرنا ان قدرة الله انزلت الأدیان على الارض بغية
الاصلاح والهدى .

وإذا اعتبرنا - كما يرى المعري - ان هذه الادیان نفسها لم تحل المشكلة
بل زادت بها تعقيداً :

لقد حجب الدين والضياء وانما ديننا رياء

كم وعظ الواعظون منا وقام في الارض انبياء

فانصرفوا ، والبلاء باق ولم يزل داؤك العياء

عندئذ يبرز امامنا هذا السؤال ، هل المعري على حق في هذه
النظرة الى الأدیان والانبياء ؟

الحقيقة ان حالة العصر السيئة من اكثر الوجوه عامة ، والدينية منها
بصفة خاصة تترك النفس الحساسة رهينة الخيرة والشك ، فالفساد
المنتشر وإستغلال رجال الادیان للوضع الاجتماعى يترك الاديب

والمفكر في حالة لا تبشر بأيمانه بصلاح رجال الادبان ، ثم في
الادبان نفسها .

واذا جاز لنا ان نتكلم في هذا الموضوع محاولين ايجاد عذر
للرجل في هذا الصدر لقلنا :

ان جميع الادبان لم تقم على مبانيء التسامح والرحمة والمحبة كما يقال
بل انها بأسرها عمدت عمداً او مجبرة على الحرب ، والنزاع ، والقتال
في سبيل تدعيم شرائعها وتثبيت كلمتها ورسالتها ، واذا كانت
بعض الادبان قد لحق بمشيعيها العذاب والاضطهاد فما ذلك إلا لأن
اهلها كانوا في ذلك الوقت مستضعفين ، ولم يكن ذلك تسامحاً ورحمة ،
ودليل ذلك انه عندما قويت شوكة اهلها عمدت الى القوة في
فرض وجودها .

ونقطة اخرى في هذا السبيل ، فاذا كانت هدف جميع الادبان
موحدة هي سعادة الانسان وتهيئته الى بلوغ الحياة الاخرى طاهراً
صادقاً ، والامتناع عن اتيان الأثم والمنكر ، فلماذا اذن تجد هذه الادبان
نفسها واصحابها في تطاحن مستمر ، وفي تكالب على هذه الحياة الدنيا .
اذا كان الامر كذلك فالمعري من هذه الناحية صاحب عذر
وجيه ، ولا بد لي ان اذكر هنا ايضا ان المعري لم تكن
له القدرة على التجلد حتى في مناقشته وآرائه لمثل هذه الامور ، ولو
لم يكن له وضمه الاجتماعي الخاص ، ثم موضوع نظره ، ولو كان في عصر غير
عصره لاختلقت حتماً نظراته الى الحياة . والى العدل والى كل شيء .
ولكنني مع كل هذا ارى ان المعري لم يوجد لنفسه مخرجاً
لما ورط نفسه بورطة اكثر تحاملاً ، واكثر شدوذاً عن المعنى
المألوف ، وذلك عندما وضع الحق كل الحق فيما يتعلق
بهذه الناحية على الادبان نفسها وعلى رجال الادبان ايضا .

كتاب محمد ، وكتاب موسى وانجيل ابن مريم ، والزبور

نهت امماً . فما قبلت . وبارت نصيحتها ، فكل الناس بو

والمعري في هذه الناحية ايضاً متشاماً محارباً ومقدعاً في هجائه

مساجدكم ومواخيركم سواء فبعداً لكم من بشر

وما انتم بالنبات الحميد ولا بالنخيل ولا بالعش

اريد من كل هذا ان اصل إلى هذه النتيجة التي اعتقد ان

المعري كان يعتقدها ويقرها . هذا الاعتقاد الذي شذبه عن المعتقد

الديني وهو ان جميع الشرائع من صنع البشر وليس لله فيها اي

رأي . وان الرسل ليسوا اهل الرحمة ، واصحاب الحق ، والدعوات

الصالحة ، وليس هم يرسل خير كما يعتقد عامة الناس ، بل كانت

له بالانبياء نظرة تختلف عن هذا بكثير .

والواقع ان المعري كان يعلق الكثير من الآمال والاماني على

الانبياء في مستهل لزومياته فهو يعتقد ان عامل النبوة اجتماعي وجدت

لتهذيب النفس وصقل الأفتدة :

وموه الناس حتى ظن جاهلهم ان النبوة تمويه وتدليس

قالت معاشر « لم يبعث إلاهم الى البرية عيساها ولا موسى

ولو قدرت لعاقبت الذين طغوا حتى يعود حليف النبي مرموساً

الى هنا والمعري يدافع عن النبوة ويعتقد انها ضرورة لسعادة

البشر وخير الانسانية . ولكن هل بقي المعري متين الايمان

بصلاح النبوة وخيرها وضرورتها لسعادة البشر ؟ الجواب ، كلا ، لم يستمر

ذلك طويلاً فسرعان ما قذف المعري بهذا الرأي ضارباً عرض

الحائط بكل رأي ، ليس هو من المفكرين الاحرار ؟ ألم ينتقد رجال الدين دونما خوف من غضبهم ، فهو والحالة هذه لا يقبل الاشياء على علاتها بل يدرس ويحقق ، وحسبه من هذه الحياة اعتقاده بأنه لم يداري ، فلقد ضرب رجال الدين ضربته ، وقال فيهم رأيه الصريح الحر دونما خوف ودونما مداراة

رويدك قد غررت وانت حر بصاحب حيلة يعظ النساء

يحرّم فيكم الصبهاء صبغاً ويشربها على عمد مساء

ثم ليس قوله : في اللاذقية فتنة ... الخ ألا يدل كل هذا على ان الحقيقة لم يعرفها احد من هؤلاء جميعاً ، بل انها لا زالت بعيدة عنهم .

وهذا هو الآن يصل الى الانبياء ويقول فيهم رأيه صريحاً ، ويشك بكتبهم التي قالوا انها أتت عليهم من السماء :

ولا تحسب مقال الرسل حقاً ولكن قول زور سطره

وكان الناس في عيش رغيد فجاءوا بالمحال فكدره

ثم هذا التقاتل بين الشرائع والمذاهب :

اتي عيسى فبطل شرع موسى وجاء محمد بصلاة خمس

وقالوا لابني بعد هذا وأودى الناس بين غد وامس

هذه الشرائع التي تكذب بعضها بعضاً ما نصيبها من الصحة ؟

ارأيت فالمعري يضع امر الفوضى والاختلاف ، وتكدر الحياة

على الانبياء واصحاب الرسالات .

انا اعتقد ان المعري كان مؤمناً بالله ايماناً مطلقاً ، كما انه

لا يرى ثمة سبباً بين السماء والارض ، لذلك فهذا الفساد المنتشر في الارض ليس للقدرة الالهية اي رأي فيه ولا دخل في انتشاره والاديان السماوية لم تقدر على محوه بل زادته انتشاراً ، وليس لله اية علاقة في هذا كله .

إله قادر وعبيد سوء وجبر في المذاهب واعتزال وظواهر الحياة تدل ايضاً على وجود خالق عظيم ، رتب هذا الكون وأوجده :

عجبي للطبيب يلحد في الخالق بعد درسه التشريحي ولكن المعري مع ايمانه بالله ومع اعتقاده بفساد الاديان ، يعتقد ان اصلها هو الدين الاسلامي ، وانسب الانبياء هو النبي محمد ﷺ ، وانا ارى انه ليس للتقليد الموروث اي دخل في هذا الرأي ، فالمعري اخذ من الاديان ما اتفق مع تفكيره وصادف ان اتفق الدين الاسلامي اكثر من غيره مع نظريته الى الحياة والى معاملات الناس والاصح لهم ، فوجد ان الدين الاسلامي هو ذلك الدين الاصلح والأجدر للحياة ، لذا احترم النبي وقدره بل ومدحه :

دعاكم الى خير الامور محمد وليس العوالي في القنا كالسوافل
فصلي عليه الله ماذر شارق وما فت مسكاً ذكره في المحافل
ونعود مذكرين اجمال رأيه في الأديان :

انما هذه المذاهب اسباب لجذب الدنيا الى الرؤساء
ترى هل اراد المعري بالمذاهب هنا مذاهب المعتزلة ، واخوان
الصفاء وغيرها من المذاهب في الاديان الاخرى . كلا . بل قصد

مجل الأديان :

وخلاصة القول في هذا ، ان المعري يعتقد بوجود إله رغم ما انتابه من شك اول الامر في مثل هذا الاعتقاد ، ومع كل هذا ، فان هذا الاعتقاد اصبح حقيقة راهنة .

اما الاديان فانها لم تحقق الاغراض التي اتت من اجلها ، بل زادت في الخلاف ، وبذر الشقاق والنزاع بين الناس ، وان العدالة الاجتماعية لم توجد يوماً وسوف لا توجد لان طبيعة الانسان وخاصة المسيطر منه قائمة على الشر والفساد .

للمعري العذر في هذا . فان الحياة الاجتماعية في ذلك الوقت كانت معدومة تماماً ، لان الامراء والملوك كانوا يحكمون ، ويتصرفون بأمور الناس كما يطيب الاهواء والنزعات دونما رادع او وزاع ، ولم يكن للرجل العادي ، اي رأي ولا توجيه في اي امر من الامور . وسنعود الى نظرة المعري فيما يتعلق بأساليب الحكم في مكان آخر ولقد اثبت نظريته في الاديان اختلاف اهل الدين الواحد وانقسامهم على انفسهم شيعاً ومذاهباً ، هذا الانقسام الذي زاد الشقاق ، وزاد البغضاء ايضاً فاندفع الناس السدج الى خضم من النزاع لانهاية له :

شيع اجلت يوم خم ما نشنت
والناس في ضد الهدى متشيع
أخرى تعارضها بيوم الغار
لزم العلو وناجى شاري

ثم سخريته من المتصوفين :

صوفية مارضوا للصوص نسبتهم
تبارك الله ، دهر حشوه كذب
حتى ادعوا انهم من طاعة صوفوا
فالرء فيه بغير الحق موصوف

الناس دائماً وابدأ اصل الشر والبلاء ، وطبيعتهم كما يعتقد دائماً منذ الفطرة رقيقة الشر والفساد كما تقدم .

وهكذا كان اهل الارض قد فطروا

فلا يظن جهول انهم فسدوا

ونعود مع المعري الى الارض ، فهو اذاً يعتقد بأن الفساد متمكن من النفوس منذ الازل ، انه ليس بدخيل على القلوب ، بل هو في صميم نشأتها ولقد زاد هذا الفساد في الانسانية تكالب الرؤساء على الانتفاع من مراكزهم .

مل المقام فكم أعاشر امة امرت بغير صلاحها امرؤها

انني افهم هنا ان المعري لا يفضل الملكية وحكم الامراء ، فهو يعتقد ان الامراء يستغلون مكانة عائلاتهم ، ووضعهم الاجتماعي لأمر ليست في مصلحة الرعية في شيء . اذن فالمعري كان يكره جميع أساليب الحكم التي كانت معروفة في عصره ، كان يعتقد ان المراكز والنفوذ تساهم في تمكين الفساد ، وفي ابراز ما تحمل النفس الانسانية من شرور وآثام .

والمعري ديمقراطي النزعة ان جاز لنا ان نطلق عليه هذه الصفة ، فهو يكره الاقتدار بالنسب .

لا يفخرن الهاشمي على امرىء من آل برم

فالحق يحلف ما علي عنده إلا كقنبر

والمعري يرى ان اجتماع الناس يزيد من اضطراب الاهواء والتهالك على المفاسد والذائد . وهذا حق فان طبيعة الجبلي او

البدوي اكثر صفاء وعزة وطيبة من واقع المدني بصورة عامة .
اذا كثر الناس شاع الفساد دكما فسد القول لما كثر
ولو كان في المجتمع الخير ، وفي الاجتماع الصلاح لما عجز
المعري عنها .

والمعري وهو الذي عرف شعور الضعيف والفقير ، وشعور
الغني والقوي ، وادرك تمنيات النفس الانسانية دافع عن الضعيف
وطالب الغني بمساعدة الفقير ومشاركته في امواله وانتاجه مشاركة
عادلة تضمن لكل منها حصته ، ولا يعني هذا انه شيوعي كما
تعني الشيوعية اليوم ، وهو الذي هاجم حكم الامراء لا
يجذ ايضاً كما ارى حكم الطغاة والاستبداد من البشر الذي يرغبون
صهر القوى الانسانية في بوتقة تنتج الدمار والحراب وتبسط بالناس
بطشاً جباراً لا رحمة فيه ، وكيف يتفق هذا مع الذي دعى الى
الرحمة بالحيوان مع المذاهب التي لا ترحم ولا تغفر ولا تقرر
برغبات الانسان ، ولا تحترم انسانيته ، معتبرة اياه آلة بيدها تستغل
امكانياته دونما السماح له بأن يكون حراً في تفكيره ، وفي عمله
وفي رغباته المشروعة .

ياقوت ما انت يا قوت ولا ذهب

فكيف تعجز اقواماً مساكيننا

واحسب الناس لو اعطوا زكاتهم

لما رأيت بني الاعدام شاكيننا

ليس هو بشيوعي ولكنه انسان ، اديب ، وشاعر ، وفيلسوف

يرغب في مشاركة الناس بعضهم لبعض في السعادة ما امكن ذلك،
وما اراد الا الرفق بالناس من بني الناس حتى العميد اراد الرفق
بهم والحيوان ايضا .

اذا كسر العبد الاناء ففده اذاة له ان الاناء الى كسر

قلت ان المعري كان فيلسوفاً ، وكان شاعراً ، فلذا لا بد له
ان يقول في امور الحياة واهلها ما يجده على انسجام يتفق مع ميوله وارائه
وهذا ما وعدنا به في تبين الخصائص التي قامت عليها الفلسفة
العلائية من آلهية واجتماعية ، وقلت ايضا ان فلسفة المعري وجدت ان
طبيعة الانسان فاسدة ومن هذه الزاوية نظر المعري إلى الناس ، وازيد
هنا في توضيح هذه النقطة التي ارتكزت عليها اكثر فلسفة المعري
الحياتية ،

ان مازت الناس اخلاق يعاش بها فانهم عند سوء الطبع اسوء
جری الناس مجرى واحد في حياتهم

فلم يرزق التهذيب انثى ولا فحل

الم تر ان الخير يكسبه النقي طريفاً وان الشر في الطبع متلد
هذه من اراء المعري ، او اقوله في طبيعة الانسان وهذه الراء
قادته الى ان يكون جبرياً .

حوتنا شرور لا صلاح لمثلها فان شد منا صالح فهو نادر
وما فسدت اخلاقنا بأختيارنا ولكن بأمر سببته المقادر
وفي الاصل غش ، والفروع توابع وكيف وفاء النجل والاب غادر

اذن ليس هنالك إلا ان تقبل ما يقع وما يصادفنا في حياتنا
بالرضى والاستسلام دونما اعتراض لانه ليس لنا اي رأي في ذلك
حتى وجودنا في هذه الحياة ليس لنا اي رأي فيه ايضاً ، ورحيلنا
عنها من الالغاز الغامضة .

خرجت الى ذي الدار كرهاً ورحلتي

إلى غيرها بالرغم والله شاهد

ولم تفلت الدنيا من سخطه و غضبه ، واذا قلنا انه اطلق عليها
اسم أم دقور ، تبين لنا انه كان ينكر عليها حسناتها ، واذا كان
في بعض الاحيان لا ينكر انها خيرة ولكن هذا الاقرار بصلاحها
لا يدوم طويلاً عندما يعود الى ذمها والحمل عليها .
لذا كره المعري الدنيا ، وفضل العدم على هذه الحياة التي ليست
سوى مرتعاً للشرور .

ولم يقتصر امره على هذا فحسب ، بل وجد ان وجود الانسان
في هذه الحياة بجد ذاته من ضروب العبث والخطأ الذي لا طائل
فيه ، فلذا فضل بل نادى بقطع النسل ، واعتبر ان النسل جناية
على الابرياء الذين في الغيب لانهم ارسلوا الى بيئة موبوءة كان
اصح لهم لو لم يصلوا اليها بل لو لم يخلقوا ابداً .

على الوالد يحنى والد ولو انهم ولاة على امصارهم خضباء

ثم ليس اكثر من هذا الرأي يبين مدى كره المعري للنسل .
هذا جناه ابي علي وما جنيت على أحد

اذن فليس سوى الموت المخلص من هذا الواقع الاليم الذي
نعيش فيه ، وهنا برزت للمعري مشكلة كان لا بد له ان

يعطي رأيه الصريح فيها ، وهي حين موت الانسان ، الى اين مصيره ؟
و اذا كان المعري يعتقد كما يعتقد غيره من الفلاسفة بأن جسد
الانسان من تراب :

تراب جسومنا وهي التراب اذا ولى عن الآل اغتراب
فما هو يا ترى رأي المعري بالروح ؟

ليس من شك في ان المعري عرف ماهية الجسم ، ولكن
هل عرف حقاً ماهية الروح ؟
يمكننا ان نقول بصراحة ، لا . لم يعرف ماهية الروح بل
كان مقلداً في هذا .

الروح طائرٌ محبس في سجنه حتى يمن رداه بالاطلاق

اما الى اين مصير هذا الطائر بعد خروجه من سجنه ؟ يجيب
المعري على ذلك بصراحة ايضا ، بأنه لا يدري كشأن الفلاسفة فيما
يتعلق بما وراء الطبيعة .

دفنهم في الارض دفن تيقن ولا علم بالارواح غير ظنون

وتبرز لنا هنا قضية دينية ثانية ، ما رأي المعري في البعث اذن ؟
فلاسلام يقول بجلود الارواح ، وانها تنقل بعد الموت الى الملاء
الاعلى ، حتى الاجساد تبعث يوم القيامة فتشقى هنالك او تسعد
حسب اعمالها في الارض ، فهل كان المعري هنا مسلماً .

الواضح ان المعري هنا مضطرب العقيدة ايضا ، وليس له في البعث
رأياً ثابتاً ، فتارة نراه يقول بالبعث ، وتارة ينكر ذلك .

قال المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الاجسام قلت اليكما

كان رأيكما فلست بخاسر او صح قولي فالحسار عليكمما
هنا نجده يقول بمبدأ الرهان الذي قال به مونتسكيو فيما بعد ،
ولكن هذا الامر لا يطول لدى المعري اذ سرعان ما يعود
هذا قائلاً :

طمنا الايام حتى كأننا زجاج لا يعاد له سبك
ولكن المعري مع شكه في البعث المزعوم نجده يؤمن بقدرة
عليه اذا اراد ذلك .

قدرة الله حق ليس يعجزها حشر لجسم ولا بعث لاموات
والمعري في هذا يوناني النزعة لا يلتقى بالنزعة الاسلامية إلا ما ندر
من الوقت ، ليعود ويفترق عنها طويلاً .

ونعود مع المعري الى فلسفته العملية او الحياتية لتبين بقية
في مشاكل الحياة وامور الناس .

اذا قلنا ان المعري يعتبر ان الولادة جنائية ، فكيف ترى
في الزواج والنساء وهما الوسيلة الصريحة والوحيدة للولادة ، لقد
في ذلك ناهياً ومحدراً من الزواج :

ان انت لم تملك وشيك فراقها فعف ولا تنكح عوانا ولا بكرأ
ثم انظر كيف يفضل الرهينة على الزواج :

يعجبيني عيش الذين ترهبوا

سوى اكلهم كد النفوس الشحائح

ورأي المعري صريح في هذا المعنى ، فهو يعتبر ان في الزور
كل الشر للرجل لأنه يكلفه مطالب عديدة بينما يرحب بزور
المرأة ويحث عليها على ذلك .

واطلب لبنتك زوجاً كي يراعيها

وخوف ابنك من نسل وترو

ومرد ذلك كما أرى الى سوء ظنه بالمرأة على الاطلاق ، واعتق
ان العفيفة الطاهرة فيهن نادرة ، وللمعري في المرأة اراء غريبة
اراء قاسية تبلغ حد الظلم ، وملخص هذه الراء :
انه يرى ان المرأة لا تصلح لشيء لأن في نفسها كل الشر ، وكل الغر
حتى انه حرم عليها العلم اذا امكن . واذا كانت لا بد
من العلم فلتتعلم النسج والغزل :

علموهن النسج والغزل والردن واخلوا كتابه وقراء
ثم في موضع اخر :

ألا ان النساء حبال غي بهن يضيع الشرف التلب

ورأي المعري بعد كل هذا في المرأة واضح كل الوضوح ومعرو
كل المعرفة ، واشعاره فيها كثيرة وكلها تدور على مهاجتها .
ولقد اعرض المعري عن النساء - او هن اعرض عنه -

اعرض عن اللذائذ بوجه عام ، وكان يعتبر ان اللذة تورث الألم
يضاف الى ذلك انه كان زاهداً قانعاً بما هو فيه من الفاقة .

ولم اعرض عن اللذات إلا لان خيارهن عني خنسة

ولقد كان يرى ايضا الاشتراكية في النساء .

وما دمنا قد تناولنا موضوع الاشتراكية ثانية ، فهل كان

والمعري اشتراكياً كما هي الاشتراكية في مفهومنا العصري ، منهم
من يقول بذلك ويعتمد قوله :

لو كان لي او لغيري قدر انملة من البسيطة خلت الامر مشتركاً
الجواب على ذلك : هو ان المعري لم يكن اشتراكياً كما هو المفهوم
الحالي للأشترائية ، ولكنه كان فيلسوفاً يطلب المساواة والراحة
للإنسان ، اما النظام الاشتراكي فلم يكن يفكر به مطلقاً ، بل
كان يطلب العطف على الفقير ، ويتمنى ان يعيش الضعيف عيشة
ثمينة كأنسان له في الانسانية ما لغيره

كيف لا يشرك المضيفين في النعمة قوم عليهم النعماء
والمعري كما ذكرنا سابقاً ينشد الرحمة والعطف ليس للأنسان
بحسب بل لسكل ذي روح ، وقصة المعري مع الديك مشهورة
ثبتت هنا ذلك بقوله :

لا تأكلن ما اخرج البحر ظالمًا ولا تبغ قوتاً غريض الذبائح
ولا تقجعن الطير وهو غوافل بما وضعت فالظلم شر القبائح
ومذهب الامتناع عن أكل اللحوم منتشر في الهند ولدى الكثير
من الفلاسفة ، ولكن لنا هذا السؤال البسيط هنا : ما هو موقف المعري
من لو ثبت ان للنبات روح ايضاً ؟ الواقع ، والحالة هذه لقد كان على
إنسان ان يموت من الجوع .

لقد بينا في هذه الدراسة المقتضبة الأسس التي قام عليها المذهب
الإنساني وعالجنا نواحي هذا المذهب ، وبقي علينا ان نبين خصائص
المعري وشعره وأدبه .

كان المعري شاعراً لبقاً ، وفحلاً من فحول الشعر وهذه هي

لزومياته خير دليل على انه كان شاعراً مطلعاً وهو الذي اخذ نفسه
في نظم لزومياته بلزوم ما لايلزم ، فجعل القافية في حرفين حيث يكن
الحرف الواحد ، وجعلها في ثلاثة حيث يكفي الحرفان .

وإذا كان المعري قد ظهر في بعض من شعره غامضاً ، فهذا
يشوه ولا يحط من مقدرته الفنية ، بل ان ذلك اقتضته الظروف
الزمنية والدينية والاجتماعية ، ومع ايماني بعبقرية المعري لا بد لي
ان اقول هنا : ان المعري هدم اكثر مما اشاد ، ومنها يك
من امر زمنه ومصائبه فان تلك العبقرية كان عليها ان تتطو
الحياة بأراء فيها التشييد والبناء الذي يدفع بالعبقرية الانسانية مراد
بعيدة في طريق التقدم والمجد .

والمعري الى جانب كل هذا خصب الخيال . وسنثبت
مختاراتنا المزيد من رسالة الغفران التي كتبها المعري سنة ٤٢٤ هـ
الرد على رسالة كان قد بعث اليه بها رجل من ادباء حلب اسما
علي بن منصور ، المعروف بابن القارح .

اما اسم هذه الرسالة فيعود الى ان الكاتب كثيراً ما استعمل لقب
« الغفران ... ومشتقاتها » فهو اول ما يطرح على سكان الجنان
الاسئلة « بم غفر لك » وعلى اهل النار ، « لم لم يُغفر لك ؟ »
وهذه الرسالة في اعتقادي ثمرة ناضجة من ثمار عبقرية المعري
وهي تشبه الألعبوة الآلهية لدانتي . وفيها طرافة وسخرية لاذعة
وفيها غنى واطلاعاً واسعاً ، ثم هذا التهمك باقدس مقدسات الأنسان ، وذلك
بجعله الله شرطياً عمه ارضاء شهوات المخلدن في تلك الجنة
لا تمت بصلة الى الجنة التي عرفت عنها الكتب المقدسة ، وفي
الرسالة يظهر فن المعري النثري ايضا .

وسوف لا اطيل الحديث عن « رسالة الغفران » فها هي الرسالة بنفسها بين يديك . وسوف تتلمس بنفسك ما انطوت عليه عبقرية المعري من خيال خصب ، وما جمعت هذه العبقرية من قدرة واسعة في الأطلاع على آداب المتقدمين ، إلى هذه البراعة الراسخة في اللغة ، واذا كانت بعض مفردات الرسالة صعبة غامضة ، فما ذلك إلا لان المعري اراد كما يظهر ان يثبت مقدرته اللغوية ، ثم توجيه النقد بهذا الاسلوب الذي يجمي في غموض اكثر الفاظه بعض مقاصد المعري وسخريته ،

واعيد هنا من اني سوف لا اطيل في الحديث عن رسالة الغفران فانا اعتقد ان التعريف بهذه الرسالة والحديث عنها والتفلسف حولها ، يشوه ما لهذه الرسالة من طرافة وجرأة قلما نجدها عند اي مفكر مسلم آخر ، واذا سمحنا لأنفسنا ان نذكر رأياً عن هذه الرسالة فنقول : انها تنمة لاراء المعري وعقيدته ونظراته الى الكون والحياة والناس ايضاً . اما لماذا اثبتناها هنا اي قبل المنتخبات الشعرية فما ذلك الا لأنها نثرأ ، بل هي بنفسها اثرأ طريفاً خالداً وبذلك نحرص على جمال الفن الطباعي ، فيأتي نثر المعري بعد دراستنا عنه ، ويتبع ذلك المنتخبات من شعره .

توطئة الرسالة

وصف رسالة ابن القارح

وصلت الرسالة التي مجراها بالحكم مسجور (١) ، ومن قرأه لا شك مأجور (٢) ، اذ كانت تأمر بتقيل الشرع (٣) ، وتعييب من ترك اصلا الى فرع . وغرقت في امواج بدعها الزاخرة ، وعجبت من اتساق عقودها الفاخرة . ومثلها شفع ونفع ، وقرب عند الله ورفع .

وفي قدرة ربنا جلت عظمته ، ان يجعل كل حرف منها شيع نور ، لا يمتزج بمقال الزور «٤» ، يستغفر لمن انشأها الى يوم الدين ، ويذكره ذكر محب خدين . ولعله ، سبحانه ، قد نصب المنجية من اللهب ، معاريج من الفضة او الذهب ، تعرج بها الملائكة من الارض الراكدة الى السماء ، وتكشف سجون الظلماء ، بدليل الآية : « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » وهذه الكلمة الطيبة كأنها المعنية بقوله : « الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة ، اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها . » وفي تلك السطور كلم كثير كله عند الباري ، تقديس ، اثير ! (٥)

(١) مسجور ، مملوء

(٢) مأجور ، مثواب

(٣) تقيل الشرع ، اي التمسك بالقوانين الدينية

(٤) الزور ، الكذب

(٥) اثير ، محبوب

رسالة الغفران

القسم الاول

— الجنة —

وصف الجنة

الاشجار والانهار — وصف الحرة

و كأني وقد غرس لمولاي الشيخ الجليل ، إن شاء الله ، بذلك الثناء ،
شجراً في الجنة لذيذ اجتناء . كل شجرة منه تأخذ ما بين المشرق
والمغرب بظل غاط ، ليست في الاعين كذات انواط (١)
وتجري ، في اصول ذلك الشجر ، انهار تختلج من ماء الحيوان (٢)
والكوثر (٣) يمدها في كل أوان ، من شرب منها النعبة (٤) فلا
يموت ، وقد أمن هنالك القوت . وسعد (٥) من اللبن متخرقات
الله تغير بان تطول الأوقات . وجعافر (٦) من الرحيق المختوم ،
قال علقمة

رشفني الصداع ، ولا يؤذيه حالبها

ولا يُخالط ، منها ، الرأس تدويم (٧)

[١] ذات انواط : اسم شجرة ورد ذكرها في الحديث .

[٢] ماء الحيوان : اي ماء الجباه .

[٣] الكوثر : نهر في الجنة تتفجر منه جميع انهارها .

[٤] النعبة : الجرعة .

[٥] سعد : السواقي .

[٦] جعافر : جداول .

[٧] تدويم : الدوار الذي يحصل نتيجة السكر .

ويعمد اليها المغترف بكؤوس من العسجد ، وأباريق خلفه
من الزبرجد (١) ولو نظر اليها عدي بن زيد (٢) ، لشغل عن الماء
والصيد ، واعترف بأن اباريق مدامه أمر هين لا يعدل بناظر
من حمصيص (٣) ، او ما حقر من خربصيص (٤)
فاما الاقشير السعدي (٥) فإنه قال ، ولعله سيندم :

افنى تلادى ، وما جمعت من نشب

قرع القوازيز افواه الاباريق (١)

ما هو وما شرابه ؟ تقضت في الخائنة (٧) آرابه ! لو علم
تلك الاباريق لأيقن أنه فتن بالغرور ، وسر بغير موجب للسرور
وكم على تلك الأنهار من آنية زبرجد وياقوت ! بين اصفر ، وام
وازرق ، يخال ان لمس أحرق ، كما قال الصنوبري (٨)
تخيله ساطعاً وهجه فتأبى الدنو الى وهجه
وفي تلك الانهار أوان على هيئة الطير السابجة ، والغانية على
الماء السائجة ، فمنها ما هو على صور الكراكي (٩) وأخر تشاك

[١] الزبرجد : حجر كريم

[٢] عدي بن زيد : شاعر عرف عنه وصفه للخمر ، وهو نصراني وجاهلي .

[٣] حمصيص : نبات حامض .

[٤] خربصيص : نبات له حب يتخذ منه طعام .

[٥] الاقشير السعدي : شاعر اموي ، كوفي اشتهر بوصف الخمر .

[٦] القوازيز : اقداح الشراب .

[٧] الخائنة : اي الدنيا .

[٨] الصنوبري : شاعر حلي اشتهر بوصفه للجنانين .

[٩] الكراكي : ج . الكوكبي : طائر كبير

المكايي (١) وعلى خلق طواويس وبط ، فبعض في الجارية (٢) وبعض في الشط . ينبع من افواها شراب ، كأنه ، من الرقة شراب ، لو جرع منه جرعة الحكمي (٣) لحكم بانه الفوز . وشهد له كل وصاف للخمر ، من محدث وعتيق .

انهار العسل

ويعارض تلك المدامة انهار من عسل مصفى ما كسبته النحل الغادية الى الأنوار (٤) ولا هو في موم (٥) متوار ، ولكن قال له العزيز القادر :

« كن ! » فكان . واهاً لذلك عسلا ! لو جعله الشارب المحرور غذاءه طول الأبد ، ما قدر له عارض موم (٦) ، ولا لبس ثوب المحموم . وذلك كله بدليل الآية :

مثل الجنة التي وعد المتقون ، فيها انهار من ماء غير آسن (٧) وانهار من لبن لم يتغير طعمه ، وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات . «

فليت شعري عن النمر بن تولب العكلي (٨) ! هل يقدر له ان يذوق ذلك الأري (٩) ، فيعلم ان شهد الفانية ، اذا قيس اليه ، وجد يشاكه الشري (١٠) وهو لما وصف أم حصن (١١) ذكر حوارى (١٢) بسمن وعسل مصفى ، قال :

-
- (١) المكايي : ج الماء ، طائر من القنابر
(٢) الجارية : يقصد بها المياه (٣) الحكمي : ابو نواس
(٤) الانوار : الزهور البيضاء (٥) الموم : الشمع
(٦) الموم ، مرض يصيب الحجاب بين القلب والسكبد
(٧) آسن ، امن الماء ، انتن (٨) العكلي ، شاعر مقل
(٩) الاربي . الشهد من العسل (١٠) الشري ، الحنظل
(١١) ام حصن ، المرأة التي يشببها الشاعر المذكور (١٢) الحوارى ، الخبز الابيض

الم بصحبتى ، وهم هجوع خيال طارق من ام حصن
لها ما تشتهي عسلا مصفى اذا شاءت ، وحوارى بسمن
ولو خالط من (١) من عسل الجنان ما خلقه الله ، سبحانه ،
في هذه الدار الفانية الخادعة كالصاب والمقر (٢) ، لعدو من اللذائد
المرتقيات .

الاسماك

واذا من الله ، تبارك اسمه ، بورود تلك الأنهار ، صاد فيها
الوارد سمك حلاوة لم ير مثله ، او بصر به احمد بن الحسين (٣)
لأحتقر الهدية التي أهديت اليه فقال فيها :

أقل ما في اقلها سمك^١ يسبح في بركة من العسل

فأما الأنهار الحمزية فتلعب فيها أسماك هي على صور السمك البحرية
والنهرية ، الا انه من الذهب والفضة وصنوف الجواهر ، المقابلة
بالنور الباهر . فاذا مد المؤمن يده الى واحدة من ذلك ، شرب
من فيها عذبا ، لو وقعت منه الجرعة في البحر الذي لا يستطيع
الشارب ، لحلت منه اسافل وغوارب (٤)

[١] المن : قدر صغير

[٢] المقر : المر ، الحامض

[٣] احمد بن الحسين : المتني

[٤] غوارب ، الموج المرتفع

ندامى الجنة

علماء اللغة والنحو

وكأني به ، اذا استحق تلك الرتبة ، بيقين التوبة ، وقد اصطفى له ندامى من ادباء الفردوس ، كأخي ثالة (١) واخي دوس (٢) ، ويونس بن حبيب الضبي (٣) وابن مسعدة المجاشعي (٤) فهم ، كما جاء في الكتاب العزيز :

« ونزعنا ما في صدورهم من غل اخواناً على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين . »

فصدر احمد بن يحيى (٥) ، هنالك ، قد غسل من الحقد على محمد بن يزيد ، فصارا يتصافيان ويتوافيان . وابو بشر عمرو بن عثمان (٦) قد رخصت سويداء قلبه من الضغن على علي بن حمزة الكسائي (٧) واصحابه ، لما فعلوا به في مجلس البرامكة وابو عبيدة (٨) صافي الطوية لعبد الملك بن قريب (٩) والملائكة

١ [اخو ثالة : (محمد بن يزيد) مؤلف كتاب « الكامل » في اللغة والادب والنوادر

٢ (اخو دوس ، كنية ابن دريد من مشاهير اللغويين في العصر العباسي الثاني

٣ (يونس بن حبيب ، يونس النحوي ، لأنه اختصر في عالم النحو

٤ (ابن مسعدة المجاشعي ، من علماء العصر العباسي ايضا في اللغة والنحو

٥ (احمد بن يحيى ، هو المعروف بشعلب ، من اشهر النحاة في العصر العباسي الثاني

٦ (ابو بشر عمرو بن عثمان ، سيويه

٧ (الكسائي ، امام مذهب الكوفيين

٨ (ابو عبيدة ، (معمر بن المثنى ، يهودي الاصل ، شعوبي النزعة . من اشهر العلماء

بأخبار العرب

٩ (عبد الملك بن قريب ، الأصمعي ، من اشهر الادباء ولد ومات في البصرة (٧٣٩ -

يدخلون عليهم من كل باب « سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار ! »
وابو عبيدة يذاكرهم بوقائع العرب ، ومقاتل الفرسان والأصمعي
ينشدهم ما أحسن قائله ...

وتتس نفوسهم للعب ، فيقذفون تلك الآنية في انهار الرحيق ،
ويصفقها الماضي (١) اي تصفيق وتقترع تلك الآنية فيسمع لها اصوات
تبعث بمثلها الاموات . فيقول الشيخ : « آه لمصرع الاعشى ميمون !
وددت انه ما صدته قريش لما توجه الى النبي (ﷺ) . ولو انه
اسلم ، لجاز ان يكون بيننا في هذا المجلس ، فينشدنا غريب
الأوزان بما نظم في دار الاحزان ويحدثنا حديثه مع من مدحه
او هجاه ، وخبانه في الزمن او رجاه ! »

النزهة في الجنة

ثم انه (٢) ادام الله تمكينه ، يخطر له حديث شيء كان يسمى
« النزهة » في الدار الفانية ، فيركب نجيباً (٣) من نجب الجنة خلق
من ياقوت ودر ، في سحسج (٤) بعد عن الحر والقر ، فيسير في
الجنة على غير منهج ومعه اناه فيهيج ، وشيء طعام الخلود . فاذا
رأى نجميه يملع (٥) بين كثنان العنبر رفع صوته متمثلاً بقول
البكري (٦)

(١) الماضي ، العسل الابيض

(٢) انه ، يعني ابن القارح

(٣) النجيب ، الجمل الفتي

(٤) سحسج ، الريح اللينة

(٥) يملع ، يسير سريعاً خفيفاً

(٦) البكري ، « الأعشى »

ليت شعري متى تحب بنا النا قة بين العذيب فالصبيون (١)
محبباً زكراً ، وخبز رقاقٍ وحباقاً ، وقطمة من نون (٢)

اهارت السمرات

الاعشى

فيهاتف هاتف : « اتشعر ايها العبد ، المغفور له لمن هذا
الشعر ؟ » .

فيقول الشيخ : « نعم ! حدثنا اهل ثقتنا عن اهل ثقتهم ، ان هذا
الشعر لميمون بن قيس بن جندل . » فيقول الهاتف : « انا ذلك الرجل
من الله علي بعد ما صرت من جهنم على شفير ، ويئت من المغفرة »
فيلتفت اليه الشيخ هاسماً باشاً مرتاحاً . فاذا هو بشاب غرائق (٣)
وقد صار عشاء حورا ، وانحاء ظهره قواماً . فيقول : « سحبتني
الزبانية الى سقر (٤) فرأيت رجلاً في عرصات (٥) القيامة ، يتلأأ وجهه
تلألؤ القمر ، والناس يهتفون به من كل اوب (٦) : « يا محمد
يا محمد ! الشفاعة ؟ نمت بكذا ؟ ونمت بكذا » فصرخت في ايدي
الزبانية : « يا محمد اغثني ، فان لي بك حرمة ! » فقال : « يا

(٢) العذيب والصبيون ، موزعان

(٢) الزكوة ، زق صغير للخمر . والنون ، السمك

(٣) غرائق ، حسن الوجه

(٤) سقر ، من اسماء جهنم

(٥) عرصات : الساحات

(٦) اوب ، جهة

علي ! بادره فانظر ما حرمته . فجاءني علي بن ابي طالب ،
صلوات الله عليه ، وانا اعتل (١) كي ألقى في الدرك الاسفل
من النار . فزجرهم عني ، وقال : « ما حرمتك ؟ » فقلت انا :
القائل :

الا اي هذا السائلي : اين يموت ؟ فان لها ، في اهل يثرب موعدا !
فأليت ، لا ارثي لها من كلاله

ولا من حفي حتى تلاقى محمدا (٢)

وقد كنت اؤمن بالله وبالكتاب ، واصدق بالبعث ، وانا في
الجاهلية الجهلاء . فذهب علي الى النبي ﷺ فقال : « يا رسول
الله ، هذا أعشى قيس قد روى مدحة فيك ، وشهد انك نبي
مرسل . » فقال : « هلا جاء في الدار السابقة ! » فقال علي ،
رضوان الله عليه : « قد جاء ، ولكن صدته قريش وحبه للخمر »
فشفع لي ، فادخلت الجنة على ان لا اشرب فيها خمرا فقرت ، عينا
بذلك . وان لي منادح (٣) في العسل وماء الحيوان . وكذلك
من لم يتب عن الخمر في الدار الساخرة ، لم يسقها في الاخرة .

زهير بن ابي سلمى

وينظر الشيخ في رياض الجنة ، فيرى قصرين منيفين . فيقول
في نفسه : « لا بلغن الى هذين القصرين فانظر لمن هما . » فاذا

(١) اعتل ، اسحب

(٢) الكلاله ، التعب

(٣) منادح ، اغاني

قرب منها رأى على أحدهما مكتوباً : « هذا القصر لزهير بن
ابي سلمى المزني . » (١) وعلى الآخر : « هذا القصر لعبيد بن
الابرص الاسدي . » (٢) فيعجب من ذلك ويقول : « هذان
ماتا في الجاهلية ! ولكن رحمة ربنا وسعت كل شيء . وسوف
التمس لقاءهما فأسألها بم غفر لهما . »

فابتدىء بزهير فيجده شاباً كالزهرة الجنية ، قد وهب له قصر
من ونية (٣) ، كأنه ما لبس جلباب هرم ، ولا تأفف من
البرم (٤) ، وكأنه لم يقل في الميمية :
سئمت تكاليف الحياة ، ومن يعيش

ثمانين حولاً ، لا أباً لك ، يسأم !

ولم يقل في الاخرى :

ألم ترني عمرت تسعين حجةً وعشراً تباعاً عشتها ، وثمانياً !

فيقول : « جبر جبر ! » « ٥ » انت ابو كعب وبجير ! » فيقول
نعم ! » فيقول ، أدام الله عزه : « بم غفر لك ، وقد كنت
زمان الفترة والناس همل ، لا يحسن منهم العمل ؟ » فيقول :
« كانت نفسي من الباطل تفوراً ، فصادفت ملكاً غفوراً . وكنت
مؤمناً بالله العظيم . ورأيت ، فيما يرى النائم ، جبلاً نزل من
السماء ، فمن تعلق به من سكان الارض نجا . فعلمت انه من امور

(١) زهير ، من اشهر شعراء الجاهليين

(٢) عبيد ، من شعراء الجاهليين

(٣) الونية ، اللؤلؤة

(٤) البرم ، برم بالشيء ، ضجر منه

(٥) جبر ، نعم

الله ، واوصيت بني وقلت لهم عند الموت : « ان قام قائم
يدعوكم الى عبادة الله فأطيعوه . » ولو ادركت محمداً لكنت
اول المؤمنين به . وقلت في الميمية ، والسفه ضارب بالجران .
فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ، ومهما يكتم الله يعلم !
يؤخر ، فيوضع في كتاب ، فيدخر

ليوم حساب ، او يعجل فينقم

فيقول : الست القائل :

وقد اغدو علي ثبة كرام^١ نشاوي ، واجدين لما نشاء^(١)

يجرون البرود ، وقد تمشت حمياً الكاس ، فيهم ، والغناء !

افأطلقت لك الخمر كغيرك من اصحاب الخلود ؟ ام حرمت
عليك مثلما حرمت على اعشى قيس ؟ فيقول زهير : « ان أخا
قيس ادرك محمداً فوجبت عليه الحجة لانه بعث بتحريم الخمر ،
وحظر ما قبج . وهلكت انا ، والخمر كغيرها من الاشياء ،
يشربها اتباع الانبياء ، فلا حجة علي . »

فيدعوه الشيخ الى المنادمة فيجده من ظرفاء الندماء ، فيسأله عن
اخبار القدماء .

عبيد بن الابرص

ثم ينصرف عنه الى عبيد . فاذا هو قد أعطي بقاء التأييد « ٢ »

(١) ثبة : جماعة

(٢) التأييد : ويقصد به الخلود

فيقول : « السلام عليك : يا اخا بني أسد ! » فيقول : « وعليك السلام !

- واهل الجنة اذكياء ، لا يخالطهم الاغبياء - لعلك تريد ان تسألني بم غفر لي ؟ » فيقول : « أجل ! وان في ذلك لعجباً ! فيقول عبيد : « اني كنت أدخلت الهاوية ، وكنت قلت ايام الحياة :

من يسأل الناس يجرموه وسائل الله لا يجيب !
وسار هذا البيت في آفاق البلاد . فلم يزل يُنشد ، ويخفف عني العذاب ، حتى أطلقت من القيود والأصفاد . ثم لم يزل يكرر حتى شملتني الرحمة ببركة هذا البيت ، وان ربنا لغفور رحيم ! »
فاذا سمع الشيخ ما قال ذلك الرجلان طمع في سلامة كثير من الشعراء .

عدي بن زيد

فيقول لعبيد : « ألك علم بعدي بن زيد العبادي ؟ » فيقول : « هذا منزله قريباً منك ! » فيقف عليه فيقول : « كيف كانت سلامتك على الصراط ؟ » فيقول : « اني كنت على دين المسيح ! ومن كان من اتباع الانبياء قبل ان يُبعث محمد : فلا بأس عليه ، وانما التبعة على من سجد للأصنام » ...
فيقول الشيخ : « لقد هممت ان أسألك عن بيتك الذي استشهد به سيبويه ، وهو قولك :

أرواح مودع ام بكور انت ، فانظر لاي حال تصير !

« فانه يزعم ان « أنت » يجوز ان ترفع بفعل مضمر يفسره قولك « فأنظر » ، وانا استبعد هذا المذهب ولا اظنك اردته فيقول عدي بن زيد : « دعني من هذه الاباطيل ... » ولكني كنت ، في الدار الفانية ، صاحب قنص ، فهل لك ان تركب فرسين من خيل الجنة ، فنبعثها على صيرانها (١) وحيطان (٢) نعامها ، واسراب طبائها ، وعانات (٣) حمرها ، فان للقنص لذة ! » فيقول الشيخ : « انا انا صاحب قلم ، ولم اكن صاحب خيل ! ... وما يؤمنني ، اذا ركبت طرفا (٤) - وانا كما قال القائل :

لم يركبوا الخيل الا بعد ما كبروا فهم ثقال ، على اكتافها عنف
ان يقذفني السابح على صخور زمرد ، فيكسر لي عضداً او
ساقاً فأصير ضحكة في اهل الجنان ! فيبتسم عدي ويقول : « ويحك
اما علمت ان الجنة لا يهرب لديها السقم ، ولا تنزل بسكنها النقم ؟ »
فيركبان ساجدين من خيل الجنة ، مركب كل واحدٍ منهما لور
عدل بمالك العاجلة من اولها الى آخرها ، لرجح بها وزاد في القيمة
عليها . فاذا نظر الى عوار ترتع في رياض الفردوس ، صوب الشيخ
الجليل المطرد (٥) الأخنس (٦) ذيال ، قد رتع هنالك طويل ايام
وليال . فاذا لم يبق بين السنان وبينه الا قيد ظفر ، قال له :

(١) الصيران ، القطعان من بقر الوحش .

(٢) الحيطان ، النعام .

(٣) الامانات ، القطعان من حمر الوحش .

(٤) الطرف ، الجواد الصغير السن .

(٥) المطرد ، الرمح القصير

(٦) الاخنس ، الثور المتوحش

أمسك يا عبد الله ! فاني است من وحش الجنة التي انشأها الله سبحانه ، ولم تكن في الدار الزائلة . ولكنني كنت في محلة الغرور رود في بعض القفار . فمر بي ركب مؤمنون قد اكرى (١) زادهم شرعوني ، واستعانوا بي على السفر . فعوضني الله بأن اسكنني في الجلود . « فيكف عنه الشيخ ويعمد لعليج (٢) وحشي ، ما التلف لدهه بمحشي ، فاذا صار الحرس منه بقدر ائمة ، قال : « أمسك يا عبد الله ! فان الله انعم علي ورفع عني البؤس . وذلك صادني صائد بمخلب ان كان اهائي (٣) له كالسلب ، فباعه في بعض الأمصار فاتخذ منه قرب (٤) شفي بانه الكرب ، وتطهر بنزيعه (٥) الصالحون . فشملتني اركة من اولئك ، فدخلت الجنة ارزق فيها بغير حساب . »

ابو ذؤيب الهزلي

وينصرف مولاي الشيخ وصاحبه عدي . فاذا هما برجل يحتلب في اناء من ذهب فيقولان : « من الرجل ؟ » فيقول : « ابو ذؤيب الهذلي » (٦) فيقولان : « حيت وسعدت ! تحتلب مع امار من لبن ؟ » فيقول لا بأس ! انما خطر لي ذلك مثلما خطر لكما القنص . فقيض الله بقدرته لي هذه الناقة مطلقاً . فقامت تحتلب على العادة . واريد ان اشوب ذلك بضرب (٧) نخل . «

(١) اكرى ، نقص

(٢) الملح ، حمار الوحش

(٣) الاهاب ، الجلد

(٤) القرب ، الدلو

(٥) النزيع ، الماء المأخوذ من البئر .

(٦) ابو ذؤيب الهذلي ، احد الشعراء المخضرمين

(٧) الضرب ، العسل

فاذا امتلأ إناءؤه من الرسل (١) ، كون الباري ، جلت خلية من الجوهر ، رتع ثولها (٢) في الزهر فاجتني ذلك ابو ذؤومزج حليبيه . فيقول : « الا تشربان ! » فيجرعان من الحليب جرعاً لو فرقت على اهل سقر لفازوا بالخذ .

النابعتان

ويمضي في نزهته تلك فيمر بشابين يتحدان كل واحد منهما على قصر من در ، قد اعفي من البؤس والضر . فيسلم عليهما ويقول : « من انتما ؟ - رحمكما الله ! - وقد فعل ! » فيقولان : « النابعتان ، نابغة بني جعدة (٣) ونابغة بني ذبيان . (٤) فيتحدون جميعاً . ثم يشتهون مرأى الاعشي ، « فلا تم الكالا وابو بصير قد خسمهم » فيتذاكرون في شعر النابغة الذي واختلاف الرواة فيه ، ويشتهون حضور الرواة فيأتيهم حالاً الماز والشيباني ، وابو عبيدة ، والاصمعي ...

مجلس غناء

وير رف من إوز الجنة . فلا يلبث ان ينزل على تلك الرواة ويقف وقوف منتظر لأمر . ومن شأن طير الجنة ان يتكلم فيقول (الشيخ) . « ما شأنكن ؟ » فيقلن . « ألهمنا ان نسمع في هذه الروضة . فنغني لمن فيها » فيقول . « على بركة القدير ! » فينتفضن فيصرن جوارى كواعب يرفلن في وشي الج

(١) الرسل ، اللين .

(٢) الثول ، النحل

(٣) النابغة الجمدي ، حسان بن قيس

(٤) النابغة الذبياني ، من اشهر شعراء الجاهلية - وهو الذي مدح بني غسان

أبيديهن المزاهر (١) وانواع ما يلتبس به الملاهي . فيعجب ،
حق له العجب ، وليس ذلك بعجيب من قدرة الله ، جلت عظمته .
فتعني احداهن بصوت « لو نُحِت من صنم احجار ثم سمع ذلك
صوت لرقص » . وبعد ان يمتحنها ويتيقن حذقها يقول .
« ويحك ألم تكوني الساعة إوزة طائفة ! فمن اين لك هذا
علم ؟ لو نشأت بين معبد وابن سريج (٢) ، لما هجت السامع بهذا
سريج ! فكيف نفضت عنك بله الاوز ؟ » فتقول : « وما الذي
تقرب من قدرة بارئك ! انك على سيف (٣) بحر لا يدرك له عبر
نجان من يحيي العظام ، وهي رميم ! »

لييد

فبينما هم كذلك اذ يمر شاب في يده محجن (٤) ياقوت ، فيسلم
بهم فيقولون : « من انت ؟ » فيقول : « انا لييد (٥) بن ربيعة
مالك بن جعفر ابن كليب ... » فيقول : « اكرمت
كرمت ! لو قلت : لييد ، وسكت ، لشهرت باسمك ! فما بالك
مغفرة ربك ؟ » فيقول : « انا بحمد الله في عيش قصر ان
صفه الواصفون ، لا هرم ولا بوم » . فيقول الشيخ : تبارك
مالك القدوس ! كأنك لم تقل في الدار الفانية .

(١) المزاهر ، الات طرب تشبه العود - ومفردها مزهر

(٢) معبد وابن سريج : مغنيان مشهوران في العصر الاموي

(٣) سيف البحر ، شاطئه .

(٤) المحجن : العصا

(٥) لييد : من مشاهير شعراء الجاهلية

ولقد سئمت من الحياة وطولها

وسؤال هذا الناس: « كيف ليبدؤ

فأنشدنا ميميتك المعلقة فيقول « : « هيهات ! اني تركت الش
في الدار الحادعة . ولن اعود اليه في الدار الآخرة ، وقد عوض
ما هو خير وأبر ! .

العودة الى الغناء

ويخطر له غناء القيان في الفسطاط (١) ومدينة السلام (٢) ويد
ترجيعلن بيمية الخبل السعدي (٣) فتندفع تلك الجواري التي نقلتهم
القدرة من خلق الطير الى خلق الحور ، ملحنة قول الخبل .
ذكر الرباب ، وذكرها سقم وصبا ، ليس صبا عزم
فلا يمر حرف ولا حركة الا ويوقع في النفوس مسرة
عدلت بمسرات اهل العاجلة ، منذ خلق الله آدم الى ان طو
ذريته ، كانت الزائدة على ذلك زيادة اللج المتموج على
الطفل ، والهذب الشامخ على الهباءة (٤) .

مشاجرة النابغة الجعدي والاعشي

ويقول نابغة بني جعدة ، وهو جالس يستمع . ، يا ابا بص
اهذه الرباب التي ذكرها السعدي هي ربابك التي ذكرتها في قولك
فا نطق الديك حتى ملاء ت كوب الرباب له ، فاستدارا

(١) الفسطاط : مدينة بصر

(٢) مدينة السلام : بغداد

(٣) الخبل السعدي ، شاعر جاهلي

(٤) الهباءة ، الغبار .

فيقول ابو بصير : « قد طال عمرك ، يا ابا ليلى ، واحسبك صاحبك الفند (١) فبقيت على فندك الى اليوم ... اما علمت ان الواقي يُسمين بالرباب اكثر من ان يحصين؟ افتظن ان الرباب هذه شي التي ذكرها القائل :

يا رب قومك ، يا ربابُ خزرًا كأنهم غضابِ ! (٢)
او التي ذكرها امرؤ القيس في قوله :

« وجارتها ام الرباب بأسل » ؟

فيقول نابغة بني جعدة : « اتكلمي بمثل هذا الكلام ، يا خليع بني ضبيعة ؟ وقد مت كافرًا واقرت على نفسك بالفاحشة . وانا بقيت النبي (ﷺ) فانشدته كلمتي ...

أغرّك ان عدك بعض الجهال رابع الشعراء الاربعة ؟ واني لأطول منك نفساً واكثر تصرفاً . ولقد بلغت بعدد السيوت ما لم يبلغه احد من العرب قبلي ...

فيغضب ابو بصير ويقول : « اتقول هذا ، وان بيتاً بما بنيت يعدل بمائة من بنائك ! وان اسهبت في منطقتك ، فان المسهب كحاطب الليل ... اتعيرني مدح الملوك ، يا جاهل ! ، ولو قدرت على ذلك لهجرت اليه اهلك وولدك ! ولكنك خلقت جباناً ... »

فيقول الجعدي : « اسكت يا ضل بن ضل » (٣) . فاقسم ان دخولك الجنة من المنكرات . ولكن الاقضية جرت كما شاء الله . لحقك ان تكون في الدرك الاسفل من النار ، ولقد صلي بها من

(١) الفند ، الحرف

(٢) خزر ، ضيق العين

(٣) ضل بن ضل ، يراد به لا يعرف من اهله

هو خير منك ! ولو جاز الغلط على رب العزة لقلت انك غلط بك ...
ويشب تابعة بني جعدة على ابي بصير فيضربه بكوز من ذهب .
فيقول الشيخ ، اصلح الله به : « لا عريضة في الجنان ! انما
يُعرف ذلك في الدار الفانية ، بين السفلة والهجاج (١) ، وانك يا ابا
ليلي لمتروع (٢) ولولا ان في الكتاب الكريم : « لا يصدعون
عنها ولا ينزفون ! » لظنناك اصابك نرف في عقلك ! فاما ابو
بصير فما شرب الا اللبن والعسل ، وانه لوقور في المجلس .
ويريد ان يصلح بين الندماء فيقول : « يجب ان يُحذر من ملك
يعبر ، فيرى هذا المجلس ، فيرفع حديثه إلى الجبار الاعظم فلا يجر ذلك
الا الى ما تكرهان ! » واستغني ربنا ان ترفع الاخبار اليه ؟ ولكن
جرى ذلك مجرى الحفظة في الدار العاجلة ...
ثم يصلحان ويمر بالجالسين حسان بن ثابت فيتحدث معهم مدة .
ويفترق اهل ذلك المجلس وبعد ان اقاموا فيه كعمر الدنيا
اضعافاً كثيرة !

عوران قيس

فبينما هو يطوف في رياض الجنة يلقاه خمسة نفر على خمس اينثق
فيقول : « ما رأيت احسن من عيونكم في اهل الجنان ! فمن انتم
خلد الله عليكم النعيم ! » فيقولون : « نحن عوران قيس ... »
فيسأل احدهم ، الشاخ بن ضرار ، عن اشياء في شعره فيلقيه
نسي كل شيء ، وكذلك تميم بن أبي ، فلا ينال منها جواباً شافياً
لان صعوبة يوم الموقف ، وفيه انتظار الحكم الالهي ، تنسي
الانسان كل ما عمله في الدنيا .
ثم يستطرد ابن القارح الى ذكر قصته في « يوم الموقف » :

(١) الهجاج ، الحمقى (٢) متروع ، مسرع الى التهلكة

القسم الثاني

يوم الموقف

دينونة ابن القارح

فيقول : انا اقص عليك قصتي :
لما نهضت انتفض من الرِّيم (١) ، وحضرت عرصات القيامة ،
ذكرت الآية : « تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره
خمسین الف سنة فاصبر صبراً جميلاً ! » فطال عليّ الامد ، واشتد
الظماً والرمد ، وانا رجل مهيف (٢) . فافتكرت ، فرأيت
امراً لا قوام لمثلي به . ولقيني الملك الحفيظ بما كتبت لي من فعل
الخير ، فوجدت حسناتي قليلة كالرياض في العام الأرملة (٣) . إلا
ان التوبة في آخرها كأنها مصباح أبيض ، (٤) رُفع لسالك سبيل .

حواره مع رضوان

فلما اتمت في الموقف زهاء شهر او شهرين ، وخفت من العرق
في العرق ، زينت لي النفس الكاذبة ان انظم ابياتاً في رضوان
خازن الجنان ، عملتها في وزن : « قفا نبك من ذكرى حبيب

(١) الرِّيم ، القبر

(٢) مهيف ، سريع العطش

(٣) الارمل ، السنة التي يقل بها المطر

(٤) ابيض ، راهب

وعرفان » ووسمتها برضوان . ثم ضانكت الناس ، حتى وقفت منه بحيث يسمع ويرى . فما حفل بي ، ولا اظنه أبه لما اقول .
فغبرت برهة نحو عشرة ايام من ايام الفانية . ثم عملت ابياتاً في وزن : « بان الحليط ولو طوعت ما بانا » (١) ووسمتها باسمه كذلك . ثم دنوت منه ففعلت كفعلي الاول ، فكنت كأنما احرك ثبيراً (٢) ، او التمس من العضم (٣) عيباً . فلم ازل اتبع الاوزان التي يمكن ان يوسم بها « رضوان » حتى افنيته ، وانا لم اجد عنده مغوثة ، ولا اظنه فهم ما اقول ! فلما استقصيت الغرض وما نجحت ، دعوت باعلى صوتي : « يارضوان يا امين الملك الجبار الاعظم على فراديس الجنان ! الم تسمع ندائي لك ، واستغاثتي بك ؟ » فقال : « لقد سمعتك تذكر « رضوان » وما علمت مقصدك فما الذي تطلب ايها المسكين ؟ » فقلت : « انا رجل لا صبر لي على اللوب (٤) ، وقد استطلت مدة الحساب ، ومعني صك بالتوبة ، وهي للذنوب كلها ماحية . وقد مدحتك بأشعار كثيرة ، ووسمتها باسمك ! » فقال : « وما الاشعار ؟ » فقلت : « الأشعار جمع شعر ، والشعر كلام موزون تقبله الغريزة على شرائط إن زاد او نقص أبانه الحس . وكان اهل العاجلة يتقربون به الى الملوك والسادات ، فبجئت بشيء منه اليك لعلك تأذن لي بالدخول من هذا الباب ، فقد استطلت ما الناس فيه ، وانا ضعيف . ولا ريب اني ممن يرجو المغفرة وتصح له بمشيئة الله تعالى . » فقال : « انك لغيبين الرأي ، أتأمل ان

(١) من شعر جرير في الهجاء

(٢) ثبير ، اسم جبل

(٣) العضم ، تراب صعد التفتت

(٤) اللوب ، العطش الشديد

آذن لك بغير اذن من رب العزّة ؟ هيهات ! هيهات ! ... »

حواره مع زفر

فتركته وانصرفت بألمي الى خازن آخر يقال له « زفر » .
وبعد ان يمدحه بعدة قصائد يدخل فيها اسم « زفر » فلا ينجح
باحتجاجه فيقول زفر :

لا اشعر بالذي قصدت ، واحسب هذا الذي تجيئني به قرآن
ابليس المارد ، ولا ينقق على الملائكة . انما هو للجان وعلموه ولد
آدم . فما بُغيتك ؟ « فذكرت له ما اريد . فقال : « والله ما اقدر
لك على نفع . فمن اين انت ؟ » فقلت : « من امة محمد بن
عبد الله بن عبد المطلب ! » فقال : « صدقت ! ذلك نبي العرب ،
ومن تلك الجهة أتيتني بالقريض ، لان ابليس اللعين نفثه في بلاد
العرب ، فتعلمه نساء ورجال . وقد وجب علي نصحك ، فعليك
بصاحبك لعله يتوصل الى ما ابتغيت » . فيئست بما عنده .

— ثم يهتدي إلى حمزة بن عبد المطلب ، عم محمد ، فيمدحه فيوصله —
الى علي بن ابي طالب . ولكنه يضيع صك التوبة في الطريق
فيطلب علي شاهداً على توبته ، فيشهد له قاضي حلب . على انه لا
ينال الخلاص قبل انتهاء الدينونة : فيتدمر ثم يلجأ الى « العترة المنتخبين »
حتى تخرج فاطمة فتوصي به اخاها ابراهيم فيتعلق ابن القارح بركابه ،
ويطير الفرس ، حتى يصل الى الصراط .

عبور الصراط

فلما خلصت من تلك الطموش (١) ، قيل لي : « هذا الصراط

[١] الطموش ، جماعة الناس

فاعبر عليه « فوجدته خالياً لا أعريب (١) عنده . فبلوت نفسي في العبور ، فوجدتني لا استمسك . فقالت الزهراء ، صلى الله عليها لجارية من جوارها : « يافلانة أجيزيه ! » فجعلت تمارسني (٢) ، وانا اتساقط عن يمين وشمال . فقلت لها : « يا هذه ! ان اردت سلامتي ، فاستعملي بي قول القائل في الدار العاجلة :

« ستِ ، ان اعيالكِ امري فاحمليني زَقْفُونَه ا »

« فقالت : وما زَقْفُونَه ؟ » قلت : « ان يطرح الانسان يديه على كتفي الآخر ويمسك بيديه ، ويحمله ، وبطنه الى ظهره . اما سمعت قول الجحجول من اهل كفرطاب .

« صلحتِ حالتِي الى الخلف ، حتى

صرت امشي الى الوراء زَقْفُونَه ؟ »

فقالت : « ما سمعت بزَقْفُونَه ، ولا الجحجول ، ولا كفرطاب إلا الساعة » . فتحملني وتجاوز كالبرق الخاطف .

طلب الجواز

فلما صرت الى باب الجنة ، قال لي رضوان : « هل معك من جواز ؟ » فقلت : « لا ! » فقال : « لا سبيل الى الدخول الا به ! »

فَسَبِعْتِ (٣) بالامر . وعلى باب الجنة ، من داخل ، شجرة صفصاف ، فقلت : « اعطني ورقة من هذه الصفصافة ، حتى ارجع

[١] لاعريب ، لا احد

[٢] تمارسني ، تداوني

[٣] بعثت ، دهشت

الى الموقف ، فأخذ عليها جوازاً . فقال : « لا اخرج شيئاً من
الجنة الا باذن من العلي الاعلى تقديس وتبارك ! »
فلما دجرتُ (١) بالنازلة ، قلت : « أنا لله وانا اليه راجعون
لو ان للأمير ابي المرجي خازناً مثلك ، لما وصلت انا ، ولا غيري
الى درهم من خزائنه ! »

دخوله الجنة

والتفت ابراهيم ، صلى الله عليه ، فرآني ، وقد تخلفت عنه .
فرجع الي ، فجدبني جذبة حصّلتني بها في الجنة . وكان مقامي في
الموقف مدة ستة اشهر من شهور العاجلة ، فلذلك بقي علي حفطي
ما نرفته الا هوالم ، ولا نهكه تدقيق الحساب .



القسم الثالث

المقام في الجنة

حميد بن ثور

يلتقي الشيخ بتطوافه في امصار الجنة بجماعة من الشعراء فيسألهم
فأيكم حميد بن ثور ؟ « (١) فيقولون : « هذا ! » فيسلم عليه
الشيخ ويقول : « إيه يا حميد ! لقد احسنت في قولك :

ارى بصري قد رابني ، بعد صحة

وحسبك داءً ان تصحَّ وتسالما

فكيف بصرک ؟ » فيقول : « اني لأكون في مغارب الجنة ،
فالبح الصديق من اصدقائي وهو بمشارقتها ، وبينني وبينه مسيرة الوف
اعوام للشمس التي عرفت سرعة سيرها في العاجلة . فتعالى الله القادر
على كل بديع ! »

مأدبة الجنة

تهيئة الطعام

ويبدو له ان يضع مأدبة في الجنان ، يجمع فيها من امكن من
شعراء الحضرة والاسلام ، والذين أملوا كلام العرب ، وجعلوه
محفوظاً في الكتب . ويخطر له ان تكون كماآدب الدار العاجلة

اذ كان الباري ، جلت عظمته ، لا يعجزه ان يأتيهم بجميع الاغراض من غير كلفة ولا ابطاء . فتنشأ ارحاء (١) على الكوثر تجعجع لطحن بُر الجنة .

ويحبس (٢) في صدره ارحاء تدور فيها البهائم ، فيمثل بين يديه ما شاء من البيوت فيها احجار من جواهر الجنة ، تدير بعضها جمال تسوم (٣) في عضاه (٤) الفردوس ، واينق ، وصنوف من البغال ، والبقر .

فاذا اجتمع من الطحن ما يظن انه كاف للمأدبة ، تفرق خدمة فيجاؤوا بالعماريس (٥) ، وضروب الطير التي جرت العادة يأكلها : كأبجاج (٦) العكارم (٧) ، وجوازل (٨) الطواويس ، والسمين من دجاج الرحمة ، وفراريح الخلد . وسيقت البقر ، والغنم ، والابل لتعتبط (٩) . فارتفع يعار (١٠) المعز ، وثواج (١١) الضان ، وصياح الديكة لعيان المدية . وذلك كله ، بحمد الله ، لا ألم فيه ، وانما هو لعب ! فلا اله الا الله الذي ابتدع خلقه من غير روية ، وصوره بلا مثال !

(١) ارحاء ، حمارة الطحن

(٢) يحبس ، يضم في صدره

(٣) تسوم ، ترعى

(٤) العضاه ، نبات ذو شوك

(٥) العماريس ، ج عمروس ، الجدي

(٦) ابجاج ، فراخ الطير

(٧) العكارم ، اثني الحمام

(٨) جوازل ، فراخ الحمام

(٩) لتعتبط ، لتتحر

(١٠) يعار ، صوت المعز

(١١) الثواج ، صياح الغنم

فاذا حصلت النحوض (١) فوق الاوفاض (٢) ، قال : اخضروا
من الجنة الطهارة الساكنين بجلب على ممر الأزمان . فتحضر جماعة
كثيرة فيأمرهم باتخاذ الاطعمة . وتلك لذة يهبها الله ، عز سلطانه
بدليل قوله : « وفيها ما تشتهيهم الانفس ، وتلذ الاعين ، وانتم
فيها خالدون ! وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون ! لكم
فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ! »

المدعوون

فاذا أتت الاطعمة افترق غلمانه لاحضار المدعويين . فلا يتركون
في الجنة شاعراً اسلامياً ولا مخضرمأ ، ولا عالماً بشيء من اصناف
العلوم ، ولا متأديباً ، الا احضروه ، فيجتمع خلق كثير . فتوضع
الحنون من الذهب ، والفواثير (٣) من اللجين . عليها الآكلون
وتنقل اليهم الصحف ...

الشرب والقهاء

فاذا قضا الارب من الطعام ، جاءت السقاة بأصناف الاشربة
والمسمعات بالأصوات المطربة . ويقول : « عليّ بمن في الجنة من
المغنين والمغنيات ، بمن كانوا في الدار العاجلة فقضيت له التوبة . »
فتحضر جماعة من رجال ونساء ، فيهم العريض ، ومعبد ، وابن
سريج ، وابراهيم الموصللي ، وابنه اسحق .

(١) الاوفاض ، الاخشاب حيث يقطع اللحم

(٢) الحنون ، ما يوضع عليه الطعام

(٣) الفواثير ، وهي الحوان ، اي ما يوضع عليه الطعام

الرقص

ويذكر الايات التي تُنسب الى الخليل بن احمد (١) ، والخليل يومئذٍ
في الجماعة ، وانها تصلح لان يرقص عليها . فينشئ الله القادر ،
بلطف حكمته ، شجرة من الجوز ، فتونع لوقتها . ثم تنفض
عدداً لا يحصيه الا الله ، سبحانه . وتنشق كل واحدة منه عن
جوار يرقن الرائين ، يرقصن على الايات المنسوبة الى الخليل واولها :
ان الخليل تصدع فطر بدائك ، اوقع ! (٢)

فتهتز ارجاء الجنة ...

ويقول : « لمن هذه الايات ، يا ابا عبد الرحمن ؟ » فيقول
الخليل : « لا اعلم ! » فيقول : « انا كنا في الدار العاجلة نروي
هذه الايات لك . » فيقول الخليل لا اذكر شيئاً من ذلك .
ويجوز ان يكون ما قيل حقاً . فيقول : « انسيت ، يا ابا عبد
الرحمن ، وانت اذكى العرب في عصرك ! » فيقول الخليل : «
ان عبور الصراط ينفض الخلد (٣) مما استودع . »
ويعبر طاووس من طاوويس الجنة يروق من رآه حسناً . فيشتهيه
ابو عبيدة مصوصاً (٤) . فيتكون كذلك في صحيفة من الذهب .
فاذا قضى منه الوطر ، انضمت عظامه بعضها الى بعض ، ثم تصير
طاووساً كما بدا . فتقول الجماعة : « سبحانه من يحيي العظام وهي
رميم ! » ويفترق اهل ذلك المجلس ، وهم ناعمون !

(١) الخليل : من اشتهر علماء اللغة والنحو .

(٢) تصدع : تفرق . (٣) الخلد : البال ، الفكر .

(٤) المصوص : طعام من لحم الطير يطبخ وينقع في الخل .

القسم الرابع

جنة العفاريت

ويبدوله ان يطلع الى اهل النار ، فيركب بعض دواب الجن ويسير . فاذا هو بمدائن ليست كمدائن الجنة ، ولا عليها النور الشعشعالي وهي ذات ادحال وغمائل فيقول لبعض الملائكة : « ما هذه عبد انا ؟ » فيقول هذه جنة العفاريت الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكروا في « الاحقاف » وفي « سورة الجن » وهم عدد كثير . فيعرج عليهم . فاذا هو بشيخ جالس على باب مغارة ، فيسلم عليه فيحسن الرد ... فيقول : « ما اسمك ايها الشيخ ! » فيقول : « أنا الحيتعور احد بني الشيصان ، ولست من وُلد ابليس ، ولكن من الجن الذين كانوا يسكنون الارض قبل ولد آدم . »

اناشيد الجن

فيقول : « اخبرني عن اشعار الجن . فقد جمع المعروف « بالمرزباني قطعة صالحة . » فيقول ذلك الشيخ : « انما ذلك هذيان لا معتمد عليه ! وهل يعرف البشر من النظم الا كما تعرف البقر من علم الهيئة ومساحة الارض ؟ وان لهم خمسة عشر جنساً من الموزون ، قل ما يعدوها فقائلون ، وان لنا لآلاف اوزان ما سمع بها الانس وانما كانت تخطر بهم اُطيفال (١) منا عارفون ، فتنفت اليهم مقدار

(١) اُطيفال : تصغير اطفال .

الضوازة (١) من اراك نعبان (٢) ولقد نظمت الرجز والقصيد قبل
ان يخلق آدم بكور (٣) او كورين .
ثم يتلو عليه من نظمه راوياً قصته .

لغة الجن

فيقول : « لله درك يا ابا هدهد رش ! فكيف السنتم ؟ أيكون
فيكم عرب لا يفهمون عن الروم ، وروم لا يفهمون عن العرب ،
كما نجد في أجيال الانس ؟ » فيقول : « هيهات ! ايها المرحوم !
انا اهل ذكاء وفطن ولا بد لأحدنا ان يكون عارفا بجميع اللسن
الأنسية ولنا ، بعد ذلك ، لسان لا يعرفه الانيس ! »
ويتلو عليه قصيدة فيها ذكر مغامراته زمن الكفر ثم ذكر
نوبته ، منها :

مكة أقوت من بني الدرديس ° فما لني بها من حسيس ! (٤)

* * *

لا انتهى عن غرضي بالرقمي

إذا انتهى الضيغم ، دون الفريس ° (٥)

(١) الضوازة : السواك .

(٢) الاراك : شجر السواك .

(٣) الكور : ١٥٠ سنة .

(٤) الدرديس : من قبائل الجن .

(٥) الرقي : التعاويذ .

وأدليج الظلماء في فتية

- (١) ملجن ، فوق الماحل العرب بسيس
في طاسم تعزف جنائنه أقفر ، إمن عناريت ليس (٢)
تحملنا في الجنح خيل لها اجنحة ليست كخيل الانيس
وأينق تسبق ابصاركم مخلوقة بين نعم وعيس (٣)

* * *

لا نسك في أيامنا عندنا

- بل نكس الدين ، فإإن نكيس (٤)
فلاحد الاعظم والسبت كالأثنين والجمعة مثل الخميس
لا مجسس نحن ، ولا هود ولا نصارى يبتغون الكئيس
تمزق التوراة من هونها ونحطم الصليبان حطم البييس
نحارب الله جنوداً لا بل ليس أخي الرأي الغيبين النجيس
ونسلم الحكم إليه - إذا قاس - فرضى بالضلال المقيس .

* * *

(١) ادليج : سار في الليل .
(١) ليس : ايس : شعاع .
(٢) عيس : الجمال .
(٣) نكس : اهل شأنه .

تزين للشارخ والشيخ أن

يفرغ كيساً في الخنا، بعد كيس (١)

ونقري جن سليمان كي

نطلق منها كل غاو حميس (٢)

صير في قارورة رصت فلم تغادر منه غير النسيس (٣)

ونخرج الحساء من بيتها مطرودة عن سوء ظن حديس

* * *

لا اتقي البر لأهواله وأركب البحر أوان القريس (٤)

نادمت قابيل ، وشيتاً وها بيل على العاتقة الخندريس

ورھط لقمان وأيساره عاشرت من بعد الشباب اللبيس

* * *

ثمت آمنت ! ومن يرزق الايمان يظفر ، بالخطير النفيس

جاهدت في بدر ، وحاميت في

أحد ، وفي الخندق رعت الرئيس

(١) الشارخ : الفتى .

(٢) نقري : نتبع .

(٣) النسيس : بقية الروح ،

(٤) القريس : البرد الكثير

وراء جبريل وميكال نخ لي في الكبة خلي للسيس (١)
وطار في اليرموك، بي سابح والقوم في ضرب وطعن خليس
حتى تجلت عني الحرب كالج مرة في وقدة ذاك الوطيس
والجمل الانكد شاهدهه بئس نتيج الناقة العنتريس (٢)
وزرت صفين على شطبة جرداء، ما سائسها بالاريس (٣)
مجدلاً بالسيف أبطالها وقاذفاً بالصخرة المرمريس
وسرت قدام علي غد اة النهر حتى قل غرب الخميس (٤)
صادف مني واعظ توبة فكانت اللقوة عند القيميس
فيعجب لما سمعه من ذاك الجني ويكره الاطالة عنده ، فيودعه

الاسد والفريسة

ويحم (٥) فاداهو بأسد يفترس من صيران (٦) الجنة وحسيلها (٧)
فلا تكفيه هنيذة ولا هند (٨) . فيقول في نفسه : « لقد كان
الاسد يفترس الشاة العجفاء فيقيم عليها الايام ، لا يُطعمم سواها

(١) الكبة : الصدمة بين الجيشين

(٢) الجمل الانكد : جمل عائشة

(٣) شطبة : فرس حسنة القوام

(٤) الخميس ، الجيش

(٥) يحم ، يمشي

(٦) صيران ، قطعان بقر الوحش

(٧) الحسيل ، العجول

(٨) هنيذة ولا هند ، اي مائة ولا مائتان

شيئاً ! « فيلهم الله الاسد ان يتكلم ، وقد عرف ما في نفسه ،
 فيقول : « يا عبد الله ! اليس احدكم في الجنة ، تقدم له الصخرة ، فياكل
 منها مثل عمر السموات والارض ، يلتذ بما اصاب ، فلا هو مكتفٍ
 ولا هي الفانية . وكذلك انا افترس ما شاء الله . فلاتأذي الفريسة
 بظفر ولا ناب ، ولكن تجد من اللذة كما تجد ، بلطف ربها العزيز . »

اقصى الجنة

بيت الخطيئة

فيذهب ، فاذا هو ببيت في اقصى الجنة ، كأنه حفش (١)
 راعية . وفيه رجل ليس عليه نور سكان الجنة ، وعنده شجرة
 قيمية (٢) ثمرها ليس بذاك : فيقول : « يا عبد الله ! لقد رضيت
 بحقير ! » فيقول : « والله ! ما وصلت اليه الا بعد هياط ومياط (٣)
 وعرق من سقاء ، وشفاة من قریش وددت انها لم تكن ! »
 فيقول : « من انت ؟ » فيقول : « انا الخطيئة العبسي ! (٤)
 فيقول : « بم وصلت الى الشفاة ؟ » فيقول : « بالصدق ! »
 فيقول : « في اي شيء ؟ » فيقول : « في قولي :

أبت شفتاي اليوم الا تكلماً بهجر ، فلا ادري لمن انا قائله !
 ارى لي وجهاً شوه الله خلقه فقبُح من وجهه ! وقُبِح حامله !
 فيقول : « ما بال قولك :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس]^٥
 لم يُغفر لك به ؟ » فيقول : سبقني الى معناه الصالحون . ونظمته
 ولم اعمل به ، فحرمتم الاجر عليه «

(١) الحفش ، البيت الحفير (٢) قيئة ، صغيرة (٣) هياط ومياط ، مجيء وذهاب
 (٤) الخطيئة ، اشهر شعراء الهجاء (٥) العرف ، المعروف

القسم الخامس

جبرئيل

الخنساء وشقيقتها

... ويمضي ، فاذا هو بامرأة في اقصى الجنة ، قريبة من المطلع الى النار ، فيقول : « من انتِ ؟ » فتقول : « أنا الخنساء (١) السلمية . أحببت ان أنظر الى صخر . فاطلعت ، فرأيتَه كالجبل الشامخ ، والنار تضطرم في رأسه فقال : « لقد صح مزعمك فيَّ . يعني قولي :

وان صخر لتأتم الهداةُ به كأنه علم في رأسه نارُ » (٢)

بشار بن برد وابليس

فيطلع فيرى إبليس ، لعنه الله ، وهو يضطرب في الأغلال والسلاسل ومقامع (٣) الحديد تأخذه من ايدي الزبانية . فيقول « الحمد لله الذي أمكن منك يا عدو الله ، وعدو اوليائه ، لقد اهلكت من بني آدم طوائف لا يعلم عددها الا الله ! » فيقول : « من الرجل ؟ » فيقول : « انا فلان بن فلان من أهل حلب ، كانت صناعتي الأدب . » ... فيقول ابليس : « فما فعل بشار بن برد (٤) »

(١) الخنساء ، (تعارض بنت عمرو) كبرى شاعر العرب .

(٢) علم ، جبل

(٣) مقامع ، العصي التي يضرب بها الانسان

(٤) بشار ، بشار بن برد من شعراء العصر العباسي الاول

فان له عندي يداً ليست لغيره من ولد آدم : كان يفضلني دون الشعراء ، وهو القائل :

ابليس أفضل من ابيكم آدم فتبينوا ، يا معشر الاشرار
النار عنصره ، وآدم طينة^١ والطين لا يسمو سمو النار

لقد قال الحق ولم يزل قائله من الممقوتين ! «
فلا يسكت من كلامه ، الا ورجل في أصناف العذاب ،
يغمض عينيه حتى لا ينظر الى ما نزل به من النقم ، فيفتحها
الزبانية بكلايب من نار . واذا هو ببشار بن برد قد اعطي عينين
بعد الكمه ، ينظر الى ما نزل به من النكال .

الملك الضليل

ويسأل عن امريء القيس بن حجر (١) فيقال : « ها هوذا
بجيث يسمعك . » يا ابا هند ، أخبرني عن التسميط (٢) المنسوب
اليك ، اصحيح هو عنك ؟ » وينشد الذي يرويه بعض الناس :

يا قوم ، ان الهوى اذا اصاب الفتي
في القلب ، ثم ارتقي فهدد^٣ بعض القوى

فقد هوى الرجل !

فيقول : « والله ! ما سمعت هذا قط ، وان الكذب لكثير
واحسب هذا لبعض شعراء الاسلام ، ولقد ظمني واساء الي . »
فيعجب بما سمعه ...

(١) امرؤ القيس . اشهر شعراء الجاهلية .

(٢) التسميط : نوع من الشعر الخمس ،

عنزة العبسي

وينظر ، فاذا عنزة (١) متلدد (٢) في السعير . فيقول :
« مالك يا اخا عبس ؟ كأنك لم تنطق بقولك :

ولقد شربت من المدامة ، بعد ما

ركد الهواجر ، بالمشوف المعلم ، (٣)

بزجاجة صفراء ذات اسرة

قرنت بأزهر ، في الشمال ، مقدم (٤)

« واني اذا ذكرت قولك : « هل غادر الشعراء من متردم ! »

لأقول : انما قيل ذلك وديوان الشعر قليل ، محفوظ . فاما الآن فلو
سمعت ما قيل بعد مبعث النبي (ﷺ) ، لعبت نفسك على ما قلت
ولقد شق علي دخول مثلك الى الجحيم . »

علقمة بن عبدة

وينظر فاذا علقمة بن عبدة . فيقول : « اعزز علي بمكانك !
ما اغنى عنك سمطاً لؤلئك (٥) ولو شفعت لأحد ابيات صادقة ليس
فيها ذكر الله سبحانه ، لشفعت لك ابياتك في وصف النساء ،
اعني قولك :

(١) عنزة ، من اشهر فرسان الجاهلية وشعراؤها

(٢) متلدد ، متحير

(٣) ركد ، سكن

(٤) ازهر ، ابريق مقدم ، مسدود بالفدام

(٥) سمطاً لؤلئك ، يعني اشهر قصائده

فان تسألوني بالنساء ، فاني بصيرٌ بأدواء النساء ، طيب :
اذا شاب رأس المرء ، او قل ماله
فليس له ، في ودهن ، نصيب ! ..

عمرو بن كلثوم

« فليت شعري ! ما فعل عمرو بن كلثوم ؟ » (١) فيقال :
ها هوذا من تحمك . ان شئت ان تحاوره فحاوره . « فيقول :
« كيف انت ايها المصطبج (٢) بصحن الغانية ، والمعتبق (٣) من
الدنيا الفانية ! لوددت انك لم تساند في قولك :

كأن متونهن متون عُذر تصفقها الرياحُ اذا جرينا !
فيقول : عمرو : « إنك لقرير العين ، لا تشعر بما نحن فيه .
فاشغل نفسك بتمجيد الله ، واترك ما ذهب فانه لا يعود . واما
ذكرك سنادي فان الاخوة ليكونون ثلاثة او اربعة ، ويكون
فيهم الأعرج ، والالنجق (٤) فلا يُعايون بذلك . فكيف اذا بلغوا
المائة في العدد ؟ »

طرفة

ويعمد لسؤال طرفة بن العبد (٥) فيقول : « يا ابن اخي ،
يا طرفة ، خفف الله عنك ! اتذكر قولك :

(١) عمرو بن كلثوم : بطل وشاعر جاهلي

(٢) المصطبج ، الشارب صباحا

(٣) المعتبق ، الشارب مساء

(٤) الالنجق ، الاعور القبيح

(٥) طرفة بن العبد ، صاحب المعلقة الثانية شاعر جاهلي معروف ، مات وهو في سن الشباب

كريم يروي نفسه في حياته ستعلم ، إن متنا غداً ، اينالصدى !
« قولك :

ارى قبر نحام بخيلٍ بماله كقبر غوي في البطالة مُفسد (١)
، فكيف صبوحك الان وغبوقك ؟ اني لاحسبها حميا ! ولو
لم يكن لك أثر ، في الدار العاجلة ، إلا قصيدتك التي على
الدال ، (٢) ليكنت ابقيت اثرأ حسناً ! » فيقول طرفة :
« وددت اني لم انطلق مصراعاً ، ودخلت الجنة مع الهمج والطعام ..

أوس بن حجر

ثم يرى اوس بن حجر (٣) فيسأله عن بيت ورد في شعره وفي
شعر النابغة لمن هو ! فيقول أوس :
« قد بلغني أن نابغة بني ذبيان في الجنة فأسأله عما بدا لك .
فلعله يجبرك ، فهو أجدر ان يعي هذه الاشياء . فاما انا فقد ذهلت :
نار توقد ، وبنان يُعقد ، اذا غلب عليّ الظمأ ، رُفع الي شيء كالنهر
فاذا اغترفت منه لأشرب ، وجدته سعيراً مضطرباً . ولقد دخل
الجنة من هو شرٌ مني ولكن المغفرة ارزاق ، كأنها النشب (٤)
الدار العاجلة ! »

الأخطل

واذا هو برجل يتصور (٥) فيقول : « من هذا ؟ » فيقال :

(١) نحام ، حريص على جمع المال

(٢) اي المعلقة .

(٣) اوس بن حجر ، من اقدم شعراء الجاهلية

(٤) النشب ، المال .

(٥) يتصور ، يتوجع

« الاخطل التغلبي ! » (١) فيقول له : « ما زالت صفتك للخمر حتى غادرتك اكللاً للجمر ! فكم طربت السادات على قولك :
أناخوا ، فجزوا شاصيات كأنها رجال من السودات لم يتسر بلوا (٢)
فقلت : « اصبحوني ! لا ابالايكم ! »

وما وضعوا الاثقال الا ليفعلوا (٣)

فصبوا عقاراً في الاناء كأنها

اذا لمحوها ، جذوة تتأكل ! (٤)

ثم يقول له : « اخطأت في امرين : جاء الاسلام ، فعجزت ان تدخل فيه . وعاشرت يزيد بن معاوية . » فيزفر الاخطل زفرة تعجب لها الزبانية ويقول : « آه على ايام يزيد ! أسوف (٥) عنده عنبراً وامزح معه مزح خليل .. ولقد فاكهته بعض الايام وانا سكران ملتخ (٦) فقلت :

الا اسلم ، سلمت ، ابا خالد ! وحياءك ربك بالعنقر (٧)

اكلت الدجاج ، وأفقيتها . فهل في الخنانيص من مغمز ! (٨)

(١) الاخطل ، اشهر شعراء الامويين اشتهر بوصفه للخمر

(٢) شاصيات ، زفاق ملئت حتى ارتفعت قوائمها .

(٣) اصبحوني ، اسقوني عند الصبح

(٤) العقار ، الخمر

(٥) أسوف ، أشم

(٦) ملتخ ، غير متزن بكلامه بسبب السكر

(٧) العنقر : نبات طيب الرائحة .

(٨) الخنانيص : ج . خنوص : ولد الخنزير .

فما زاد عن ابتسام ، واهتز للصلة !

ويسأله الشيخ عن مذهب يزيد « أكان موحداً ام ملجداً »
فيقول الاخطل : كانت تعجبه هذه الابيات :

أخالد ؟ هاتي خبريني وأعلمني حديثك اني لا اسر التناجيا (١)

حديث اني سُفِيان ، لما سما بها الى اُحد ، حتى أقام البواكيا (٢)
وكيف بغى امراً علي ، فقواته ، واورثه الجُدَّ السعيد معاويا .

وقومي فمُليني ، على ذاك قهوةً تحلبها العيسي كرمًا شاميا . (٣)

اذاما نظرنا في امور قديمة وجدنا حلالا شربها المتواليما

فلا خلفَ بين الناس ، ان محمداً تبوأَ رسماً ، في المدينة ثاويا !

فيقول : « عليك البهلة ! قد ذهلت الشعراء من اهل الجنة والنار
عن المدح والنسيب ، وما سُدهت (٤) عن كفرك ولا اساءتك !
وابليس يسمع ذلك الخطاب كله ، فيقوو للزبانية : « ما رايت

اعجز منكم ، إخوان مالك ! ألا تسمعون هذا المتكلم بما لا يعنيه
فلو ان فيكم صاحب نخيزة (٥) ، لوثب وثبة حتى يلحق به فيجذبه
الى سقر ! » فيقولون : « ليس لنا على اهل الجنة سبيل ! »

ثم يعود الى كلام الاخطل فيقول : أأنت القائل هذه الابيات :

(١) اعلمي : جاهري .

(٢) سما : ارتقع .

(٣) علميني : اسقيني

(٤) ما سُدهت : ما حرت بما انت فيه !

(٥) : نخيزة : طيبة .

ولست بصائم رهضن طوعاً! ولست بأكل لحم الاضاحي
ولست بقائم ، كالعير ادعو قبيل الصبح: «حي على الفلاح!»
ولكني سأشربها شمولاً وأسجد عند مُنبليج الصباح!
فيقول: «اجل! واني لنادم سادم (١) ! وهل اغنت الندامة!»

المهلل

ويمل من خطاب اهل النار ، فينصرف الى قصره المشيد . فاذا
صار على ميل او ميلين ، ذكر انه ما سأل عن مهلل التغلي ،
ولا عن الشفري ، وتأبط شراً . فيرجع على ادراجه ، فيقف
بذلك الموقف وينادي : « ابن عدي بن ربيعة ؟ » فيقال : « زد
في البيان ! » فيقول : الذي يستشهد النحويون بقوله :

ضربت صدرها إلي ، وقالت : « يا عدياً لقد وقتك الاواقى »
فيقال : « انك لتعرف صاحبك بامرٍ لا معرفة عندنا به !
ما النحويون ؟ وما الاستشهاد ؟ وما هذا الهديان ؟ »

فيقول : « اريد المعروف بمهلل (٢) التغلي ، اخي كليب
وائل الذي كان يضرب به المثل . » فيقال : « ها هوذا يسمع
حوارك ، فقل ما تشاء ! » فيقول : يا « عدي بن ربيعة ! أعزز
علي بولوجك هذا المواج ! لو لم آسف عليك الا لأجل قصيدتك
التي اولها :

أيلتنا بندي حُسم ، أنيري ! اذا انت انقضيت ، فلا تحوري !

(١) سادم ، بمعنى نادم .

(٢) المهلل ، (عدي بن ربيعة) من اقدم الشعراء الجاهليين .

« لكنت جدية ان تُطيل الاسف عليك . »

الشفري وتأبط شراً

ويسأل عن الشفري (١) الازدى فيلقيه « قليل التشكي » (٢) والتألم لما هو فيه . فيقول : « اني لا اراك قلقاً مثل قلق اصحابك ! » فيقول : « اجل ! اني قلت بيتاً في الدار الحادة ، فانا اتأدب به وذلك قولي :

غوى فغوت! ثم ارعوى بعد وارعوت

وللقبرُ ، ان لم ينفع الشكو ، اجملُ ! »

واذا هو قرين مع تأبط شراً (٣) ، كما كان في الدنيا الغرارة .

(١) الشفري ، شاعر جاهلي قديم

(٢) « قليل التشكي » ، هكذا ينعمه صديقه تأبط شراً

(٣) تأبط شراً ، شاعر جاهلي كان معاصراً للشفري

القسم السادس

الرجوع الى الجنة

آدم

فاذا رأى قبة الفوائد لديهم ، تركهم في الشقاء السرمد ، وعمد
 لخله في الجنان . فيلقى آدم ، عليه السلام ، في الطريق . فيقول :
 « يا أبانا ، صلى الله عليك ! قد روي لنا عنك شعر منه قولك :
 نحن بنو الارض وسكانها منها خلقنا ، واليهما نعود !
 والسعيد لا يبقى لاصحابه والنجس تمحوه ليالي السعود !
 فيقول : « ان هذا القول حق ، وما نطقه الا بعض الحكماء
 ولكني لم اسمع به حتى الساعة . » فيقول : « فلعلك ، يا أبانا ،
 قلته ثم نسيت ! فقد علمت ان النسيان متسرع اليك ، وحسبك
 شهيداً على ذلك الآية المتلوة في قرآن محمد ﷺ : « ولقد عهدنا
 الى آدم من قبل ، فنسي ولم نجد له عزما ! » وقد زعم بعض
 العلماء أنك سميت « انساناً » . لنسيانك . واحتج على ذلك بقولهم
 في التصغير : « أنيسيان » . وفي الجمع : « أناسي » وقد روي
 أن الانسان من النسيان عن ابن عباس ، وقال الطائي :
 لا ينسي تلك اليهود ، وانما سميت إنسانا لانك ناسي ! »
 فيقول آدم ﷺ : « أبيت الا عقوقاً وأذية ! إنما كنت انكلم

العربية ، وانا في الجنة . فلما هبطت الارض ، نقل لساني الى
السريانية ، فلم انطق بغيرها الى ان هلكت . فلما ردني الله
سبحانه وتعالى ، الى الجنة عادت علي العربية . فاي حين نظمت
هذا الشعر ؟ في العاجلة ام في الآجلة ؟ والذي قال ذلك يجب ان
يكون قاله وهو في الدار الماكرة ، الا ترى قوله : « منها خلقت
واليها نعود » ؟ فكيف اقول هذا المقال ولساني سرياني ؟ واما الجنة
قبل ان اخرج منها ، فلم اكن ادري بالموت ، فيها ، وانه بم
حكم على العباد . واما بعد رجوعي اليها ، فلا معنى لقولي
« واليها نعود ! » لانه كذب لا محالة ، ونحن معاشر اهل الجنة
خالدون مخلدون ! »

فيقول : « ان بعض اهل السير يزعم ان هذا الشعر وجدوه
يعرب في متقدم الصحف السريانية ، فنقله الى لسانه ، وهذا لا
يمنع ان يكون . وكذلك يروون لك ، صلى الله عليك ، لم
قتل قابيل هابيل :

تغيرت البلاد ، ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح
واودي ربع اهلها فبانوا وغودر في الثرى الوجه المليح

فيقول آدم عليه السلام : « أعز علي بكم ، معشر بني ! انكم في
الضلالة متهوكون ! (١) آليت (٢) ما نطقت بهذا النظم ، ولا
نطق في عصري . وانما نظمه بعض الفارغين ، فلا حول ولا قوة
الا بالله ! كذبتكم على خالقكم وربكم ، ثم على آدم ابيكم ، ثم على
حواء امكم ، وكذب بعضكم على بعض ! »

(١) متهوكون : متهورون .

(٢) آليت : اقسمت .

اللذة القصوى

ويذكر الشيخ ما كان يلحق اخا البندام ، من فتور في الجسد
من المدام ، فيختار ان يعرض له ذلك من غير ان ينزف له لب (١)
فاذا هو يخال في العظام الناعمة ديبب نمل ، أسرى في المقمرة على
مل ، فيتروم بقول اياس بن الارت :

عاذل ، لو شربت الخمر حتى يظل لكل انملة ديبب
ذن لعذرتني ، وعلمت اني لما أتلفت من مالي ، مصيب !

ويتكى على مفرش من السندس ، ويأمر بأحور العين ، ان
يحمل ذلك المفرش ، فيضعه على سرير من سرور اهل الجنة ، وانما
يدعو زبرجد او عسجد . فيكون الباريء فيه حلقاً من الذهب تطيف
لاه من كل الانحاء حتى يأخذ كل واحدة من الغلمان ، وكل واحدة
من الجواري المشبهة بالجمان ، واحدة من تلك الخلق ، فيحمل على
تلك الحال الى محله المشيد بدار الخلود . فكما مر بشجرة نضخته
افصائها بماء الورد قد خلط بماء الكافور ، وبمسك ما جني من دماء
فوق (٢) ، بل هو بتقدير الله الكريم . وتناديه الثمرات من كل
ارب ، وهو مستلق على الظهر : « هل لك ! يا ابا الحسن ، هل
فيك ! » فاذا اراد عنقوداً من العنب او غيره ، انقضب له من
والاشجرة بمشيئة الله ، وحملته القُدرة الى فيه . واهل الجنة يلقونه
بأصناف التحية ، « وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين »
ينتهي ابو العلاء ، بهذا المقطع ، تصوير الجنة والنار وما فيها ،
يبدأ بالرد على رسالة ابن القارح ونحن نقف بدورنا عند هذا
لحد من رسالة الغفران لننتقل الى المنتخبات .

(١) نزف له : حصل له دوار . (٢) الفور : ج . فائر : نوع من الغزلان

منتخبات مصرية

قدرة الله

انفرد الله بسلطانه
ما خفيت قدرته عنكم
ان ظهرت نار كما خبروا
تهوى الثريا ويلين الصفا
قد فقد الصدق ومات الهدى
واستشعر العاقل في سقمه
واعترف الشيخ بأبنائه
رهم بالرفق حتى إذا
والدهر يشتف أخلاءه
فاله في كل حال كفاء
وهل لها عن ذي رشاد خفاء
في كل أرض فعلينا العفاء
من قبل ان يوجد أهل الصفاء
واستحسن الغدر وقل الوفاء
ان الردى مما عناه الشفاء
وكلهم ينذر منه انتفاء
شبوأ عنا الوالد منهم جفاء
كأنما ذلك منه اشتفاء

نار الشيبية

أولو الفضل في اوطانهم غرباء
فاسبئوا الراح الكميت للذة
تشد وتناى عنهم القرباء
ولا كان منهم للخراد سباء

وحسبُ الفتي من ذلة العيش أنه

يروحُ بأدنى القوت وهو حياء

إذا ما خبت نار الشبيبة ساءني ولو نصَّ لي بين النجوم حياء

أرايبك في الوُدِّ الذي قد بذلته فاضعف أن أجدي اديك رباء

وما بعد مرَّ الخمسَ عشرة من صباً ولا بعد مرَّ الاربعين صباء

أجذك لا ترضى العبادة ملبساً ولو بان ما تسديه قيل عباء

وفي هذه الارض الر كود منابت فمنها علندي ساطع و كباء

وأصل حبل النسل ما بين آدم وبينني ولم يوصل بلامي بباء

تشاءب عمرو إذ تشاءب خالدٌ بعدوى فما أعدتني الثؤباء

وزهدني في الخلق معرفتي بهم وعلمي بأن العالمين هباء

وكيف تلافى الذي فات بعد ما تلقّع نيران الخريق أباء

إذا نزل المقدار لم يك ثلقطاً نهوضٌ ولا للمخدرات إباء

وقد نطحت بالجيش رضوى فلم تبيل

ولزَّ برايات الخميس قباء

على الولد يجني والد ولو أنهم ولايةً على امصارهم مخطباء

وزادك بعداً من بنيك وزادهم عليك حقوداً أنهم نجباء

يرون أباً ألقاهم في مؤرَبٍ من العقد ضلت حبله إلا رباً
وما أدب الاقوام في كل بلدة الى المين إلا معشر أدب
تبعنا في كل نقبٍ ومخرمٍ منايا لها من جنسها نقباً
إذا خافت الاسد الخماص من الطبا

فكيف تعدى حكمن ظب

الحكمة الضائعة

إذا كان علم الناس ليس بنافع ولا دافع فالحسر للعلماء
قضى الله فينا بالذي هو كائن فتم وضاعت حكمة الحكماء
وهل يابق الانسان من ملك ربه فنخرج من ارض له وسما
سنتبع آثار الذين تحملوا على ساقه من أعبد واما
لقد طال في هذا الانام تعجبي فيما لرواء قوبلوا بطا
أرامي فتشوي من أعاديه أسهمي

وما صاف عني سهمه برما

وهل أعظم الاغصون وريقة وهل ماؤها الا جني دما
وقد بان أن النحس ليس بغافل له عمل في أنجم - الفهماء
ومن كان ذا خود وليس بمكثر فليس بمسحوب من الكرماء

نهابُ أمورا ثم نركب هولها على عنتٍ من صاغرين قماء
أفيقوا أفيقوا يا عُوَاةُ فانما ديانا تم مكرٌ من القدماء
أرادوا بها جمع الخطام فأدر كوا وبادوا وماتت سُنةُ اللؤماء
يقولون ان الدهر قد حان موته ولم يبق في الايام غيرُ ذَمَاء
وقد كذبوا ما يعرفون انقضاه فلا تسمعوا من كاذب الزعماء
وكيف أقضي ساعة بمسرة وأعلم ان الموت من غرمائي
خذوا جذرا من اقرين وجانب ولا تدهلوا عن سيرة الخزماء

البلاء باق

قد حجب النور والضياء وإنما ديننا رياءُ
وهل يجود الحيا أناساً منطويا عنهم الحياء
يا عالم السوء ما علمنا ان مصليك اتقيا
لا يكذبن امرؤ جهولٌ ما فيك لله اولياء
ويا بلاداً مشى عليها اولو افتقار وانغميا
اذا قضى الله بالخازي فكل اهايك اشقيا
كم وعظ الواعظون منا وقام في الارض انبياء
فانصرفوا والبلاء باق ولم يزل داؤك العياء

حُكْمٌ جَرَى لِحَمِيكَ فِينَا وَنَحْنُ فِي الْأَصْلِ اغْتِيَابٌ

استعجال الموت

حياة عناءٌ وموت عَنَا
يد صفرت ولهأةٌ ذوت
وموقدٌ نيرانه في الدجى
يجاول من عاش سترَ القميصِ
فليت بعيدَ حمامِ دنا
ونفس تمت وطرف رنا
يروم سناء برفع السنن
وملء الخميص وبرء الضنن
ومن ضمه جدثٌ لم يُبيلَ
على ما أفاد ولا ما اقتنى
يصير تراباً سواء عليه مسُ الحُريرِ وطعنُ القنا
وشربُ الفناء بخضرِ الفِرندِ
ولا يزدهي غضبُ حلمه
يَهَنَأُ بِالْحُريرِ مَنْ ناله
كأن على آسهنِ الفنا
أَلَقَبَهُ ذَاكِرٌ أَمْ كُنَّا
وليس الهناء على ما هُنا
واقربُ لمن كان في غبطةٍ
بلقيا المُنَى من لقاءِ المنأ
أعابتهُ جسدي رُوحه
وما زال يخدم حتى ونى
وقد كلفته أعاجيبها
فطوراً فرادى وطوراً مُثنا
يُنَافِي ابنَ آدَمَ حَالِ الغصونِ
فهاتيك أجتُ وهذا جنى
تغيرَ خنأؤه شيبه
فهل غيرِ الظهرِ لنا الخنى

إذا هو لم يُخنِ دهرٌ عليه جاء الفريُّ وقال الحنا
وسيان من أمه حرةٌ حصانٌ ومن أمه فرتي
ولي موردٌ بآناء المنون ولكن ميقاته ما أنى
زمانٌ يخاطب أبناءه جهاراً وقد جهلوا ما عنى
يبدل باليسر إعدامه وتهدم أحداثه ما بنى
لقد فزت أن كنت تُعطي الجنا ن بمكة اذ زرتها أو منى

الموت راحة

تعالى رازق الأحياء طراً لقد وَهت المروءةُ والأحياء
وان الموت راحة هبرزي أضرب بلبه داء عياء
ومالي لا أكون وصي نفسي ولا تعصي اموري الأوصياء
وقد فتشت عن أصحاب دين لهم نسكٌ وليس لهم رياء
فألفيت البهائم لا عقول تقيم لها الدليل ولا ضياء
وإخوان الفطانة في اختيال كما أنهم لقوم أنبياء
فأما هؤلاء فأهل مكرٍ وأما الأولون فأغبياء
فإن كان الأتقى بلهاً وعياً فأعيارُ المذلة أتقياء
وأرشدُ منك أجربٌ تحت عبءٍ تهبُّ عليه ريح جرياء

وجدتُ الناسُ كلَّهُم فقيرٌ
ويعدَمُ في الأثامِ الأَغنياءُ
نحبُّ العيشَ بعضاً للعنايا
ونحنُ بما هويننا الأشقياءُ
يموتُ المرءُ ليس له صفيٌّ
وقبلَ اليومِ عزَّ الأصفياءُ
أتدري الشمسُ أنَّ لها بهاءً
فتأسفُ أن يفارقها الأياءُ

الأحلام الضائعة

اسرينا وطالبنا هاجعٌ
وعند الصباحِ حمدنا السرى
بنوا آدمٍ يطلبون الثرا
عند الثريا وعند الثرى
فتى زارعٌ وفتى دارعٌ
كلا الرجلين غداً فامترى
فهذا بعين وزاي يروح
وذلك يؤوب بضادٍ ورا
وعامل قوت ذرا حبه
وخدن ركاز ضحا فاذرى
وكورك فوق طويل المطأ
وسرجك فوق شديد القراً
وميجرى ذفاريها جدها
بمثل الظلام إذا ما جرى
كان بصاق الدبى فوقها
إذا وقدت في الأنوف البُرا
وذلك من حر أنفاسها
يضاعفه حرُّ يومِ جرى
تلوم على أم دفرٍ أخاك
وراءك أن هوى قد ورى (١)

عهدُك مُشبه سِيد الضراء
تَدب فان وجدت مُخلسة
هو الشر قد عم في العالمين
ليفتن في صمته ناسك
فكُنُوا صَبوحِيَّة الشرب أم
وقالوا بدا المشتري في الظلام
وترجو الرباح وأين الرباح
عذيري من مارد فاجر
فهون عليك لقاء المنون
وناد إذا أوعدتك أعتري
ونفسي ترجى كاحدى النفوس
وكم نزل القليل عن منبر
وأخرج عن مُملكه عارياً
إذا الضيف جاءك فأبسم له
ولا تحقر المزدردى في العيون
ولا تحمل النزل تلك الوسو

ولست مُشابه ليث الشرى
فيا لاسـميك أو الشنفرى
أهل الوهود وأهل الذرا
إذا أفتن فيا يقول الورى
ليلي ومكه أم القرى
فيا ليت شعري ماذا اشتري
ونعتك في نفسك الخيسرى
تقرأ والخزبات اقترى
وقل حين تطرق أطرق كرا
فصبراً على الحكم لما اعترى
وتذرى النوائب سكن الذرى
فعماد الى عنصر في الثرى
وخلف مملكة بالعرا
وقرب اليه وشيك القورى
فكم نفع الهين المزدردى
ق إلا بأزارها والعرا

سواها التي مشت الخيزري
أوان شبيبتنا فانسرا
وموتى نوم طويل الكرى
نصرينا لشرب ذاك الصرى
من شاد مكرمتى اوزرى
وأودى فلان بعرق ضرا
ح بين أسنتها والشرا
فخبر عن مسمع او مرا
وقال أناس طغى واقترى
م الا ليورده ماقرى
بمعتصم من قضاء فرى
وما للشبوب وعيش الفرا
هيج شوقا الى قرى
فيوهمك الدر قطر السرا
وصاغ لك الطيف حتى انبرى
لو انتزعت خمسه مادرى

أجل خزرتني وثابة
فان سراء الليالي رمى
ونومى موت قريب النشور
نؤمل خالقنا اننا
سواء علي اذا ما هلكت
فأودى فلان بسقم أضرا
أبالنبل أدرك أم بالرما
فهل قام من جدت ميت
ولو هب صدقه معشر
ولم يقرر في الحوض راعي السوا
أفر وما فرأ نافر
أحن الى امل فاتني
متى قرقر الهاتف العكرمي
وقد يفسد الفكر في حالة
سقاك المنى فتمنيتها
فلا تدن من جاهل اهل

أبى سيفه قتل أعدائه وساف وليدته أوهرى
وتخلف الانس في شأنها وأبعد بن باع ممن شرى
مُغْنِيَةً أُعْطِيَتْ مُرْغِبًا فغنت ونائحة تكترى
وهاو ليخرج ماء القلبِ وراق ليجنى ثولا أرى
فان نال شهداً فأيسر به على انه بسقوط حرى
نزول كما زال اجدادنا ويبقى الزمان على ماترى
نهار يضى ليل يجيء ونجم يغور ونجم يرى

الحكام

مالي غدوت كفاف رؤبة قيدت

في الدهر لم يُقدّر لها إجراؤها
أعلت علة قال وهي قديمة
أعيا الاطبة كلهم إبراؤها
طال الثواء وقد أتى لمفاعلي
أن تستبد بضمها صحراؤها
فترت ولم تفتّر لشرب مدامة
بل للخطوب يغولها إسراؤها
ملء المقام فكم أعاشر أمة
أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها
فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

فرقاً شعرتُ بأنْهالا تفتني خيراً وأنَّ شرارها سُعراؤها
أثرت أحاديث الكرام بزعمها وأجاد حبس أكفها إثرؤها
وإذا النفوس تجاوزت أقدارها حدَّ البعوض تغيرت سُجراؤها
كصحيحة الأوزانِ زادتها القوى

حرفاً فبان لسامعٍ نكراؤها
كريت فسرتُ بالكري وحياتها أكرت فجر نوائباً كراؤها
سبحان خالقك الذي قررت به غبراء توقد فوقها خضراؤها
هل تعرف الحسد الجياد كغيرها فالبهمُ تحسدُ بينها غراؤها
ووجدت دنيانا تشابه طامناً لا تستقيم لناكح أقرائها
هُويت ولم تُسعف وراح غنيها تبعاً وفاز براحة فقراؤها
وتجادلت فقهاؤها من حبها وتقرأت لتناولها قراؤها
وإذاز جرت النفس عن شغف بها فكان زخر غويتها إغراؤها
الله ، رجال الاديات

فقدت في أيامك العلماء وادلهمت عليهم الظماء
وتغشى دهماًنا الغي لما عطيت من وضوحها الدهماء
للمليك المذكرات عبيد وكذلك المؤننات إماء
فالهلل المنيف والبدر والفر قد والصبح والثرى والماء

والشريا والشمسُ والنارُ والسننرة والارض والضحى والسما
هذه كلها لربك ما عا بك في قول ذلك الحكماء
خاتني يا أخي استغفر الله فلم يبق في الا الذماء
ويقال الكرام قولاً وما في العصر الا الشخوص والاسماء
واحاديث حبرتها غواة وافترتها للمكسب القدماء
هذه الشهب خلتها شبك الدهر لها فوق اهلها الماء
عجبا للقضاء تم على الخلق فهت ان تبسل الخزما
او ما يبصرون فعل الردي كيف يبید الاصهار والاسماء
غلب المين منذ كان علي الخلق ومات بغيظها الحكماء
فارقبى يا عصماء يوماً ولو انك في رأس شاهق عصماء
واری الاربع الفرائز فينا وهي في جثة الفتى خصماء
ان توافقن صح اولاً فما ينسفك عنها الامراض والاغماء
ووجدت الزمان اعجم فظاً وجباراً في حكمها العجباء
ان دنياك من نهارٍ وليلٍ وهي في ذاك حية عرماً
والبرايا حازوا ديون منايا سوف تفضى ويحضر الغرماً
ورد القوم بعد ما مات كعب وارتوى بالنمير وفد ظمأ

حيوانٌ ، وجامدٌ غير نامٍ ، ونباتٌ له بسقيًا نماء
وَكُوَّانٌ اَلانامُ خافوا من العقبى لما جارت المياه الدماء
اجدرو الناس في العواقب بالرحمة قومٌ في بدتهم رحماء
وَعَضِبْنَا من قول زاعمٍ حقٍ اننا في اصولنا لؤماء
انت يا آدمَ ادمَ السِّرْبِ حواءٌ وَاك فيه حواءٌ او ادماء
قرمتنا الايامُ هل رثت النجمَ لما ثوى بها قرماء
عالمٌ حائرٌ كطير هواءٍ وهوافٍ تضمها الدماء
وَكأن الهمامَ عمرو بن درما فَلَته من أمه درماء
والبها الشميم تحميه من وط معاديك ارنب شماء
وَعَرَّانا على الحطامِ ضرابٌ وطعانٌ في باطنٍ ورماء
أَسودُّ القلبَ أسود ومتى ما تصغَ اذنى فاذته صماء
قد رمى نابلٌ فأنمى واصمى وليالك لها إغماء
ان ربَّ الحصن المَشِيدِ بتيها ءتولى وُخَلِّفتَ تيماء
أوماتٌ للحداءِ كفُّ الشرياءِ تم صد الحديث والاياء
شهدتُ بالمليك أنجمها الستة ثم الحَضيبُ والجذماء
فَفيهمُ الناسُ كالجَهلِ وما يظفرُ الا بالحسرة الفسها

تلتقى في الصعيد أمّ و بنت و تساوى القرناء و الجماء
و أيق الربيع يُدركه القيظ وفيه البيضا و السحماء
و طريقي الى الحمام كَرِيه لم تُهبّ عند هوله اليهائم
ولو ان البيداء صارم حرب وهي من كل جانب صرّاء
كيف لا يُشرك المُضيقين في النعمة قوم عليهم النعماء

نار الشبيبة

ولو الفضل في اوطانهم غرباء تُشدّ و تنأى عنهم القرباء
فما سبّوا الراح الكميت للذة ولا كان منهم للخراد سبباء
و حسب الفتي من ذلة العيش أنه يروح بأدنى القوت وهو حباء
إذا ما خبت نار الشبيبة ساءني ولو نُصّ لي بين النجوم خباء

كلهم سيء

إن مازت الناس أخلاق يُعاش بها فانهم عند سوء الطبع أسواء
و كان كل بني حواء يُشبهني فبئس ما ولدت في الخلق حواء
بُعدي من الناس برء من سقامهم و قريهم للحجبا و الدين أدواء
كالبيت أُفرد لا إيطاء يدركه ولا سناد ولا في اللفظ إقواء

نوديت أويت فانزل لا يراد أتى

سيري لوى الرمل بل للنبت إلو

وذلك أن سواد ألفود غيره في غرة من بياض الشيب أضوا

إذا نجوم قدير في الدجى طلعت فلاجفون من الاشفاق أنوا

سكارى وعذارى

أقيمي لأعد الحج فرضاً
فقي بطحاء مكة شر قوم
وإن رجال شيبة سادنيها
قيام يدفعون الوفد شنعاً
إذا اخذوا الزوائف أوجوهم
متى آذاك خير فافعليه
فلوقبل الغواة عرفت كسفي
ولا تثقي بما صنعوا وصاغوا
جرت زمناً وتسكن بعد حين
لعل قران هذا النجم يتني
فقد أودى بهم سغب وظم

على عجز النساء ولا العذارى
وليسوا بالحمأة ولا الغيارى
إذا راحت لكعبتها الجماراً
إلى البيت الحرام وهم سكارى
ولو كانوا اليهود أو النصرارى
وقولي إن دعاك البر آرى
من الكذب الموه ما توارى
فقد جاءت خيولهم تبارى
وأقضية المهيمن لا تجارى
إلى طرق الهدى أمماً حيارى
وأينقهم بمتلفة حسارى

وما أدري أمن فوق المهاري أب إذا نظرت أم المهاري
أنتهم دولة قهرت وعزت فباتوا في ضلالتها أسارى
أوظنوا الطهر متصلاً بقوم وأقسم إنهم غير الطهاري
أوما كريت عيون الناس جمعاً ولكن في دُجنتها تكاري
ألم كليم تخالف ما أجنوا صدورهم بصحته تماري



الفساد

آدم

فَسَلَّ أَبُو عَالِمْنَا آدَمَ وَنَحْنُ مِنْ عَالِمْنَا أَفْسَلُ (١)
والخير محبوب ، ولكنه يعجز عنه الحي ، اويكسل
والارض للطوفان مشتاقاً لعلها من درت تُغسل .

حواء وبنوها

ان مازت الناس اخلاقاً يعاش بها

فانهم عند سوء الطبع اسواء
او كان كل نبي حواء يشبهني فيئس ما ولدت في الخلق حواء

الاجساد

ايا جسد المرء ، ماذا دهاكا وقد كنت من عنصر طيب
تخبثت ، اذ جُمعت اربع

لديك ، واضحكت في الحي بي (٢)
فلا تجز عن اذا ما الحما مُ صاح بوفد الضنا : هي بي !

(١) اسل : احقر

(٢) اربع : هي العناصر الاربعة ، الماء والهواء والنار والتراب

يصير طهوراً ، اذا ما رجعت إلى الاصل ، كالمطر الصيب

كلاب و كلب

وقد غلب الاحياء في كل وجهة هوائهم ، وان كانوا غطارفةً غلباً
كلابٌ تغاوت او تعاوت جليفةً واحسبني اصبحت الامها كلباً

هل ينفع المسك ؟

نت عن الدنيا ولا بنت لي فيها ، ولا عرس ، ولا أخت
من مدحوني ، ساءني مدحهم وختلني في الثرى سخت (١)
جسمي انجاس ، فما سرني اني بمسك القول ضمخت
من وسخ صاغ الفتى ربه فلا يقولن تو سخت

الارض لا تحمل

كأنما الارض شاع فيها من طيب ازهارها يجور
ثنت على ربه السواري والنبت والماء والصخور
ونحن فوق التراب ثقل يكاد من تحتنا يجور

الانسان اظلم

قد فاضت الدنيا بأدناسها على براياها واجناسها
وكلُّ حيٍّ فوقها ظالمٌ وما بها اظلمٌ من الناس

متفرقات

والشرُّ في الجد القديم غريزةٌ في كل نفس منه عرقٌ ضاربٌ

* * *

فلا تعذلينا ، كلنا ابن لثيمة

وهل تعذبُ الاثمار، ان لؤم الغرسُ

* * *

لقد فعلوا الخير القليل تكلفاً

وجاؤوا الذي جاؤوه من شرهم طبعاً

* * *

القلب كالماء ، والاهواء طافيةٌ عليه مثل حباب الماء في الماء

* * *

تفرقوا كي يقل شرُّكم فانما الناس كلهم وسخٌ

* * *

يغدو على خله الانسان يظلمه كالذئب يأكل عند الغرة الذئبا!

* * *

ابن الحق ؟

وجدتُ الناس في هرج ومرج غواية بين معتزل ومرجي
فشان ملو كههم عزف ونزف واصحاب الامور جياة خرج (١)
افي الدنيا ، لهاها الله ، حق فيطلب في حنادسها بسرج ؟

الدين مكر

افيقوا ، افيقوا يا غواة فأنما ديانتم مكر من القدماء
ارادوا بها جمع الحطام فأدر كوا وبادوا ، وماتت سنة اللؤماء

مقلدون

عاشوا كما عاش اباؤهم سلفوا واورثوا الدين تقليداً كما وجدوا
فما يراعون ما قالوا وما سمعوا ولا يباليون ، من غي ، لمن سجدوا

العقل يحاسب

والعقل يعجب ، والشرائع كلها خبر يُقلد لم يقسه قانس
متمسجون ومسلمون ومعشر متنصرون وهاندون رسائس (٢)

(١) نزف : سكر

(٢) رسائس : جمع رسيس وهو اول كل شيء ويقصد بها هنا : اليهودية اقدم الاديان

وبيوت نيرانٍ تُترارُ تعبدًا ومساجد معمورة وكنائس
والصائبون يعظمون كواكبًا وطباعٌ كل في الشرور حبايس

العقل

يرتجي الناسُ ان يقوم امامٌ ناطقٌ في الكتيبة الحرساء (١)
كذب الظنُّ ، لا امام سوى العقلِ مشيراً في صبحه والمساء
فاذا ما اطعته جلب الرحمة عند المسير والارساء
انما هذه المذاهب اسبابٌ لجذب الدنيا الى الرؤساء
فانفرد ما استطعت فالقائل الصادق يضحى تقلا على الجلساء

احتيال

ولا تطيعن قوماً ما ديانتهم الاحتيال على اخذ الاتوات
وانما حمل التوراة قارئها كسب الفوائد لاحب التلاوات
ان الشرائع اقلت بيننا احنأ واودعتنا افانين العداوات
وهل ابيحت نساء القوم عن عرض للعرب الا باحكام النبوات

حيرة

سألتُ المحدثَ عن شأنه فما زال يضعف حتى ارتبك

* * *

(١) : هو الامام المعصوم الذي تقول به الباطنية .

اجاز الشافعي ^{هـ} فقال ^{ثي} شيء وقال ابو حنيفة لا يجوز!

* * *

عالم السوء

قد حُجِبَ الدين والضياءُ وإِنما ديننا رياءُ
يا عالمَ السوء ، ما علمنا ان مُصليكَ اتقياءُ
لا يكذبن امرؤ جهول ما فيكَ اللهُ اولياءُ
كم وعظ الواعظون منا وقام في الارض انبياءُ
فانصرفوا ، والبلاء باقٍ ولم يزل داؤك العياءُ
حكمٌ جرى للعالمين فينا ونحن في الاصل اغبياءُ

رجال الدين

رويدك قد غررت وانت حرٌ بصاحب حيلة يعظ النساءُ
يُجرم فيكم الصهباءُ صبحاً ويشربها على عمدٍ مساءً
تحسأها فمن مزج وصرفٍ يُعل كائنا ورد الحساءُ
يقول لكم غدوتُ بلا كساءٍ وفي لذاتها رهن الكساءُ
إذا فعل الفتى ما عنه ينهى فمن جهتين ، لا جهةٍ اساءُ

نتيجة البحث

وقد فنشت عن اصحاب دين لهم نسك ، وليس لهم رياء
فألفيت البهائم لا عقول تقيم لها الدليل ، ولا ضياء
واخوان الفطانة في اختيال كأنهم لقوم انبياء
فأما هؤلاء فاهل مكر واما الاولون فاغبياء

فساد المرأة

من قصيدة تبين آراء المعري في المرأة

ترنم في نهارك مستعيناً بذكر الله في المترنات (١)
وهينم ، والظلام عليك داج لدى ورق سمع مهيمنات (٢)
ولا ترجع بإيماء سلاماً على يبيض اشرف مسلمات
فوارس فتنه ، اعلام غبي ثقينك بالاماور معلمات (٣)
وسام ما اقتنعن بحسن اصل فجئتك بالخضاب مومسات
وقد يصبحن ، عن بر ونسك ، باطيب عنبر متدسات
كان خواتم الافواه فضت عن الصهب العذاب مختمات (٤)

(١) المترنات : الطيور المغردة

(٢) الهينمة : هي الصوت الحفي

(٣) مملات : المترينات

(٤) الصهب : الجمور

ثمتهنَّ الجماجمُ عن مرادٍ بشيبٍ ، فائنينَ مججمات (١)
نخور الريق لسن بكل حال على طَّلابهن محرمات
ولكن الاوانس باعثاتٌ ركابك في مهالك مقتمات
صحبناك فاستفدت بهن ولداً اصابك من اذاتك بالسما (٢)
ومن رُزق البنين فغير ناء بذلك عن نواب مسقمت
فمن تُكل يهاب ، ومن عُقوقٍ وارزاء يحن مصمات
وان تُعط الاثا فاي بؤس تبين في وجوه مقسمات (٣)
يُردن بعولةً ، ويردن حلياً ويلقين الخطوب ملومات
ولسن بدافعات يوم حرب ولا في غارة متغشحات (٤)
ودفن ، الحوادث فاجعات ، لاحداهن احدى المكرمات
وقد يفقدن ازواجاً كراماً فيا للنسوة المتأيمات
يلدن اعادياً ، ويكن عاراً اذا امسين في المتهضحات (٥)

* * *

-
- (١) مججمات : مهممات
(٢) السما : من الوسم وهو السكي
(٣) مقسمات : جميلات
(٤) المتغشم : الشجاع
(٥) المتهضحات : المهزومة حقوقهن

وما الجاراتُ الا جارياتُ^{هـ} بعيبك ان وُجدن مُهَيَّات (١)
فلا تسأل اهندام كليس^{هـ} ثوت في النسوة المتخيمات
ولا ترمق بعينك رائحات^{هـ} الى حمامهن مُكَمَّات
ومن عاشرت من انسٍ فحاذر^{هـ} غوائل مُرَدِّ مُتَهَكَمَات (٢)
متى يطمعن فيك يُرين تيهًا لا طيبِ مطعمٍ متَأَجَمَات (٣)
وليس عكوفهنَّ على المصلى^{هـ} أمانًا من غوارزِ محرّمات
ولا تحمدِ حسانك ان توافت^{هـ} بايد للسطور مقومات
فحمل مغازلِ النسوانِ اولى^{هـ} بن من اليراع مقلّعات
سهام^{هـ}، ان عرفن كتابَ لسنٍ رجعن بما يسؤ مسمّيات (٤)
ويتركن الرشيد بغير لب^{هـ} اتين لهديه متعلّعات
ليأخذن التلاوةَ عن عجوز^{هـ} من اللائي ففرن مهتّمات
يسبهن المليك بكل جنح^{هـ} ويركعن الضحى متأثّمات
فما عيب^{هـ} علي الفتياتِ لحن^{هـ} اذا قلن المراد مترجمات (٥)
ولا يدنين من رجل ضرير^{هـ} يلقنهن آيا محكمات ،

- (١) مهيّات : مفرّجات
(٢) مرَدِّ : عاصيات
(٣) تأجم : استشاط غضبا
(٤) اللسن : اللغة
(٥) لحن : خطأ في الاعراب

سوى من كان مرتعشاً يدها ولمتته من المتنعفات (١)
وان طاوعن امرئ، فانه غيداً يزرن عرائسات متيممات.
اخذن كريش طاووس لباساً ومسكاً بالضحى متلغفات (٢)
وابعدهن عن ربّات مكرٍ سواحرٍ يغتدين معزّيات
يقلن نهيج الغياب حتى يجيئوا بالركاب مزّمات (٣)
ونعطف هاجر الخلان كيا يزول عن السجايا المسّمات (٤)

الشرف الضائع

اذا بلغ الوليد لديك عشراً فلا يدخل على الحرم الوليد
فان خالفتي ، واضعت نصحي فانت وان رزقت حجي ، بليد
الا ان النساء حبال غي بن يضيّع الشرف التليد .

خير النساء

خير النساء اللواتي لم يلدن لكم فان ولدن فخير النسل ما نفعنا
واكثر النسل يشقي الوالدان به فليته كان عن آباءه دُفعا
اضاع داريك من دنيا وآخرة لا الحي اغنى ولا في هالك شفعا
وكم سليل رجاه للجمال أب فكان خزيّاً باعلى هضبة رُفعا

(١) تنعم : شاب (٢) تلغم : تطيب (٣) مزّمات : من زمم الجمل : خطمه

(٤) المسّمات : التي تحدث السامة

السعادة

كلاهما عناء

حياة عناءٌ وموت عناءٌ فليت بعيداً حمام دناء
يدٌ صفرت ، ولهأة ذوت ونفس تمنت ، وطرف رنا
يحاول من عاش ستر القمي ص وملء الحميص ، وبرء الضني
اعائبه جسدي روحه وما زال يخدم حتى وني
ولي مورد بناء المتون ولكن ميقاته ما أنى ،

الى الأذى

نادى حشا الام بالطفل الذي اشتملت

عليه : ويحك الا تظهر ومت كدا !

فان خرجت الى الدنيا لقيت اذى

من الحوادث ، بله القيظ والجمدا

وما تخلص يوماً من مكارها وانت لا بد فيها بالغ أمداء

ورب مثلك وافاها على صغر حتى اسن فلم يحمدا وما حمدا

لا تأمن الكف من ايامها شللاً ولا النواظر كفاً عن او رمدا

فان ابیت قبول النصیح معتدیاً فاصنع جمیلاً ، وراع الواحد الصمدا
فسوف تلقي بها الامال واسعة اذا اجزت مدى منها رأیت مدى
وتركب اللج تبغی ان تفیدغنی وتقطع الارض لا تلقي به تمدا
وان سعدت فما تنفك في تعب وان شقيت فن للجسم لو همدا
ثم المنايا فاما ان يقال مضى ذمیم فعل ، واما كوكب خمدا .

یا ام دفر

ما كان في هذه الدنيا بنو زمن الا وعندي من اخبارهم طرف
يجبر العقل ان القوم ما كرموا ولا افادوا، ولا طابوا، ولا عرفوا
عاشوا قليلا، وما جوا في ضلالتهم ولا يفوزون ان جوزوا بما اقترفوا
اذا شقيت فجسم ناله نصب ، وان ترفت فماذا ينفع الترف ؟
یا ام دفر لحاك الله والدة منك الاضاعة والتفريط والسرف
لو انك العرس او قعت الطلاق بها لکنك الام، هل لي عنك منصرف

ثوب .. وقلب

تقواك زاد فاعتقد انه افضل ما اودعته ما في السقاء
اه غداً من عرق نازل ومهجة مولعة بارتقاء

ثوبي محتاجٌ إلى غاسلٍ وليت قلبي مثله في النقاء
موت يسيرٌ معه راحةٌ خير من اليسر وطول البقاء
وقد بلونا العيشَ أطواره فما وجدنا فيه غير الشقاء
تقدم الناس ، فيا شوقنا الى أتباع الأهل والأصدقاء
ما أطيب الموت لشرابه ان صحَّ للاموات وشكُّ التقاء



ابن الخوي؟

متفرقات

وانما نحن في ضلال وتعليل فان كنت ذا يقين فإتاه .

* *

سألتموني فاعيتني اجابتم من ادعى انه دار فقد كذبا .

* *

اذا قلت المحال رفعت صوتي وان قلت اليقين اطلت همسي .

* *

اما اليقين ، فلا يقين وانما اقصى اجتهادي ان اظن واحدا

* *

نفارق العيش لم نظفر بمعرفة اي المعاني باهل الارض مقصود

* *

الغيب مجهول يحار دليله واللب يأمر اهله ان يتقوا .

* *

رأيت الحق اولؤة توارت بليج من ضلال الناس جم .

مصيرنا

الروح و صيرها

والروح ارضية في رأي طائفة وعند قوم ترتقي في السماوات
تمضي ، على هيئة الشخص الذي سكنت

فيه ، الى دار نعيم او شقاوات

الروح ستسكن

روح اذا اتصلت بشخص لم يزل هو وهي في مرض العناء المكمد
ان كنت من روح في اريخ اسكني او كنت من لهب في الهب اخمدا

هباء

لو كان جسمك متروكا بهيئته بعد التلاف ، طمعنا في تلافيه
كالدن عطل من راح تكون به ولم يُحطَّم فعاتت مرة فيه
لكنه صار اجزاء مقسمة ثم استمر هباء في سوافيه

لا تناسخ

يقولون ان الجسم ينقل روحه الى غيره حتى يذهبها النقل
فلا تقبلن ما يجبرونك ضلّة اذا لم يؤيد ما اتوك به العقل

ماهية الروح

والروح شيءٌ لطيفٌ ليس يدركه عقلٌ ، ويسكن من جسم الفتى حرجا
سبحان ربك ، هل يبقى الرشاد له وهل يُحسُّ بما يلقى اذا خرجا؟
وذاك نورٌ لاجساد يحسنها كما تبينت تحت الليلة السرجا
قالت معاشر : يبقى عند جثته وقال ناس : اذا لاقى الردي عرجا (١)

الفساد في الاصل

حوتنا شرورٌ لاصلاحٍ مثلها فان شذَّ منا صالحٌ ، فهو نادرٌ
وما فسدت اخلاقنا باختيارنا ولكن بامرٍ سببته المقادر
وفي الاصل غش ، والفروع توابعٌ وكيف وفاء النجل ، والاب غادر؟
فقل للغرابِ الجون ، ان كان سامعاً ، أأنت على تغيير لونك قادر؟ (٢)

عزلة

اذا حضرت عندي الجماعة اوحشت فواحدتي الا صحيفة ايناسي
طهارة مثلي في التباعد عنكم وقربكمُ يجني همومي وادناسي

لا تعاشرهم

توحدٌ فان الله ربك واحدٌ ولا ترغبين في عشرة الرؤساء

(١) عرج : صعد الى السماء (٢) الجون : الاسود

يُقل الأذى والعيب في ساحة الفتي وان هو أكدي ، قلة الجلوس

الغنى

اغنى الانام تقي في ذرى جبل يرضى القليل ويأبى الوثي والتاج
وافقر الناس في دنياهم ملك يضحي الى اللجب الجر ار محتاج

للحيوان روح كالانسان

غدوت مريض العقل والدين فالقنى

لتسمع أنباء الامور الصحاح

فلا تأكلن ما اخرج الماء ظالماً ولا تبغ قوتاً من غريض الذبائح (١)

ولا يبض آمات ارادت صريحه لاطفالها، دون الغواني الصرائح (٢)

ولا تتجعن الطير، وهي غوافل، بما وضعت، فالظلم شر القبائح

ودع ضرب النحل الذي بكرت له

كواسب من ازهار نبت فوائح (٣)

فما احرزته كي يكون غيرها ولا جمعته للندي والمنائح

مسحت يدي من كل هذا فليتنى ابته لثأني قبل شيب المسائح (٤)

(١) غريض : طريء (٢) الصرائح : الصافيات اللون ، الجميلات

(٣) ضرب : عمل ابيض (٤) المسائح : ذوائب الشعر

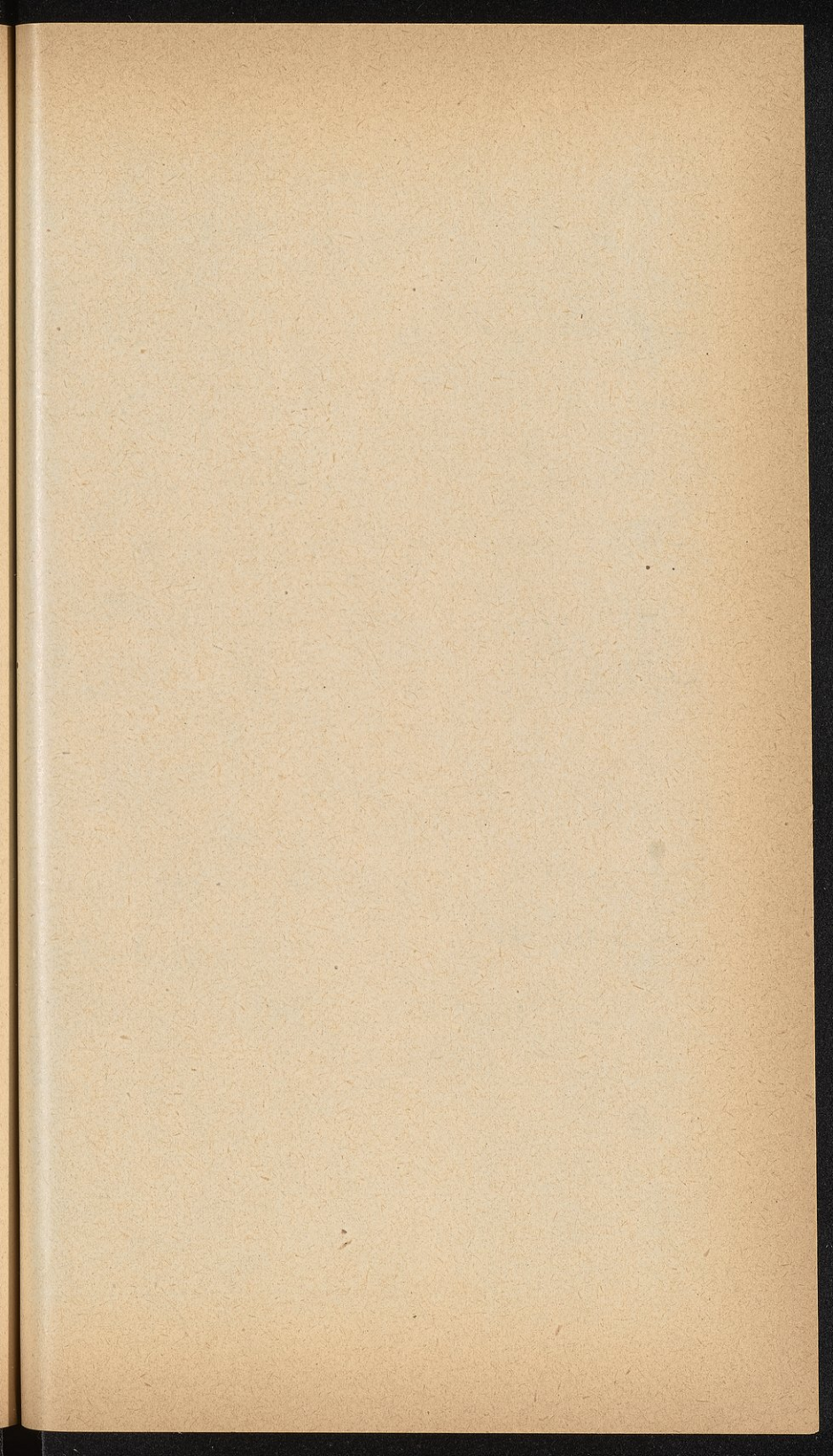
الخمرة

بالبليّة باب كل بليّة فتوقين هجوم ذلك الباب
فأجرت ملا الصديق وهجره وأذى النديم وفرقة الاحباب
نكت حجاب المحصنات وجشمت
مهن العبيد ترضم الارباب
تورهم الشيب المدالف أمهم لبسوا على كبر برود شباب (١)
إذا تأملت الحوادث ألفت صهب الدنان اعادي الالباب

حقير يسير

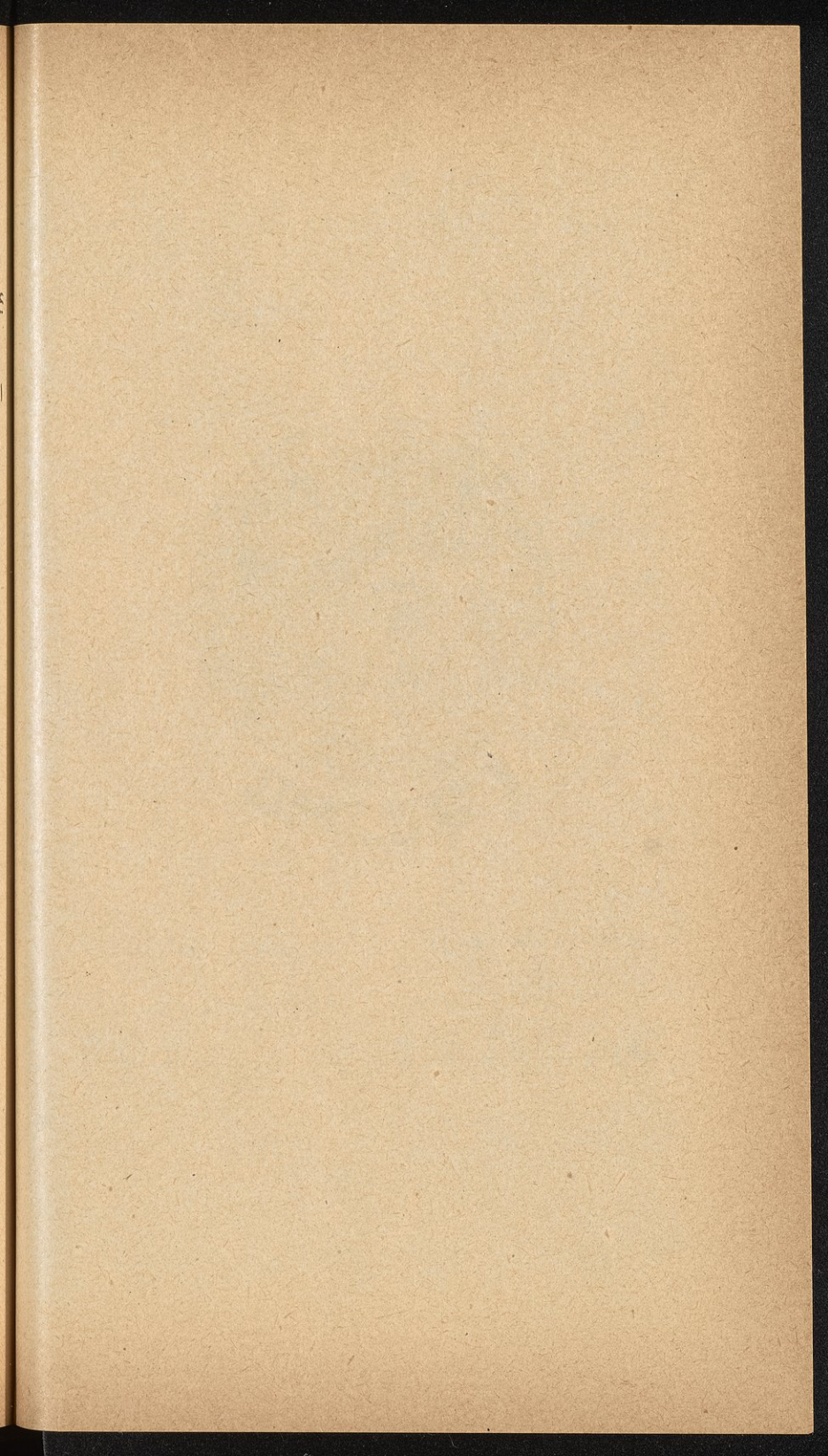
لا تعذلاني فالذي ابتغي من هذه الدنيا حقير يسير
ت اسيراً في يدي برهة تسير بي وقتي اذا لا اسير
كطائر قيل الا تغتدي فقلت اني وجناحي كسير .

(١) مدالف : جمع مدلف وهو الشيخ يمشي ببطء





عظماً امير المؤمنين فاننا في دوحه العلياء لانفترق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت ابداً كلانا في المعالي معوق
إلا اخلافة ميزتك فاني أنا عاقل منها وانت مطوق



... ماذا يمكننا ان نعتقد برجل يخاطب الخليفة بهذه اللهجة ؟ هل هو
يمدح الخليفة حقاً ؟ ام يمدح نفسه ويفتخر بشخصه ؟

واذا كان لابد لنا من الجواب على هذه الاسئلة فنجيب : انه ليس في التاريخ
السياسي والادبي في جميع العصور العباسية من بلغت به الجرأة والشجاعة
والاعتداد بالنفس حتى يخاطب الخليفة بهذا الخطاب ، خصوصاً ، اذا ادركنا
ان المخاطب هو احد الشعراء الذين تضيق بهم بغداد وان كان من
اشراف الطالبين . فان الطالبين في ذلك الوقت لم تكن لهم القوة التي تدفع
وتسمح لأحدهم ان يخاطب الخليفة بهذه اللهجة مهما كانت مكانة الخليفة
من الضعف .

من هو قائل هذه الابيات :

مقامي على الهوان وعندني مقول صارم وانف حمي
واباء محلق بي عن الضيم كما راغ طائر وحشي
أي عذر له إلى المجد إن ذل غلام في غمده المشرفي

هذه الروح الوثابة ، وهذا الغناء الجياش يذكرنا بشاعر طالما تناقلت
شعره السن الرجال ، يذكرنا بالمتني ، ولكن هل قائل هذه الابيات
المحلقة هو المتني ، لا ، بل انه رجل ، كانت له آمال اكبر من آمال المتني .
وكانت له شاعرية تبرز شاعرية المتني في بعض فنون ، رجل ، قاسى ما قاسى
المتني واكثر ، رجل عرفته مصائب الدهر ، وكوارث الايام ، ولكنه بقي
صامداً ، لم تحطم تلك المصائب في نفسه اية ذرة من الآمال الكبيرة التي
تضطرم في صدره ، بل انها زادت اضطرام تلك الثورة ليلفظها شعراً
جميلاً قوياً .

فتى انشد الشعر وهو في العاشرة من عمره بينما كانت الايام تكيل

له ضرباتها ، وبينما كان والده الجليل يساق الى السجن من ديار فيها العز
وفيها المكاة ولها الاحترام .

من هو ذلك الفتى الشاعر ؟ ومن هو ذلك الشيخ الجليل الذي مجّد ولده
رجولته ، وبكى فراقه بعيون من الشعر ؟

اما الفتى فهو الشريف ابو الحسن محمد الرضي الموسوي ولد في بغداد
سنة ٣٥٩ هـ والملك عندئذ لبختيار بن معز الدولة بن بويه والخلافة
للخليفة العباسي المطيع لله .

واما الوالد فهو ابو احمد الحسين الموسوي يرتفع بنسبه الى ان يبلغ
السيد موسى الكاظم ، ثم يتدرج الى ان يبلغ الحسين بن علي بن ابي طالب
امير المؤمنين و آخر الخلفاء الراشدين .

كان والد الشريف يتولى نقابة الاشراف الطالبين الى جانب اماره
الحاج بالناس . وهذه مرتبة لا يصلها الا من له مناقب واعمال تؤهله كي
يبلغها ، ولقد كان الحسين الموسوي ذلك الرجل .

وفي زمن بختيار بن معز الدولة حرم الحسين من اماره الحج والنظر
في المظالم ، وابتدأت بوادر القلق ، وغيوم الشك والوجل تتلبد فوق ذلك
البيت الكريم . حتى اذا اتت سنة ٣٦٧ هـ الموافقة ٩٧٧ م ودخل الى بغداد
سلطان جديد هو عضد الدولة الذي ازال عن بغداد كلمة سلفه وسلطته
ووجد دولة آل بويه ، وارتد الى النظر في الحالة الداخلية ، وما ان بلغت
سنة ٣٦٩ حتى ابتدأت تلك الغيوم تنقشع فوق ذلك البيت الكريم عن جو
حافل بالرياح والاعاصير ، اذ امر عضد الدولة باعتقال رب البيت وحبسه
في قلعة فارس ، ومصادرة املاكه ، واذا قلنا ان الشريف كان يومئذ في
العاشرة من عمره لتبين لنا اي اثر تركته هذه الحادثة بل هذه السكارثة في
نفسه . وقيل ان احدى قصائده الجيدة المبكرة نظمها في ذلك الوقت
عندما بلغه ان المظفر بن عبدالله وزير عضد الدولة قال لآبيه حين جيء به

اليه : « كم تدلّ علينا بالعظام النخرة » ! يعني عظام اجداده الأئمة .
فثارت نفس الشريف هذه الالهانة ورد عليها بهذه القصيدة التي تدل على
عبقرية مبكرة ، وجرأة ظاهرة نادرة :

نصافي المعالي والزمانُ معاندُ ونمهض بالآمالِ والجدُ قاعدُ
إلى ان يقول معرضاً بالحليفة تعريضاً جارحاً مشيداً بقوة
الفاطميين في مصر :

وطاغٍ يُعيرُ البغى غرْبَ لسانه . وليس له عن جانب الحقِ ذائدُ
ولو كان بين الفاطميين رفرت عليه العوالي والظبا والسواعد

قلنا ان عضد الدولة اعتقل الموسوي وارسل به الى فارس . ثم بينا ان
الشريف بقي في داره يتلهف على تلك الايام السعيدة في كنف ذلك الاب
الكريم العظيم كالطود الشامخ فاذا بهذا الواقع الاليم بعد سجن والده
يدعه ذاهل العقل ، رقيق الاحساس ، ولم تكن هذه النكبة إلا لتخلق
من الشريف شاعراً ينظر الى الحياة بمنظار الرجال وهو في سن الصبيان ،
وليس مثل الحياة والايام تصقل النفوس وتحرك الشعور ، فالشريف
الذي عرف حياة الشرف والعز والجاه ، ترى ماذا كان شعوره وهو يرى
نفسه في حالة يرثى لها من الهوان والفقير ؟

ان هذه الحادثة وان كانت ذات سيئات من بعض النواحي التي تتناول
شخص الشريف الرضي إلا انها احسنت اليه ، اذ صقلت ادبه وهزت نفسه وايقظت
شاعريته ، واهبت احساسه .

ولقد كنا ننتظر ان يقتحم الشريف ميدان الهجاء ، فيهجو عضد الدولة
الذي امر بسجن والده ، ولكن الشريف لم يفعل ذلك لان اعمال عضد الدولة
العمرائية واهتمامه بجالة البلاد جعلت شتمه صعباً ، يضاف اليها قوة عضد الدولة

وبطشه كل هذه العوامل ضف اليها محبة اهل العراق لعضد الدولة من جهة اخرى ، جعلت شعور الشريف يخبىء في نفسه الى حين الحاجة ، وحين يقدر له ان يزيح عن صدره هذا الشعور بكره عضد الدولة ودولته ولم يطل الامر حتى توفي عضد الدولة في سنة ٣٧٢ والشريف في الثالثة عشر من عمره ، إلا ان الشريف مع هذا لم يأمن الدهر ولم يرتج اليه ، فهو يعلم ان موت عضد الدولة لايجل مشكلته ، بل ان ابنائه سوف يسيرون على خطة والدهم ، إلا انه اسرع يبشر والده بموت عضد الدولة :

ابلقاعني الحسين (١) ألو كاً ان ذا الطود بعد تهدك ساخناً

إلا ان الامر لم يطل ايضاً هذه المرة كما طال في سالفها ، واذا يخاف الشريف تنقشع شيئاً فشيئاً عندما اختلف ابناء عضد الدولة ، صمصام الدولة الذي استلم الملك بعد ابيه ، وشرف الدولة الذي اخذ البيعة لنفسه في بلاد فارس .

وكان لا بد لشرف الدولة من ان يحسن إلى الذين اساء اليهم والده وهو الذي يتمشى مع سياسة مخالفة لسياسة اخيه الذي سار على سياسة والده ، وكان ان افرج عن ابي احمد الموسوي واخيه ابو عبدالله وغيرهم من الذين سجنهم والده .

وكان من المفروض ان يرحب الشريف بهذا الافراج ، ولكنه لم يستطع ايضاً لان صمصام الدولة كان له بالمرصاد .

ولكن الحرب ما لبثت ان قامت بين الاخوين ، وكانت الغلبة فيها لشرف الدولة فهزم اخاه ودخل بغداد دخول الفاتحين ، وصار من حق الموسوي دخول بغداد ورؤية ولديه الحسينين ، إلا ان عودته الى بغداد لم يرافقها اعادة املاكه اليه فلذا كانت الفرحة بالعودة غير تامة .

ولا بد ايضاً من أن تأتي على ذكر قصائد الشريف عند ما كان والده لا يزال
اسيراً في فارس ، اما هذه القصائد فهي التي دُعيت بالقوافي ، وهذه
القوافي زاخرة بالتبرم والضجر والضييق ونتائج النكبة التي منيت
بها هذه العائلة الكريمة .

خطوبٌ لا يقاومها البقاءُ وأحوالٌ يدبُّ لها الضَّراهُ
ودهرٌ لا يصحُّ به سقيمٌ وكيف يصح والام داءُ
الى ان يقول :

فلا تحزنْ على الايامِ فينا إذا غدرتْ وشيمنتنا الوفاءُ

وهنا يظهر الشريف التجلد في مقارعة الخطوب .

وفي قصيدة اخرى يقول :

فتى سنه عن خمس عشرة حجةً ترَّبى له فضلاً ومجداً ومحتداً

تفرد لا يُفشى الى غير نفسه حديثاً ولا يدعو من الناس منجداً

وهناك قصائد عديدة قالها الشريف في مدح ابيه وشكوى الدهر
والايام ، وجميع هذه القصائد تتميز بروح الكآبة التي تشع بين سطورها
ثم مدح والده هذا المدح الذي تميز بتمجيد رجولته ، واحترام هذه الرجولة
ثم التعريض بمن خذلوه في هذه المحنة .

وفي سنة ٣٧٦ يعود الموسوي الى بغداد ، ونزيد ، ان هذا الوقت
الطويل الذي قضاه والده في السجن والغربة جعلت منه شيخاً هزيل الجسم
قارع الايام طويلاً فأذا به يختلف عما كان عليه قبل رحيله ، ولكن الشريف
يستقبله استقبال الابن المشتاق لرؤية والده وصديقه :

طلوعٌ هدهاهِ إلينا المغيب ويومٌ متمزقٌ عنه الخطوب

لقتيك في صدره شاحباً ومن حلية العربي الشحوب
إليه تمجُّ النفوس الصدور وفيه تنهى العيون القلوب

انظر الى قلب الشاعر يرقص فرحاً من خلال هذه الكلمات . ولقد مدح الشريف ايضاً شرف الدولة الذي انقذ والده :

وانت (١) طوقته بالمن جامعة قامت عليه مقام الحلي الخلل

وفي هذه السنة نفسها ادخل الفرع ثانية على قلب الشريف ايضاً عند ما توفي المطهر بن عبدالله وزير عضد الدولة ، ولقد شتم الشريف بموت هذا الوزير وهجاه بقعيدة دالية بعد موته ، والشريف يخرج عن حدود اللياقة وفي هجوه لميت ، غير انه معذور لم يخرج عن كونه انساناً تألم وشقي بسبب هذا الرجل الظالم .

وجبان لويت عنه فأسمى وجل العين من صراع الرقاد

وهكذا تستمر الحياة مع الشريف يفرح يوماً نفسه باسترداد املاك ابيه اليه ، ثم الامتيازات التي كانت له قبل ذلك المصاب الذي وقع له . وفي سنة ٣٨٠ تعود هذه الامتيازات كأمانة الحج ، والنظر في المظالم إلى والد الشريف ، فتهيج نفس الشريف بالشعر ويطلق لنفسه العنان تعبر عن هذه الفرحة .

أنظر إلى الايام كيف تعود وإلى المعالي الغر كيف تريد

وإلى الزمان بنا وعاود عطفه فارتاع ظمان وأورق عود

ويتعرض هنا إلى الأقارب الذين شتموا به فيقول :

حسدوك لما فات سعيك سعيهم صعداً فما نقع الغليل حسود

(١) يقصد شرف الدولة

وما اقبل عام ٣٩٦ حتى أُعيدت الأملاك إلى والده ، وكان الموسوي في هذه الأثناء قد فقد نور عينيه ، فيفرح الشريف بعودة هذه الأملاك لأنها تعين الشيخ على مطالب الحياة ، بعد ان فقد نعمة النظر .

وما ردّ الزمان عليك حنظلاً من الاملاك والمال المضاع

وناحية اخرى تدل على احترام الشريف لوالده ، وتقديره له ، فنقد كان الموسوي دائم السعي لفض الخلافات الناشئة بين السنة والشيعة ، وكان رجلاً صالحاً كريماً ، فهو من اهل الصلاح والأصلاح ، ولقد قدر الشريف لوالده هذه المزايا الطيبة فمدحه معدداً ماثره في هذا السبيل .

ولولاك عُلى بالجماجم سورها وُخندِقَ فيها بالدماء الذواب

وفي سنة ٤٠٠ مات ابو احمد الموسوي ذلك الشيخ الصالح . وكان موته كارثة حلت بولده الشريف ، فرثاه بقصيدة طويلة معدداً مناقبه ، ذاكر أحزنه لفراقه وتمثل هذه القصيدة صدق العاطفة نحو الراحل الكريم .

أنعاك للخيل المغيرة شرباً خبط المغار بهن من لم يجرم

كالسرب أو جس نبأة من قانص فمضى يلف مؤخراً بمقدم

الخ ما في هذه القصيدة من التوجع على فقد والده .

اذن عليه منذ الان فصاعداً ان يشق طريقه بنفسه ، عليه ان يعتمد قواه في مكافحة الخطوب ، التي امت به منذ صغره والتي جعلت شعره يشيب وهو في العشرين من عمره .

ونعود إلى الشريف الفتى لنحدد العوامل التي تكاثفت لتجعل من الشريف رجلاً يسعى ليكون صاحب الكلمة الاولى في الديار الإسلامية بأمرها . نظرة إلى الشريف في مستهل شبابه لتبين هل كان من الممكن ان يفكر الشريف في مثل هذا؟ ثم ما هي الخصائص التي توفرت في الشريف

الرضي، وما هي خصائص شعره؟ ثم ما هي الفنون التي اعتمدها الشريف؟
نحن ندرك ان الشريف امضى طفولته في بيت عز وجاه، في بيت علم
وادب ومعرفة وتقوى، في بيت زعامة زمنية ودينية، وليس هذا الوصف
بكثير على نقيب الطالبين وهم يشكلون في ذلك الوقت كثرة لا يستهان
بها، وإلا لما اصبح امير الحج منهم، وسأحاول في هذه الدراسة القصيرة ان
اوضح ما امكن العوامل التي خلقت الشريف الطامح الشاعر الفنان، وسأحاول
ان اتناول كلاماً من هذه الشخصيات علي اوفق إلى اعطاء صورة صحيحة
لحياة ذلك الشاعر الذي احتمل مكانة مرموقة في عالم الأدب والسياسة.
في عصر الشريف الرضي وفي العصر الذي سبقه عرف الأدب العربي
نهضة عظيمة في جميع الفنون والاداب والفلسفة وغيرها من امور المعرفة.
وفي ذلك العصر برز اشهر علماء اللغة والشعر. ففيه عرف النقد الأدبي،
والجدل العلمي، والنثر الفني، والشعر الحر، والتفكير الانساني. واذ قلنا
ايضا انه كان للشريف الرضي إلى جانب والده شقيق من أئمة العلم واللغة.
واذا اعتبرنا ايضاً انه كان للتعليم في ذلك الوقت مكانة سامية، لعرفنا لماذا
اقبل الشريف الرضي على العلوم والأدب يفتخر منها اغترافاً، ثم يجادل
ويناقش ويؤلف، ومن تأليفه، كتاب مجازات الآثار النبوية، وكتاب
تلخيص البيان عن مجازات القرآن، وكتاب حقائق التأويل في متشابهه
التنزيل، وكتاب اخبار قضاة بغداد، وكتاب الحصاص، ومنهم من
يعتقد ان نهج البلاغة من وضع الشريف الرضي، ولنا عودة إلى الحديث
عن نهج البلاغة. وهذا الحديث رهن بتوضيح حالة العصر، ومشاكله المذهبية.
ان تأليف الشريف تدل دلالة واضحة على سعة اطلاعه، وتبصره بالفنون
الأدبية، والشريف لم تقتصر معرفته على الجوانب الجادة الصارمة من الأدب،
بل زاد من ثقافته في إطلاعه على الشعر الماجن، ومعرفته اساليب اهل الهوى
والحب. وهو الشاب صاحب العاطفة المتفتحة، والوجدان الملتهب، وما دمننا

قد ذكرنا الوجدان فسجد لدى الشريف ذخيرة قيمة من الشعر الوجداني .
لم يقنع الشريف بدراسة الأدب في الكتب ، بل درس الحياة عن
لم يكتف . فعرف اخيار الناس واثرارهم ، وعرف اصحاب المرتبات السامية ،
واهل الامكنة الوضيعة .

اذن لم يكن الشريف كالمعري . ولكنه كان كالمثني في معاشرته
الناس ، ويزيد عنه في ان المثني صرف دهره وفنه من اجل فنون محدودة . او
بمعنى اوضح ، لقد كانت في حياته وشعره الصرامة التي لم تسمح لنسمة واحدة
تطير هذه الصراحة القوية التي امتاز بها شعره . اما الشريف فقد عمل لعظام
الآمال ، كما ذاق مر الحياة ، واعطى نصيباً كبيراً من وقته وفنه لقلبه
في ووجدانه .

وبين هذين العاملين عاش الشريف معظم ايامه محاولاً ان يوفق بينهما .
لها العقل والقلب ، المجد والحب ، لم ينتصر احدهما على الآخر ، فلم يكن
ينسى عقله وهو في طريقه مليئاً نداء قلبه ، ولم يتجاهل امر قلبه وهو في
طريقه لتلبية نداء واجبه وعقله . لذا كان الشريف والحالة هذه من فحول
رجال ، واعظم الشعراء ، وانقى اهل الوجدان .

قلنا سابقاً ان عصر الشريف كان عصر القلم ، القلم الذي كانت له المنزلة
سامية ، القلم الذي احترمه الشريف ومجّده في اكثر من مكان في شعره ،
لمسمع الشريف يمدح الصاحب بن عباد ولم يجد احسن من القلم لتمجيد
صاحبه .

ك القلم الماضي الذي قرنته بجري العوالي كان أجرى وأجودهم .
وفي مكان آخر يمجّد القلم بقوله :

له قلم أن جرى غرْبُهُ أَمِنَّا القنأ وخشينا اليراعا .

ان احترام الشريف للقلم يعتمد على ما كان للقلم من تأثير في علاقات الناس ، ثم اعجاب شديد . وبعد . ألا يحق للأديب الشاعر ان يعجب بالقلم وهو يشاهد ما للقلم من مكانة سامية ؟ ثم هذه المعاني الجميلة التي يسطرها القلم . انه يبعث الحياة . حياة المعاني والكلمات ، حياة الأدب . ولقد كرس الشريف عبقرية اللغوص على كرام المعاني وطريفها ، ثم الالفاظ العذبة السهلة . ومن تمجيد الشريف للقلم تجيده لأدبه واحترامه لقصائده اذ جعلها ذات مرتبة فريدة ، ومن ذلك قوله :

منحتك من منطقي تحفةً رأيتُ بها فرحةً تُستَلَبُ

ارأيت اليه انه يعتبر قصيدته تحفة ، ويمنحها كهدية ثمينة ، ولها ولا شك في نفس الرجل مكانة محترمة .

بينت كيف كان الشريف رجلاً مثقفاً وهذه الثقافة العالية يضاف اليها امر نسبه ومكانته التي جعلته يندفع نحو اهل العلم والادب من اهل زمانه ، فيصادقهم ويخلص لهم الود .

والشريف رجل مخلص اذا صادق ، دائم الغضب والنقمة إذا خاصم . واخلص الشريف للخليفة العباسي الطائع مضرب الأمثال وان حاول البعض ان يشوه هذا الاخلاص والصدق في العاطفة ، معتمدين في ذلك على الحادثة التي وقعت للطائع ، والتي تشبه إلى حد ما ، ما وقع للمتوكل عندما كان البحثري في ديوانه ، وكيف دخل بهاء الدولة عليه ، ومعه جمع من رجاله الاسداء وعندما قبل الارض بين يديه جلس على كرسي ، ثم دخل بعض من رجاله يتظاهرون بتقبيل يديه ، فاجذبوا الخليفة بجماثل سيفه ، ثم القوا به إلى الارض ، وكان الشريف في هذه الاثناء جالساً فلم يدافع عنه ولم ينجده بل تواري عن الانظار . لا اريد ان ابرر موقف الشريف الرضي في هذه الحادثة ولكنني اعتقد ان مساعدة الشريف للخليفة كان يعرفها الشريف من ضروب

الجنون ، فلذا فضل ان يتوارى لانه كان يدرك تمام الادراك
ان كل جهد يبذله مع هؤلاء القساة ان هو إلا ليزيد الامر عسراً ، ولكن
صدق العاطفة يبرز في ما قاله الشريف في الطائع قبل هذه الحادثة ، ثم بعدها .
ولم يكن للشريف ان يأتي على ذكر هذه الحادثة ويعتذر عن تقصيره لانه
كان يدرك كما ذكرنا بأنه لا فائدة من المساعدة والنجدة . واذا عرفنا ان
الشريف كان مرتبطاً مع اناس ، ومسؤولاً عن فئة خاصة منهم ، لتبين لنا ان
فكير الشريف كان بعيداً جداً فان الضرر الذي سيلحق به سوف لا يقتصر عليه
بل سوف يلحق بأهله وعشيرته وجماعته . وفي هذه الحادثة يقول الشريف
بعد ان مضى الزمن عليها .

ومن نجائي يوم الدارحين هوى غيري ولم أخل من حزم ينجيني
مرقت منها مروق النجم منكدرأ وقد تلاقت مصاريع الردي دوني
وكنت أول طلاع ثنيتها ومن ورائي شر غير مأمون
من بعد ما كان رب الملك مبتسماً إلي أدنوه في النحوى ويدنيني
إلى ان يقول :

يهيات أغتر بالسلطان ثانية قد ضل ولاج ابواب السلاطين
اذن ، فهو خائف ، ترى هل استمر هذا الخوف ؟ وهل كره حقاً ابواب
السلاطين ؟ سنتبين ذلك قريباً .

قلت ان الشريف مدح الطائع وسأثبت هنا بعض الامثلة في مدحه له
قبل موته وبعده . يمدح الطائع قبل موته فيقول .

ارجوك للأمر الخطير وإنما يرجي العظم للعظيم المعضل

ثم في قصيدة اخرى

وكم لك من غرامٍ بالمعالي وهم في الاماني وارتياح
ثم ايضا

هذي الخلافة في يديك زمامها وسواك يخبط قعر ليل أليل
وغيرها :

يلقى الخطوب ووجهه طلقٌ ويجوضهن وقلبه جدلٌ

هذه امثلة من قصائد قالها الشريف والطائع يتربع على كرسي الخلافة . واليك
امثلة اخرى من القصائد التي قالها الشريف في الطائع وهو خليفة مخلوع يعيش
في زوايا النسيان والأهمال :

إن كان ذاك الطود خراً فبعد ما استعلى طويلاً
ثم يقول في مكان آخر

فأنتي منك انتصارٌ يميني فتلافيت انتصاراً بمقالي .

وما دمتنا في الحديث عن اخلاق الشريف واخلاصه ، فلا بد ان نذكر
هنا اخلاص الشريف لصديقه الودود المعروف بأبي اسحاق الصايي
الذي كان صديقاً لوالد الشريف . والذي انتقلت صداقته من الاب إلى الابن ،
فاذا به صداقة متينة . ولقد كان الصايي من الادباء المعروفين ، ورئيس كتبة
لدى الخليفة المطيع لله ، وكان قد نكل به عضد الدولة اياما تنكيل عندما مكنته
الفرصة من ذلك ، ويضاف إلى صداقة الشريف للصايي امر ميولهما المشتركة
في الادب والشعر والبيان . وكان الصايي من اكثر الناس تشجيعاً للشريف
فما يتعلق بالخلافة . لذا احبه الشريف واخلص له الود ، ولقد مدح الصايي
الشريف ايضا مدحاً خالصاً يبرهن عن احترام وتقدير :

أبا حسن لي في الرجال فراسة تعودت منها ان تقول فتصدقا

وقد خبرتني عنك أنك ماجد سترقى من العلياء ابعده مرتقى
ولقد قدر الشريف للرجل هذا الاحترام وهذه البشائر الطيبة فوعده
بأن يشركه في هذا المجد الذي ينتظره عندما اجابه على هذه القصيدة .
فان راشني دهري اكن لك بازيا يسرك محصوراً ويرضيك مطلقاً
شاطرك العز الذي أستقيده بصفقة راض أن غنيت وأملقا
ولقد خص الشريف الصابي بعاطفته ووجدانه عندما قال :

كم ذميل اليكم ووجيف (١) وصدود عنالكم وصدوف
وغرام بكم لو ان غراما جر نفعاً للواجد المشغوف
حتى عندما اشتدت العلة بالصابي اثناء مرضه ، وابتلي بالمصائب
والأوجاع كان الشريف دائم التفكير به ، دائم العطف عليه ، وهذه
الابيات القصيرة تبين لنا مدى العاطفة الصحيحة والود الحقيقي :

ولو أن لي يوماً على الدهر إمرة وكانت لي العدوى على الحدان
خلعت على عطفك برد شبيبي جواداً بعمرى واقتبال زماني
وحملت ثقل الشيب عنك مفارقي وإن قل من غربي وغض عناني
حتى انه عندما مات الصابي رثاه الشريف بقصيدة من عيون الشعر الرثائي :
رأيت من حملوا على الاعواد ارأيت كيف خباضياء النادي
جبل هوي لوخر في البحر اغتدى من وقعه متتابع الازباد
ما كنت اعلم قبل دفنك في الثرى ان الثرى يعالو على الاطواد
لا ينفذ الدمع الذي يبكي به ان القلوب له من الأمداد

قد كنت اهوى أن اشاطرك الردى لكن اراد الله غير مرادي
يا لمت اني ما اقتنيتك صاحباً كم قنيتة جلبت أسى لفؤادي

ارأيت الى هذا الرثاء الرائع ، وهذا التفجع الجميل ، وما دام
حديثنا يتعلق بالرثاء عند الشريف فلنرى كيف رثى الشريف والدنا
ذلك الرثاء المهيب ، الذي يمثل صدق العاطفة والرجولة ، هو يريد ان
يبكي لكنه يعلم ان البكاء لا نفع منه ، هو يريد ان يقول ، إلا
ان المقال لا رجاء فيه ، فهو يطوي اذن حزنه بين جوانحه ، ويصبر
وليس كالرجال يعرفون شيم الصبر ، ويطيقون احتماله :

ابكيك لو نفع الغليل بكائي واقول لو ذهب المقال بدائي

واعوذ بالصبر الجميل تعزياً لو كان بالصبر الجميل عزائي

الواقع ان الشريف عاصر ثلاثة من خلفاء بني العباس ، هم المطيع
الله ، والطائع لله ، والقادر بالله ، اما عهد المطيع فأنا لا نستطيع
القول ان الشريف فكر بالخلافة في تلك الاثناء لانه كان
يزال صبياً .

ننتقل إلى عصر المطيع لله ، وفي هذا العصر ايضا لا يمكننا ان
نتصور الشريف يعمل ضد صديقه الطائع ، لأنه كما تقدم كان يحب
له الود والصدقة . والحقيقة ان الشريف الرضى كان يسعى دائماً
إلى عظام الامور . وهو ان أخذ بالجمال ، ولبى نداء قلبه فانه
يكن ينسى مجده ومطالب نفسه ، انه رجل يسعى إلى هدف
الحياة ، وان استظل وقتاً ، او بضع وقت شجرة اتقاء
الصحراء فما ذلك الا ليجمع قواه من جديد نحو صراع اطول
ومجد أعظم . ومن ذلك قوله :

متى أرى البيض وقد أمطرت سميل دم يغلب سيل البطاح
توارثوا الملك ولو انجبوا لورثوه عن طعان الرياح
لم يقل الشريف هذا في زمن الطائع ، ومع اني لا انكر ان
الشريف كان يحاول استغلال جميع الظروف كي يصل الى غرضه .
لا ان عصر الطائع لم يكن ليسمح للشريف بهذا التفكير
يضاف اليها امر حادثة سنه ، ثم يجب أن لا ننسى ان اموره لم تكن
قد سويت تماماً فيما يتعلق بأملك والده . فكيف يمكن لرجل فقير
ان يفكر بأنقلاب سياسي ! وان يطمح إلى مركز هام . وهو يدرك
ما هو فيه من الضيق . ثم يجب ان لا ننسى ايضا ان الديلم
والأتراك كانوا ينصبون من يشاؤون من بني العباس في كرسي الخلافة ،
والشريف لم يكن يريد ان يكون خليفة فالعوبة بين يدي الديلم والترك ،
انه ينبغي انتزاع الخلافة انتزاعاً . وحتى حين خلع الطائع كان
الشريف يحترمه ويقدره . اذن ، لم يبق الا عهد القادر بالله وهو العهد
الذي فكر فيه الشريف تفكيراً جدياً بالخلافة ، وهو وان استقبل
الخليفة الجديد بالترحاب .

محمد أمير المؤمنين ، أعدته غفلاً كنور المؤرق المياس
بعت في قلب الخلافة فرحة دخلت على الخلفاء في الأرماس
إلانه يعود ويخاطبه بالقصيدة التي مطلعها : لمن الحدوج تزهن الأيتق .
لي ان يصل ليقول :

إلا الخلافة ميزتك فاني أنا عاطل عنها وانت مطوق .
وقال القادر عندئذ : على رغم أنف الشريف .

يمكننا بعد هذا التوضيح ان ندرك ان الشريف كان يفكر بأمر الخلافة في عهد القادر بالله . ففي ذلك الوقت انصرف الشريف الى امر نفسه يتدبرها مع الملوك ، والوزراء ، والامراء . وهو يدرك تمام الادراك ان هؤلاء الكلمة التي تسمع والرأي الذي يرجح . وبما ان الشريف كان رجلاً سياسياً او بمعنى اوضح كان يريد ان يكون له رأياً في المعضلات السياسية الدائرة في ذلك الوقت ، فلذلك كان على صلة دائمة بالملوك والامراء والقواد ، يدح هذا ويحل ذلك . وهناك ناحية لا بد ان أجل الشريف من اجلها فيما أجل ، وهي موضوع حبه لوطنه وحده عليه ، واجلاله لمن ينفعه ، كما انه كان من جهة اخرى كما ذكرت يهوى المجد ، ويفكر بغده . فلذا فكر ان يتزوج زواجاً سياسياً كما يتزوج اليوم الملوك والرؤساء من بعضهم البعض ، بغية توطيد او اصر الصداقة والعلاقات ، ولقد اسف الرضي كل الاسف عندما فشل هذا الزواج .

أمانى نفس ما تُناخ ركبها وغيمية حظ لا يُرجسى إياها
وهو يعني بذلك عدم عقد هذه المصاهرة او الصفة . أما ماذا استفاد الشريف من صحبته للأمراء والملوك والوزراء ؟ لقد استطاع ان يحافظ على منصب والده في ان يكون امير الحج ، والصلة بين اهل الشام والعراق والحجاز وفارس ، لان الشريف ورث فيما ورث عن والده صداقة القبائل المرابطة في الصحاري والقفار طوال طريق الحج .

واكثر الملوك الذين كان الشريف على صلة بهم هو بهاء الدواد الذي مدحه بكرام القضاة ، والتي لم تكن للتلذف والكسب ، بل كانت سجلاً للخلاق ، وتصويراً للوجولة . لم نقل ان الشريف كان رجلاً ، والرجل يجب فضائل الرجولة ، ويلهج بها ، ويقدر من يتحلى بفضائلها .

يا قوام الدين والفا
أنت راعيه وهاديه
رج الدين مضيعه
إذا ضل طريقه

ويقول في مكان آخر

لازعزعتك الخطوب يا جبيل
قد يوعك الليث لا لذنته
وبالعدا بل لا بك العليل
على الليالي ويسلم الوعل

وبقي حُصائل بهاء الدولة مكانتها في نفس الشريف حتى بعد موته حيث رثاه الشريف قائلاً :

رزيئة لم تدع شمساً ولا قرأ
ولا غماماً ولا نجماً ولا فلماً
الى ان يقول :

لا تبصر الدهر بعد اليوم مبتسماً
ان الليالي أنست بعده الضحكا.

قلت ان الشريف كان امير الحج ، ولأمانة الحج في حياة الشريف وقنه وشعره اثرأ . بل آثاراً خلدت تلك العبقريه ، وذلك الذوق الفني الخالص ، وكان الشريف ، قد صرف الخواطر التي تتعلق بالخلافة من خاطره بعد ان ادرك انه لا يمكنه بلوغها وانه وان بلغها فسوف لا يسعد على كرسي الخلافة في خضم هذا المعترك السياسي الدنس ، اذن لينصرف الى ما هو اجدى وانفع .

وهكذا انطلق الشريف الى شأن حياته ، وكان كما نعلم قد فتح مكتبة او مدرسة سماها « دار العلم » وفدت عليها الطلاب للدرس والاطلاع ، فكان الشريف والحالة هذه كما تقدم ايضا مصلحاً اجتماعياً ، وداعية من دعاة انتشار الادب وازدهار المعرفة .

ولمواسم الحج ايادي بيضاء على الشعر العربي ، ففي هذه المواسم غرد الشريف اجمل الأغاني ، ولحن اعذب الاغان . اذ ان لشهوده موسم

الاعياد والحاجات الحسان من شاميات، ومغربيات، وعراقيات، وحجازيات،
يؤدين فريضة الحج ، وهن يرفلن بأثواب الغوى والشباب ، ثم
يظفن حول الكعبة ، او في ذهابهن إلى رشق الحجاراة بأنامل
رخصة ، تلك الأنامل التي داعبت أوتار قلبه الحساسة ، وبعثت النشوة في
نفسه ، واطلقت شياطين الشعر في اودية العبقرية ، فتروم «بالحجازيات»
التي أضحت مضرب الامثال فيقولون : لا تعقل نفس المتأدب إلا إن
حفظ هاشميات الكميت : وخريات أبي نواس ، وزهديات أبي العتاهية ،
وتشبيهاث ابن المعتز ، ومدائح البحثري ، وحجازيات الشريف الرضي «
اذن فحجازيات الشريف الرضي تمثل لونا زاهياً من الوان الأدب
العربي ، وهي في الوقت نفسه تعيد إلى الاذهان ، تلك الاناشيد
التي اطلقها قبله شاعر هنالك في فيافي الحجاز ، وبطاح مكة ، يستقبل
القادمات من مختلف الاقطار الاسلامية فرحاً جذاً ، ثم يودعهن
بعد امد وهو على امل بلقاء ثان ، قد يتم وقد لا يتم ، يذكرنا
بعمر ابن ابي ربيعة ، بصاحب الاغاريد العذبة . ولقد احيا الشريف
عهد عمر بل زاد عليه الواناً لم تكن معروفة ، ولم يكن
عمر قد توصل اليها ، فحجازيات الشريف وغرامياته تقطر لوعة ،
وتذوب صبابة ، يتروم المتيسوت بها ، ويعتقد كل منهم ان ،
الشريف يصور عواطفه ، ويتحدث بلسانه ، ويشعر بقلبه ، واذا اعتبرنا ان
الشريف كان نقيب الطالبين ، وكان امير الحاج ، وكان الطامح إلى
مقام الخلافة ، لتبين لنا جرأة الشريف . في عصر اوشك ان يشمله
الجمود ، وان يسيطر عليه التزمت . وفي نظري ان هذا الواقع
الاجتماعي والديني في حياة الشريف هو الذي حرض ودفع به الى ان
يفرد اناشيد الهوى والصبابة ، والعفاف والجمال ، اذ لو كان الشريف
كالنواصي مثلاً ، مطلق الحرية والتصرف لما ترك بعده هذا التراث

الأدبي الشعري العفيف الرائع ، او لكان كأحد اولئك الشعراء
الذين كانت تزخر بهم ارض العراق ، امثال السلامي الذي فتن اهل
العراق بطرافة شعره وحنوه .

وفيهن مَكْرَى اللحظ مَكْرَى من الصبا

تعاب حلوا اللفظ حلوا الشئائل

ثم ابن نباته السعدي ، ثم السري للرفاء ، ثم اعقب ذلك شاعران
ماجزان هما ابن حجاج وابن سكرة ، اللذان وافقت اشعارهما اذواق
اهل زمانها ، ولنسَمِع الى هذين البيتين من الشعر لأبن سكره اللذين
اسكرا اهل بغداد وقتنا الراي العام :

ويوم لا يقاس إليه يوم يلوح ضياؤه من غير نار

أقما فيه لذات سُوقاً نبيع العقل فيها بالعُقار.

هذا إلى جانب اشعار النواصي وبشار وغيرهما من اهل المجون .
ثم يجب ان لا ننسى ايضا ان عصر المتنبي الادبي كان لا يزال
مزدهراً والاعجاب به في ازدياد . رغم انه مات منذ امد طويل .
والشريف الرضي لم يكن يحب المتنبي بل كان يحقد عليه
ويعتقد انه هو احق بهذه الشهرة منه ، لما في شعره من جمال وروعة
لها روعة شعر المتنبي وقوته ، إن لم تكن تبزه ، ثم يجب ان لا
ننسى ايضا أن من الاسباب التي جعلت الناس يلهجون بذكر المتنبي
ويتغنون بشعره هو سبب مذهبي بحت . فلقد كان المتنبي سنياً
وكان الشريف طالبياً علوياً ، وحتى ذلك الوقت لم يكن عامة الناس
وهم الذين سمعوا وعرفوا الحوادث الجسيمة التي تعاقبت على الاسلام
من جراء هذا التطاحن الديني ، والعداء المذهبي . لم يكن لهم ان يتنازلوا عن

عصيتهم ، فلذا بقيت مكاة المتنبى متينة ، وهذا ما ستحدث عنه ايضاً في حديثنا عن نهج البلاغة .

نريد من هذا ان نبهن ان العصر الذي عاش فيه الشريف كان عصرأ اديباً زاهياً ، اما القيم الاجتماعية فقد كانت هزيلة . فلذا قدر الشعراء الذين انسجم انتاجهم مع ما في النفوس من ضعف وانحلال . فما رأيك في شاعر حفظ شعره وقدر في عصره يدعى الانطاكى من قوله ؟ :

أستغفرُ الله من عقل نطقتُ به

ما لي وللعقل ؟ ليس العقل من شأني !

هل من الممكن ان ينحدر الشريف إلى هذه المرتبة ، ويكون من هذه الطبقة الماجنة من الشعراء ؟ كلا لن يكون ذلك . بل سيكون الشاعر الذي يقول :

تضاجعني الحسناء والسيف دونها

ضجيعان لي والسيف ادناها مني

وفي مكان آخر :

لولا هواك لما ذلت وإنما عزي يعيرني بذل فؤادي

هل ننتظر من هذا الرجل الشريف ان يكون ماجناً ؟ ان بذل فؤاده في سبيل مجده وعزه ؟

الواقع ان الصراع بين القلب والعقل قد بلغ اشده في نفس الشريف ، انه يرغب ، ويجب ، ويريد ، ويعشق . ولكنه مع كل هذا في اضطراب لكي يعف ويتمسك باهداب العقل والفضيلة ، وهناك ميزة خاصة في شعر الشريف وغرامياته ، وحجازياته .

لم يكن الشريف كما بينا من اولئك الشعراء المـاجنين ، كان يعيش في بغداد . اما فيما يتعلق بموضوع قلبه ، وشعره ، كان شعر سكان البادية ، انه شعر العفاف والتقوى ، الا يمكننا ان نترفع بالوجد والصبابة عن المجون والعبث التي بشرت بها مدرسة النواصي ؟ اجل ، يمكننا ذلك . ولقد جسد الشريف هذه الحقيقة النبيلة .

قلت ان شعر الشريف شعر بداوة . وازيد على ذلك ان من اهم ميزات شعر البداوة ، ابتعاده عن الاسفاف والتبذل ، وهذا ما نلمسه في شعر الشريف . ولكن الشريف البغدادي كان ينسى بدويته في بعض الاحيان ، ويندمج في هذا الجو الحافل الذي يعيش فيه . إنه نداء القلب ، ونداء العاطفية ، وهل يجرم الشريف اذا طلق تعففه وعقله وقتاً قصيراً ؟ واذا نظر إلى الحياة بمنظار الرجل الشاعر ، الفنان . ونحن نرى اليوم الملوك يتنازلون عن عروشهم ، والقواد يهلون امور جيشهم من اجل ثغر صغير ، وعيون نجلاء وجيد اتلع .

ولم تر كالعيون ظبا سيوف ارقن دماً وما رمن الجفونا
ثم

وليلة وصل بات منجز وعده حبيبي فيها بعد طول مطال
شفيت بها قلباً اطيل غليله زماناً فكانت ليلة بليلي
فيا زائراً لو أستطيع فديته بأهلي على عز القبيل ومالي

انا اعذر الشريف وهو يذكر لياليه . فهل انت تعذره ؟
قلت ان شعر الشريف مثل العفاف والذبل وسأرحل بك الى
بطاح مكة حيث نلتقي هناك بأمر الحج يجد مواسم العيون ،

ويتمنى عودة هذه المواسم ، انه رجل قبل ان يكون شاعراً ، وانه شاعر قبل ان يكون امير حج ، ونقيب اشراف . انه يعشق الحسن ، ويهوى الجمال ، ويمجد الملاحه ، واي انساب حماس لا يهوى الجمال ويسبح له ، فكيف اذن بالشريف ؟

سوف لا يفلت الشريف ابداً ، مع كل هذا ، من رباط عقله ، فهو وان كان يهوى العناق ، ويدرك لذته لا بد له من ان ينبه نفسه إلى انها تآدت ، في خيالها وفي تمنياتها ، انه يشقى في هذا النعيم ، يرى الجمال امامه ، والنعيم بين يديه ، ولكنه لا يقدم . ترى ايكون الشريف الرضي اكثر تعففاً من آدم في هذا السبيل ، ان آدم نفسه لم يقدر ان يصمد امام الاغراء ، فهبط الى الارض من الجنة ، اما الشريف ترى هل يهبط من مكانته في عالم النبيل والعفاف الى مصاف المجان والعابثين .

قلت ما معناه ان مطالب الشريف ، ومكانته الاجتماعية والادبية لم تسمح له بالتبذل والاسراف في الغزل الماجن ، والقول العابث ، وهنالك عامل قوي جعل الشريف يترفع بأدبه وشعره عن ما وصل اليه النواصي وغيره من شعراء الغزل والمجون في العراق ، وفي غيرها من العالم الاسلامي ، ما هو هذا العامل ؟ نعود مرة اخرى الى موضوع البيئة ، فالبيئة تكيف الشخص في اكثر الاحيان فاذا كانت بيئة وضيعة دفعت بصاحبها الى الفجور ، والاسفاف ، والابتذال . واذا كانت بيئة مثقفة ، كريمة ، نبيلة ، جادة ، فلا بد لها ان ترفع صاحبها الى الجودة والعفة والانتقاء ، وتقمهم الجمال النبيل الهاديء ، وهذا ما حصل فعلاً لصاحبنا الشريف .

لم يعرف الشريف الحانات الرخيصة ، والمواخير في بغداد ولكنه كان دائم الصلات بالعائلات الكريمة الراقية ، فلذا ارتفع بشعره

عن بيئة الجانات ، والمجالس الماجنة ، وكانت علاقاته مع هذه العائلات الراقية علاقات كريمة طيبة ، وانا لا انكر ان الشريف وجد الحسن الحلال ، والجمال الشامخ ، في مثل تلك البيوتات ، والعراق معروف عن نسائه : القدود الهيفاء ، والعيون السوداء ، التي تهز مشاعر النفوس ، وتحرك لواعج القلوب . ولا شك ان الشريف قد هزته النشوة وهو ينتقل من دار الى دار ، كما تنتقل النحلة من زهرة الى زهرة ، ولكن حاله لم تكن كحال النحلة ، فانتقاله من رؤية حسناء ، الى الاجتماع باخرى ، كانت علاقة بريئة عفيفة ، وفي نظري ان مثل هذه العلاقات الادبية تصقل انتاج الشاعر ، وتشجذ عبقريته لارضاء هذا العالم المثقف الذي هو احد ركائزه ، وفي نظري ايضا ان هذا الكرم وهذه العلاقات البريئة تترك النفس وقد ترفعت عن حقير المطالب ، وصغار الرغائب .

والشريف سيبقى دائماً في غرامياته بصورة عامة ، هذا الرجل الكريم ، الذي يمثل بيئته النبيلة خير تمثيل . انه لم يسف ، وان يسف ، حسب ان تصبح اناسيده حديث المجتمعات المحترمة الراقية على ان تضع اشعاره بين كؤوس السكرى وعربدتهم .

وما ينطبق على غراميات الشريف بصورة عامة ينطبق ايضاً على حجازياته بصفة خاصة ، فمواسم الحج لم يكن فيها اي مكان للفاجرات المتبدلات ، ولكنها كانت وفقاً على الحرائر ، والنساء الكريمات ، اللواتي تسمح لهن حالتهن المادية والاجتماعية بتأدية فريضة الحج .

وفي نظري واعتقادي ان نظرة العذراء الحجولة الحمية لها في النفس الف معني ، ولها في القلب اكثر من رجفة ، وانها افضل بكثير من نظرات النساء الحليعات المتبدلات ، اللواتي عرفن الحب وصالاً حيوانياً ، ومتمعة مستعجلة ، ولقد ادرك الشريف كل هذا وعرف ان ليس مقام الجمال بين الوحول والاقذار

ولكنه كزهرات الاقحوان في اعالي الجبال تعيش بين التلوج الناصعة .
ولنسمع الشريف يتعنى بهذه الزنبقة الطاهرة مثلاً من امثال غرامياته
وعفاه . بل في هذه الظبية النجلاء العيون التي يخشى الشاعر ان يدنس حرماًها
ان هو . فكر بأفكار تهدف التدنيس ، واذا هاجه الشوق فحسبه ان يخاصرها ،
ولكنه يتركها ولم يتجاوز هذه المحاصرة العفيفة .

وفي الخباء الذي هام الفؤاد به نجلاء من اعين الغزلان لا البقر

ابرزتها فتخاصرنا مباحدة عن الخيام نعفى الخطو بالازر

ثم انشيت ولم ادنس سوى عقب على جنوبي لريا بردها العطر

ثم لتصور هذا الهائم ، الحب ، هذا البدوي الذي يذكرنا بجميل ،
وقيس وغيرهم من عشاق البادية :

وكم ليلة بتنا على غير ريبة علينا عيون للنهى ومسامع

نفض حديثاً عن ختام مودة معاقلها أحشاؤنا والاضالع

يكاد غريب الليل عنه حديثنا يطير ارتياحاً وهو في الوكر واقع

خلونا فكانت عفة لا تعفف وقد رفعت في الحي عنا الموانع

سلاوا مضجعي عني وعنهما فاننا رضينا بما يخبرن عنا المضاجع .

وحجازيات الشريف . زاخرة بهذه المواقف ، فالشريف في حجازياته ،
دائم التجدد ، وان انت رافقت الشريف في هذه القوائد التي تبلغ الاربعين
لوجدت في كل واحدة معناً جديداً من معاني الغزل الرفيع ، والشعر
العفيف ، والانشيد النبيلة . ان الشريف سطر الحب شريعة ، ولكنها شريعة
جميلة فيها العدل ، وفيها الظلم ، وفيها الحرمان ، وفيها العطاء ، انها شريعة الحياة .

ولا يمكنني هنا أيضاً إلا ان أسير الى العوامل التي احاطت بالحجزيات ،
 فاذا قلنا ان الحجزيات اطلقها الشريف في ديار الحجاز ، ديار النبوة . وفي
 موسم الحج ، وهو الموسم الذي تسعى فيه جماعات المؤمنين الى مكة خاشعة
 خاضعة ، تاركة وراءها زخرف الدنيا ، ومطالب النفوس ، وملمية نداء
 قلوبها في طريقها الى الامكنة الشريفة المكرمة ، انما تسعى الى الله ، ففي
 هذا الجو الروحاني الطاهر ، نرى الشريف الرضي امير الحج والذي كان
 مثالا للحجاج في الورع والتقوى ، وحفظ هذه المرحلة الوجدانية
 الرائعة من ان يشوبها شوائب من المجون او التشبيب ، او اللهو
 والعبث . فاذا به يقطع هذه الايام الوجدانية في التسييح والتكبير
 والتهليل ، مسبحاً شاكراً حامداً لله روعة خلقه ، وجمال ابداعه في هذه
 الحسان الحاجات الساعيات بمجدا روعة هذا الجمال الذي يسعى
 بين مناسك الحج حيث يرفلن باثواب الغوى ويسجن في امواج من العطرا
 ان جرة الشريف في هذه المواقف العظيمة ، وانني اعتبر الشريف ثائراً في
 هذه الميادين . لقد ثار على العرف والتقاليد . فالشريف الذي
 ادخل على موسم الحج ، هذا اللون الطريف ، كان مغامراً وكان
 شجاعاً في ان يعني هوى قلبه ، في مثل تلك الامكنة المكرمة . ان
 فؤاد الشريف لن يكون اسير التقاليد ، وان لسان الشريف سيردد هذه
 المشاعر ، وليكن ما يكون . سيتهم نفسه بالعبودية ، فهو عبد من عباد العيون
 والنحور والحدود والقُدود ، وليس هو باكثر من شاعر يشعر فينطلق شعره
 عنياً طريفاً جريئاً . مع هذا لا بد ان نذكر ايضا ان الشريف في كل هذا
 كان ادبياً ، وكان مثالا للأدب والذوق فلم يسف ولم يتبدل ، ولم يعبث ، لقد
 كان عليه ان لا يسمح لمشاعره ، وفؤاده ان تشوه هذه المواسم
 الكريمة ، بسفيه الكلام . ومتى كان الشريف سفيهاً مبتدلاً . ؟ لا

لم يكن ، ولن يكون ابداً . انه فنان يصور لوحات خالدة ، فيها عظمة
الفن ، وروعة الذوق ، اوليست أمكنة اللوحات الفنية في صدر المجتمعات ، ومقادير
العظماء . ألا نشاهد عند دخولنا الكنائس والمتاحف لوحات تنطق بالطهر والروعة
في كل لحظة من ملاحظتها ؟ وانا اعتبر ان اللوحات الرائعة لها تأثير سحري
ألا تنتقل وانت تنظر الى لوحة جميلة ، ألا تنتقل الى عالم مليء بالمشاعر
والاحاسيس ؟ هكذا كانت اشعار الشريف وقصائده ، انها لوحات فنية
ترسخ في قلوب الناس ، وتنقلهم الى عالم من المشاعر والاحاسيس كما تنقلنا اللوحات
الرائعة المعلقة في جدران المعابد والمعارض ، إلى اجواء من التأمل
والالهام . هكذا فهبت الشريف ، وارجو ان اكون قد احسنت
فهمه . ليس من شك ان هنالك من ينكر على الشريف هذا . فلكل رأيه ،
ولكنني لم اجد في قصائده ابتداء ، ولا فجورا ، بل وجدت نبلا
وعظافاً . اظنني اطلت في هذا والآن سأنتقل الى الاستشهاد ببعض
هذه الاشعار العذبة الوجدانية ، لتعيش روحاً مع الشريف في الايام
المتعة ، ولنلتمس هذا الشوق الذي قد يعود ، وقد لا يعود . فمن
يضمن له ان يعود ذلك الوجه الجميل ، وتلك العيون النجلاء ، هل تعود
الحسنة التي قصدت مكة لاداء فريضة الحج ، انها اتت من المغرب
او من العراق ، او من مصر ، هل تراها تعود ؟ وهل يجود الزمان ان
عادت هي فيعود هو ايضاً ، قد يجود الزمان وقد لا يجود . اذن فما
عليه الا ان يخذ هذه الايام ، وهذه الهنيئات المختلصة من العمر ، وليتكن
سجلاً لقلبه . وقلوب الشعراء غربية الاطوار . ومع غرابية اطوارها
فليس مثلها تحس الجمال ، وتمجد الحسن ، والدلال ، والغوى .
اذن فالشريف يصرف يومه ويعيش هذا اليوم ، وليس للمستقبل
حساب في عالم قلبه :

فواهاً كيف تجمعنا الليالي وآهاً من تفرقنا وآها

هذه الحشرات على لقاء قد يكون وقد يكون ، جعل الشريف
حاضره ، اما الغد فيتركه الى المستقبل ، ومن يدري ما يجمل
تقبل وما يضر لنا من احداث وحوادث . اذن فلينشد الشريف .
في غزلاً فيه عفة ، وفيه حياء ، اطلقته العاطفة الصافية الدافقة ، انه
سكو ، ولكن ، شكاء السيد لا يذل ولا يلين ولا يستعطف :

ظبية البان توعى في خمائله ليهنك اليوم ان القلب سرعك
ساء عندك مبذول لشاربه وليس يرويك إلا مدمعي الباكي
بنت لنا من رياح الغور رائحة بعد الرقاد عرفناها بريك
ت النعيم قلبي والعذاب له فما أمرك في قلبي وأحلاك
سندي رسائل شوق لست اذكرها لولا الرقيب لقد بلغتها فاك

قامت بك العين لم تتبع سواك هوى

من علم العين ان القلب يهواك

انظروا الى هذا الماكر يقول : من علم العين ان القلب يهواك .
في العذر ان قلت انه ماكر . فليس كجمال مكر الشعراء . انه
اروعة ، وانه الكذب الحلال .
وعودة الى الحجازيات :

تذكرت بين المأزمين إلى منى غزلاً رمى قلبي وراح سلماً
ان كنت استجلي مواقع نبلة فاني ألقى غبهن ألياً
فلو كان قلبي بارئاً ما ألتته ولكن أسقاماً اصبن سقيماً

ليس هذا اول حب ، وليست هذه اول ظييه يراها ، انه
فيه قول القائل : تكسرت النصال على النصال . ولكنها نصال مؤن
والم الشاعر يختلف عن ألم الرجل العادي .
ثم لنحلق مع الشريف في حجازياته ، ولم كنت اود لو يقدر
ان اعيش مع الشريف في كتاب خاص . استطيع فيه ان اتت
حجازياته وأعدد ما في هذه الحجازيات من الاطياب ، ومن العطر
ومن العيون الدافقة روعة وجمالا وفناً ، واني لفاعل ذلك ان
الله في المستقبل . فالحجازيات الشريف في نفسي مكانة سامية
وعودة اخرى إلى الحجازيات :

ايها الرائح المغذ تحمل حاجة المعذب المشتاق

أقر عني السلام أهل المصلى قبلاغ السلام بعض التلاقي

وفي القرى يقولون ، المكاتبه ثلثا المشاهدة .

واذا مررت بالخيف فاشهد أن قلبي اليه بالاشو

واذا ما سئلت عني فقل نضو هوى ما أظنه اليوم بالاق

ضاع قلبي فانشده لي بين جمع ومنى عند بعض تلك الحدا

وابك عني فطالما كنت من قبل أعير الدموع للعشا

لقد اضاع الشريف قلبه ! فأين يا ترى نجده ؟ كلا ، لم يفقده
هو يعرفه اين هو ، وانا اعتقد ان الشريف كان يترك في الحجا
قلبه حقيقة ، ايكون الشريف قد احب احدى الحجازيات ؟ ليس
هذا يستبعد .

وقبل ان اختم حديثي عن حجازيات الشريف لا بد ان اص

هذه القصيدة الطريفة ، التي تبين مدى فتنة الشريف بالحج ، وأنه يرى في الشعائر الدينية ، بعض المعاني التي لا يمكن لغيره يراها ، ألم اقل انه شاعر ، والشاعر اكثر احساساً من غيره هو جبلة احساس .

يا ليالي الحيف هل يرجع الهوى

الليكن لي لاجازكن ندى القطر

دين قلبي من ثلاث علي م في مضين ولم يبقين غير جو الذكر
رامين وهنأ بالحجار وإنما رموا بين أحشاء المحبين بالحجر
ماذا كان الشريف يفكر ، وهو يشاهد معاصم الحسان ترمى ابليس
لحجارة ، انه كان يفكر بقلوب المعجبين والمحبين ، ان هذه الحجارة ليست
بوى جمرات لاهبة تصوب الى قلوب هؤلاء المعجبين ، واظنني ان اكبر
مدونة ستكون نصيب قلبه :

وموالا يبالون الحشا وترو حرا

خليلين والرامي يصيب ولا يدري

وما سرني ان اللقاء مع النفر
سوى ساعة ثم البعاد مدى الدهر

ترعت يدي اليوم من طاعة الصبر

فيعاد دمع العين منقلب السفر

لقد صبر الشريف على مصائب الدهر ، هل تراه يصبر على فراق الجمال
والأحبة ؟ لن يصبر فسوف يبكي هواه ، ومنى قلبه . فاذا كان الحجاج
يودعون الحج بالتكبير والتهليل ، بينما يودع هو هذه الأمكنة بالبكاء

والتحسر ، انه يودع مناسك الحج بالزفرات الملتاعة على ما يفارق
الجمال ، ومن العيون الساحرة ، والنحور القاتنة :

آه من جيد الى الدا ر كثير اللقعات
وغرام غير ماض بقاء غير آت
ثم انظروا هذه الحسرة :

تنادوا بأن التثنائي غداً لك السوء من طالع يا غدا
وإذا عاد الشاعر الى العراق ، ومضت الايام ، وحن موعده الحج
ولم يقدر له ان يشترك فيه ، هيج اشجانه رحيل القوم الى ديار الحج
فوقف يقول في لوعة وحسرة :

اقول لركب رائحين لعلكم تحلون من بعدي العقيق اليبان
خذوا نظرة مني فلاقروا بها الحمى ونجداً وكتبان اللوى والمطالب
الى ان يقول :

تودعنا ما بين شكوى وعبرة وقد أصبح الركب العراقي غاد
فلم أر يوم الغمر اكثر ضاحكاً ولم أر يوم النفر أكثر باكياً
وما دمت في التحدث عن وجدانيات الشريف . فلا بد ان اشير
الى حادثة وقعت له ، وفيها نلمس صدق الوفاء ، وليس هذا بغريب
فالشريف من بيت كريم ، وارومة نبيلة .

أتينا في معرض حديثنا على ذكر الشريف المرتضى شقيق الشريف
الرضي ، ولقد كان الشريف المرتضى صاحب الامالي - والعالم المفضل ،
والسيد المحترم ، بين ابناء قومه . وتشاء الظروف ، ووشاية الوشاة ،

يوصل هؤلاء الوشاة كلاماً سيئاً عن لسان المرتضى في اغتياب الرضي ، ولنا ان نتصور مبلغ الأفكار التي انتابت الشريف ، وهو يسمع هذا الذي سمع ، انه يعرف ان الأيام كثيرة التقلب ، ولقد ابتلي الإصدقاء ، واختبر مقدار حمود الناس للصدقة :

كفى حزناً أني صديق وصادق ومالي من بني الانام صديق هو يعرف غدر الاصحاب والاصدقاء ويتألم لهذا :

تجاذبني يد الايام نفسي ويوشك أن يكون لها الغلاب
وتعذر بي الاقارب والاداني فلا عجب إذا غدر الصحاب
لقد اختبر الشريف الحياة ، وعرف اخلاص الناس ، اما ان يكون
هذا الرجل شقيقه فهذا امر اشد غرابة واكثر ألماً . ولقد نظم الشريف في
هذه الجفوة القصيدة التي مطلعها :

رضيت من الاحباب دون الذي يرضى

ودانيت من تقضى الديون ولا يقضى

الى ان يقول متحرراً ، عاتباً :

فعدراً لاعدائي إذا كان أقربي

يشذب من عودي ويعرق من نحضي (١)

إذا ما رمى عرضي القريب بسهمه

عذرت بعيد القوم إما رمى عرضي

ولكن هذه الجفوة لم تستمر طويلا اذ سرعان ما عادت المياه الى مجاريها
بين الأخوين ، فعاد الرضي يسجل هذا قائلاً :

وأعظم ما لاقيت شجواً ولوعة عتاب ، أخ قل الزمان به حدى

لاحظوا معي هذا الود الذي يدوم بالرغم من كل شي ، ان هذا
البيت في نظري وحده قصيدة رائعة من الأدب الوجداني .

منحتك ما عندي من الصد معلناً وعقد ضميري ان ادوم على الود

اما الامر الوجداني الثاني ، فهو مشكلة شبابه ، وبسكاؤه هذا الشباب
الذي لا يدوم ، والذي يزول بسرعة البرق ، ويخلف بعده اللوعة والحسرة
والخوف من مستقبل ظالم لا يرحم . انه واجف القلب ، وهو يرى الشعيرات
البيضاء تتسلل الى رأسه ، مندوة اقبال الشيخوخة ، وادبار الشباب .
وللشريف في ذلك قصائد وجدانية جيدة .

واهاً على عهد الشباب وطيبه والعصن من ورق الشباب الناظر

سبع وعشرون اهتصرن شيبتي وأن عودي للزمان الكاسر

وإذا قلنا ان الشريف الرضي عرف الشيب وهو في الثالثة والعشرين
من العمر تبين لنا كيف كان شعوره وهو يقول :

راحت تعجب من شيب ألم به وعاذر شيبه التهام والاسف

ولا تزال هموم النفس طارقة رسل البياض الى الفودين تختلف

وفي ذلك يقول :

لو يفندي ذاك السواد فديته بسواد عيني بل سواد ضمائري

وها هو الرجل يتحسر هنا .

يا قاتل الله الغواني لقد سقيني الطرف بعيد الجمام

أعرضن عنى حين ولى الصبا واختلاج الهم بقايا العرام

وله في هذا الحقل قصائد جميلة المعنى رائعة البيان .
كنت قد ذكرت في هذا البحث ان لي عودة الى كتاب نهج البلاغة ،
وها أنذا اعود اليه راجياً ان اكون قد انصفت لهذا التراث
الفكري والأدبي الجليل . قبل ان نعطي رأينا في نهج البلاغة ونميز فيما
اذا كان منجولاً ، او عكس ذلك . لا بد ان نعرفه تعريفاً واضحاً فهو كتاب
يتميز بمباحثه في الله ، وخلق العالم والملائكة والقضاء والقدر وفكرة الوسط
والنواحي الاجتماعية ، ثم افكار مختلفة تتصل بالدنيا ، والتنجيم ، والمرأة
وغيرها من المسائل .

ويمكننا ان نوضح هذه المواضيع التي تناولها نهج البلاغة فنقول
ايضاً : ان صاحب النهج لم يكن فيلسوفاً ، او عالماً ينظر الى الاشياء
بمنظار المدقق ، ولكنه كان صاحب دائرة معارف دينية واخلاقية
وتشريعية وحياتية ، علمته الظروف الصعبة التي رافقت حياته ، وانطقته
البلاغة والايان وحبه للخير والناس ، وساعد على ذلك المثل العليا التي طالما
احبها الامام علي ودافع عنها ، ومات في سبيلها . اذن فنهج البلاغة خبرة
رجل وعندما نقول رجلاً فهذا يعني الرجولة بكامل معانيها السامية ،
عرف الحياة واختبر الناس . ورافق اعظم مصلح ، وخير الانبياء والرسل
سيدنا محمد ﷺ ، وهذا يكفيه مكرمة علاوة عماله من المكرمات والفضائل .
اما فيما يتعلق بنهج البلاغة وصحة انتسابه الى الامام فمنهم من ينكر
ذلك انكاراً تاماً متذرعين ببعض العبارات الواردة في النهج وخاصة في خطبة
- الشقشقية - مثلاً ، لا تصدر عن رجل سبق الناس بالورع والتقوى ، وانما
هي عبارات قد املاها الطبع الشعري ، والتأنيق في الاسلوب عند اديب استولى
على أسلوبه التأنيق الفني قبل ان تأخذه السياسة والاجتماع والامور الدينية .
ثم يتذرع هؤلاء ايضاً بان اكثر الافكار المبثوثة هنا وهناك في النهج لم

تكن معروفة في زمن الامام ، بل ان اكثرها قريب كل القرب من بعض اراء اليونان وغيرها من الفلسفات والنظريات ، بعدما ترجمت هذه الفلسفات الى العربية . ومثل ذلك ما جاء في خلق العالم ، « ثم جمع سبحانه من حزن الارض وسهلها وعذبها وسبجها تربة منها بالماء حتى خلصت ولاطها بالبلبة حتى لزيت ، فجعل منها صورة ذات اضاء ، ووصول واعضاء وفصول : ثم نفخ فيها من روحه فمثلت انساناً ذا اذهان يجليها ، وفكر يتصرف بها . معجوناً بطينة الالوان المختلفة والاشباه المؤتلفة والاضداد والاخلاط المتباينة من الحر والبرد والبلبة والجمود »

ويقول اولئك الذين يعتقدون ان نهج البلاغة ليس من تأليف الامام : ان هذه الاراء تذكرنا بالمذاهب الطبيعية اليونانية كمذهب طاليس وغيره القائل : بان الماء هو اصل الوجود . وانكمتمدريس القائل (باللامتناهي) وهو عبارة عن مجموعة من الاضداد والاخلاط المتباينة من حر وبرد ورطوبة ويبوسة الخ . . ومن ذلك يقول هؤلاء : ان المسلمين لا يقبلون بمن يتحدث عن صفات الله او ذاته او من يجرب ان يتفلسف على ذات الله ، فكيف اذا كان هذا الرجل هو الامام علي رضي الله عنه . الى غير ذلك من الاراء التي يعتقد هؤلاء انها لم تكن متداولة في زمن الامام .

اما الفريق الثاني فيقول : ان نهج البلاغة من تأليف الالهام ومن وضعه ، معتمدين بذلك على امانة الشريف الرضي ، وما اتفق بما جاء في نهج البلاغة من الاحداث التي رافقت حياة الامام ، الى غير ذلك من الاسباب التي يراها هؤلاء انها وجيهة كي يكون نهج البلاغة للامام . ولم يكن للشريف سوى شرف جمعه فقط .

ويأتي فريق آخر ، وهذا الفريق وسط بين الفريقين الاولين ، وانا ارى رأي هذا الفريق فأقول : ان الحياة الادبية كانت مربوطة - انصح هذا التعبير - بالحياة السياسية الى حد كبير ، ومثل ذلك ان كل فئة ، وكل جماعة كان

لها شاعر او اكثر من شاعر يعدد مآثرها ، ويمجد اعمالها . واذا ذكرنا ان النزاع بين الامويين والعلويين قد بلغ حداً كبيراً ، واضحي مضرب الامثال وورثه الاجيال لمئات السنين ، تبين لنا انه لم يكن من بد لكل من الفريقين ان يعتمد جميع الوسائل لمحاربة الفريق الآخر . قلت جميع الوسائل ويدخل ضمن هذا طبعاً الوسائل الادبية . ولقد بينت ما للأدب من تأثير على الجماهير ، وعلى المثقفين ايضاً .

فكما امر الامويون بشتم الامام من على المنابر ، كذلك فعل العلويون بيزيد ، وكل من هؤلاء له شأنه في امور الدعاية لمذهبه وارأيه ، ونحن في عصرنا هذا نرى الدعاية والتشويق من الامور التي تساعد على نجاح القضية التي نسعى لنجاحها ، ألم تساعد ابواق الصهيونية العالمية مثلاً على ايجاد دولة اسرائيل ، بينما اكتفت ابواق الفئة الاخرى تهاجم بعضها البعض وتدخل في جدل سياسي داخلي مما اضاع الفرصة امامها لكسب المعركة حتى الآن . ألم يكن قميص عثمان من العوامل التي اثارت الناس ضد الامام علي والتي عرف معاوية كيف يستغلها .

اذن فالشريف الرضي كان يقصد من وراء نهج البلاغة قصداً سياسياً ضرفاً ، وكأني به يقول ، وقد انتهى من وضع النهج : هذه ثروة الامام الفكرية ، والادبية ، والدينية والاجتماعية ، فكيف تنسوها ! جددوا مجد الطالبيين واسعوا لاعادة سلطانهم . ويؤيد هذا مطمح الشريف الى مقام الخلافة .

وفي نظري ، ان نهج البلاغة في اصله من وضع الامام علي ، وهو مجموعة الخطب التي قالها في مناسبات عديدة ، ونحن نعرف ان الامام كان خطيباً مفوهاً ، ومحدثاً فصيحاً . فإين هي آثاره ؟ بما لا شك فيه ان النهج حوى الكثير من هذه الآثار ، ولكنه لم يكن كله من آثار الامام .

قد تعرض نهج البلاغة كما تعرض الكثير من الكتب الدينية والسياسية ، لبعض من التلميح والزيادة مما ينسجم مع حالة العصر ، واجلوسيا مي الذي

يعيش الناس فيه ، ولقد مر نهج البلاغة بين كثير من الايدي ، ويجدر بنا ان لا ننسى ان كتاب نهج البلاغة لم يكن قبل ان يجمعه الشريف . او بالاصح ان ما ضم هذا الكتاب بين دفتيه هو عبارة عن خطب واقوال واحاديث فاه بها الامام في مناسبات شتى وظروف متعددة تتناقلها الالسن ووعتها اقندة مريديه حتى قيض لها ان تصل الى يد الشريف . ولا شك ان هؤلاء الذين مر النهج بين ايديهم ، زادوا عليه ما ينسجم مع مطالبهم السياسية على لسان الامام كي يكسبوا اكثر عدد ممكن من المتشيعين الذين اختلفت ارائهم ، وتباينت اهدافهم في عصر تعددت فيه الاراء وتباينت فيه النوايا . لذلك فنهج البلاغة لم يكن كله من وضع الامام ، ولكن فيه روح الامام وفصاحته وبلاغته . ولقد زيد عليه من الشريف او من سبق الشريف ما يتفق والمبدأ السياسي المرتبط الى حد بعيد بالمذاهب الادبية والاجتماعية والدينية .

ومع كل هذا فنهج البلاغة ذخيرة ادبية ، وفكرية ، وللشريف الفضل كل الفضل في اخراج هذه الذخيرة وفي اذاعتها . فهي وثيقة سياسية وادبية كان لها فضل كبير في فتح ابواب الجدل والنقد المقيسد ، وفي تهذيب النفوس وارشادها ،

والان وقد اتيت على نهاية هذه الدراسة عن حياة وشعر الشريف الرضي لا بد ان القي نظرة عامة على فن الشريف . بل على فنونه الشعرية والنثرية . لقد كان الشريف الرضي شاعراً فذاً . كان ساعر القلب ، والذكاء والعقل ، يصور الاهواء والشهوات والامال وآم ، شاعر العفة والنبيل والطهارة . وان في شعره من المعاني الانسانية والصور والحكم والامثال ، ما يجعله في مصاف كبار الشعراء ، وكان شاعراً وجدانياً تحف الادب العربي بقصائد جيدة لا تنسى .

وقبل ان نتناول بصورة مفصلة ذلك لا بد من ان نشير الى ان

الشريف ، قد عاد الى شعره الذي قاله في مستهل حياته الشعرية ، فنقحه
وهذبه ، فلذا نشاهد هذه الميزة في العناية بأختيار الالفاظ ، وبراعة استعمالها ،
ثم هذه المعاني التي كثيراً ما يلمح بها تلميحاً غامضاً مثيراً ، او صريحاً عاصفاً
رائعاً ، على غير تكلف ، كما انه لا يقع في الاسهاب الممل .
وشعر الشريف صورة طبق الاصل عن نفسه ، انها صورة
لأنفعالاته الذاتية .

فهو يفتخر بجدوده ، وبوالده وبنفسه ، انه فخر قريب الى النفس ،
غزير المادة ، لانه صادر عن نفس حساسة تتيه عجباً ، وكبرياء ، وشموخا . فهو
يفتخر لانه احس هذا الواقع ، فأذا بلسانه يسجل ، هذه العواطف الذاتية .
وكذلك عندما يعاتب ، او يشكو . ان نفسه تزخر بشتي عوامل
الأسى ، والغفران ، والمحبة . وعندما يثور ، انها ثورة رجل قوي ، لا يعرف
الضعف ، ولا يشكو الخوف .

وهكذا عندما يمدح ، يمدح لا حباً في كسب ، او عطية ، ولكن عن
اعجاب وتقدير ، وهكذا عندما يهجو ، يهجو عن كره وبغضاء . لم يتكلف
يوماً في شعره . وهذه من الخصائص النادرة عن الشعراء .

وعندما يتغزل الشريف ، فان غزله صادق ، انه يحب ويعرم ويعشق
ويشواق ويتمنى ، فهو ككل محب او يزيد عنه في فيض العاطفة ، وجنون
الهوى . ولكنه مع كل هذا لا ينسى نفسه ، ومر كره . فلذا غلبت على شعره
الغزلي صفة العفاف فقد يلفه الشوق مع فتاة حسناء فيضاجعها ، ولكن
ما هو نوع هذه المضاجعة ؟ ان سيفه بينه وبينها . انه سيف العفاف والنبيل .
ان غراميات الشريف وذكرياته في الحجاز ، ليست سوى ذكريات
للأيام التي امضاها الشريف في تلك الديار انها لواعج قلب اضناه الهوى ،
ولوحه الشوق .

وفن الشريف الثوري لا غبار عليه ، فهو متين واضح حسن السبك ، سهل

الفهم واسلوبه صريح لا يعرف الغموض ، اصف إلى ذلك عبقريته في
اخراج المعاني والصور .

ولقد كان الشريف شاعراً مثقفاً مبصراً بالمذاهب اللغوية والادبية ،
ومن ذلك اعتقاده بخطر البلاغة ، وعلو شأنها ، وقسوة القلم ، ثم تقديره
للبلغة واعجابه الكلي بالبلغاء والفضحاء .

انطلقت هذه الشعلة من الوجدان الثائر . ونجا ضربه هذا المصباح
الوهاج ، وفارق الشريف الحياة وهو في اوج شبابه وعنفوان فيضانه
الادبي والروحي ، فترك فراغاً لا يسد ، لو عمر لاتحفنا بأثار قيمة ،
وغرر ادبية رائعة . وكانت وفاته في سنة ١٠٠٦ هـ . ودفن في داره بخط
مسجد الانباريين بالكرخ ، ويقال ان الدار خربت ودرس القبر ، فنقله
اخوه الشريف المرتضى الى مشهد موسى الكاظم في مقابر الشونيزيه .
ومنهم من يقول انه نُقل الى مشهد سيدنا الحسين بكر بلاء . وقد جزع
عليه السيد المرتضى جزعاً شديداً ، حتى انه لم يتمكن من الصلاة عليه ،
ورثاه هو وغيره من شعراء زمانه ، وفي مختاراتنا سنثبت بعضاً من
قصائده في مختلف الفنون ، كما اننا سنثبت بصورة خاصة بعض القصائد
التي تظهر شعوره الديني .

مختارات شعرية

بجد وطموح

نبيتهم، مثل عوالي الرماح
فوارس، نالوا الأمانى بالقنا
لغارة سامع أنبأها
ليس على مضرٍ منها سبّة،
دونكم فابتدروا غنمها:

الى الوغى قبل نوم الصباح
وصافحوا اغراضهم بالصفايح
يفص منها بالزلال القراح
ولا على الجلب منها جناح (١)

دُمى مباحات، ومال مباح!

*

يا تنفس من هم الى همة،
قد آن للقلب الذي كده
لا بد ان أركبها صعبة
يُجهدا أو ينثني بالردى،
الراح والراحة ذل الفتى

فليس من عب الاذى مستراح
طول مناجاة الأمانى ان مراح
وقاحة، تحت غلام وقاح
دون الذي قدر، او بالنجاح

والعز في شرب ضريب اللقاح (٢)

في حيث لا حكم لغير القنا ولا مطاع غير داعي الكفاح

(١) الجلب منها : المتذمر من وقعها . الجناح : الاثم .

(٢) الضريب : اللبن . اللقاح : جمع لقوح وهي الناقة الحلوب .

ما أَطْيَبَ الأَمْرَ ولو أَنه
وَاشَعْتَ المَفْرَقَ ذِي هِمَّةٍ
لَمَا رَأَى الصَّبْرَ مُضِرًّا بِهِ ،
دَفْعًا بِصَدْرِ السَّيْفِ ، لَمَا رَأَى
مَتَى أَرَى الزُّورَاءَ مُرْتَجَّةً ،
يَصِيحُ فِيهَا المَوْتَ عَنِ السُّنَنِ ،
مَتَى أَرَى الأَرْضَ وَقَدْ زَلَزَلَتْ
مَتَى أَرَى النَّاسَ وَقَدْ صَبَّحُوا
يَلْتَفَتُ الهَارِبَ فِي عَطْفِهِ
مَتَى أَرَى البَيْضَ وَقَدْ أَمْرَتْ
مَتَى أَرَى البَيْضَةَ مُصَدَّوْعَةً
مُضْمَخِ الجَيْدِ نَوَّومِ الضُّحَى
إِذَا رَدَّاحُ الرُّوعِ عَنَّتْ لَهُ ،
عَلَى رذَايَا نَعَمٍ فِي مَرَاحٍ (١)
طَوَّحَهُ الهَمُّ بَعِيدًا ، فَطَاحَ
رَاحَ ، وَمَنْ لَمْ يُطِيقِ الذَّلَّ ، رَاحَ
أَنْ لَا يُرَدَّ الضَّيْمُ دَفْعًا بِرَاحٍ (٢)
تَمَطَّرَ بِالبَيْضِ الطُّبَا وَتَرَاحَ (٣)
مَنْ العَوَالِي وَالمَوَاضِي ، فَصَاحَ
بِعَارِضٍ أَعْبَسَ دَامِي النَّوَّاحِ (٤)
أَوَائِلَ اليَوْمِ بَطْعَنٍ مُصْرَاحِ
مَرُوعًا يَرْقُبُ وَقَعَ الجِرَاحِ
سَيْلَ دَمٍ يَغْلِبُ سَيْلَ البَطَّاحِ (٥)
عَنْ كُلِّ نَشْوَانٍ طَوِيلِ المَرَاحِ (٦)
كَأَنَّهُ العَذْرَاءُ ذَاتُ الوِشَاحِ
فَرَّ إِلَى ضَمِّ الكَعَابِ الرَّدَاحِ (٧)

- (١) الرذايا : جمع رذية ، وهي الناقاة الضعيفة . النعم : الألال . المراح : مأوى المواشي .
(٢) الراح : جمع الراحة ، وهي باطن الكف .
(٣) الزوراء : بغداد ، تراح : تفرجها الريح .
(٤) العارض : المقصود به غبار الحرب .
(٥) البيض : السيوف . البطاح : جمع بطحاء ، وهو مسيل واسع فيه دفاق الحصى .
(٦) البيضة : الخوذة من الحديد تستعمل لوقاية الرأس من الضرب .
(٧) الرداح الأولى : الكتبية الثقيلة الحرارة . الروع : هول الحرب . الرداح الثانية : المرأة الثقيلة الأوراك .

قومٌ رضوا بالعجز واستبدلوا

بالسيف ، يدمى غربه ، كأس راح

توارثوا الملك ، ولو أنجبوا لورثوه عن طمان الرماح

غطى رداء العز عورتهم فافتضحوا بالذل أي افتضح

إنبي ، والشاتم عرضي ، كمن روع آساد الشرى بالنباح

يطلب شأوي ، وهو مستيقن أن عني في يمين الجماح

فأرم بعينيك ملياً ترى وقع غباري في عيون الطلاح (١)

وارق على ظلعك ، هيهات أن يززع الطود بمر الرياح (٢)

لا هم قلبي بركوب العثلى يوماً ، ولا بل يدي بالسماح

إن لم أنلها باشرائط كما شئت على بيض الظبا ، واقتراح

تفكيره باخلافه

قلق العدو وقد حظيت برتبة ،

تعلو على النظراء والامثال

لو كنت اقنع بالنقابة وحدها ،

لغضضت ، حين بلغتها ، آمالي

(١) الطلاح : الأبل وقد ارهقها السير

(٢) ارق على ضامك : اي ارفق بنفسك

لكن لي نفساً تتوق الى التي
ما بعد أعلاها مقام عال
قالوا : حجرت على نَدَاك ، وطالما
أرغمت فيه معاطيس العذال
هيات قل الخامدون ، وصار من
أحبوه يحسدني على أموال
من لي بمن تركوا الصنائع عنده ،
حتى أشاطره كرائم مالي ؟

تدمره من الزمان

حقيق بأن لا يهتك ، الدهر ، ثوبه ،
على العار ، كاس من عجاج الملاحم
وأين من الدهر استماع ظلامي ،
إذا نظرت أيامه في المظالم ؟
فهل نفعي ان ينصر المجد عزمي
على هذه العملياء ، والمال ظلمي ؟

انا الاسد الماضي على كل فعلة
تمشي شفار البيض فوق الجماجم
وفي مثلها ارضيت عن عزمي المنى ،
وصافحت أطراف القنا والصوارم
ولم أدري أن الدهر يخفض اهله ،
اذا سكنت فيهم نفوس الضراغم
وما العيش الا قرحة ، إن هجرتها ،
سوطت على الدنيا بسطوة حازم
سأصبر حتى يعلم الصبر أنني
ملكته به دفع الخطوب الهوامج
وأخذ تأري من زمان تعرفت
مغارمه بيني وبين المغانم
وما نام إغضاء عن الدهر صارمي
ولكنني أبقى على غير راحم
وان أنا اهليكت الزمان ، فما الذي
يصدع عزمي في صدور العظام؟

وفتية صدق من قریش إذا انبدوا
أروك عطاء المال ضربة لازم
إذا طردوا في معرك المجد ، قصفوا
رماح العطايا في صدور المكارم (١)
وان سجبوا خرصانهم لكريمة ،
تصدع صدر الأرض عن قلب واجم (٢)
وتثبت في عليا معد غصونهم
ثبات بنان في قلوب البراجم (٣)
أيسح لي هذا الزمان بصاحب
طويل نجاد السيف من آل هاشم ؟
إذا أنا شيعت الحسام بكفته
مضى عزم مشبوح الذراع ضيارم (٤)
وان ضافه الهمم النزع رمى بها
زائع لا يعلفن غير الشكائم (٥)

(١) طرد الرجل خصمه : تغلب عليه . (٢) الخرصان : الرماح

(٣) البراجم : المفصل الباطنة والظاهرة من الاصابع .

(٤) الضيارم : الرجل الجرمي ، على الاعداء .

(٥) النزع : البعيد . الزائع : الخيل الغرائب تزعن عن قوم آخرين . الشكائم : شكيمة ، وهي اللجام .

ولستُ بِمَسْتَصِفٍّ سِوَى كُلِّ خَائِضٍ
إِلَى كُلِّ بَحْرٍ بِالْقَنَا مِتْلَاطِمٍ
أَنَامِلُهُ فِي الْحَرْبِ عَشْرُ أَسْنَةٍ
وَلَكِنهَا فِي الْجُودِ عَشْرُ غَمَائِمٍ
طَمُوحٌ إِذَا غَضَّ الشَّجَاعُ لِحَاظَهُ ،
وَأَطْرَقَ عَنِ بَرَقِ الظُّبَا كُلِّ شَائِمٍ (١)
أَعَاذِلِ مَا سَمِعِي لِلْوَمَكِ مَرْتَعَاً ،
إِذَا كَانَ مَصْرُوفًا إِلَى غَيْرِ لَائِمٍ
أَبْشُكَ عَنِ لَيْلٍ تَعَسَفَتْ مَتْنَهُ
كَأَنِّي أَمْشِي فِي مُتُونِ الأَرَاقِمِ (٢)
مُنْجِيلاً لِي أَنْ النُّجُومِ ضَمَائِرُ ،
تَقَلُّقٌ فِيهِ خَشِيَّةٌ مِنْ عَزَائِمِي
لَقِيتُ ظِلَامَ اللَّيْلِ فِي لُونِ مَفْرِقِي ،
وَفَارَقْتَهُ وَالصَّبِيحُ فِي لُونِ صَارِمِي

(١) الظبا : جمع ظبئة وهي حدة السيف .

(٢) الأراقم : أخبت الحيات .

أجوبُ أجسامَ المنايا ، وأسدُّها
تروغني من بينها بالهمام
وييني وبين القوم من آل يعرب
ضعائن تنيني زهيد المطاعم
إذا ما جنوا من ملهم ثم العلي ،
جنيتُ المعالي من غصون اللهازم (١)
أغرَّ بني فهرٍ وعبد مجاشع ،
وأى وعيدٍ بعد وقع الصوارم ؟ (٢)
أيوعدنا من عطَّل البيض والقنسا ،
وأقسم لا ينجو بغير الهزائم
عشية خضنا بالضوامر ليلهم
وفي كل جفنٍ منهم طيفُ حالم
تزيهم صدور السمر بين نخورهم ،
فما استيقظوا إلا بقرع الخلاقم (٣)

(١) اللهازم : جمع لهُذم ، القاطع من الاسنة .

(٢) فهر : الجند الجامع لبني قريش . مجاشع : من بني تميم .

(٣) السمر : الرماح .

كَأَنَّ السَّكْرَى يَقْتَصُّ مِنْ طَوْلِ نَوْمِهِمْ ،
فَيُسْهَرُ مِنْهُمْ بِالْقَنَا كُلِّ نَائِمٍ
وَكُلِّ غُلَامٍ خَالِطِ الْبَاسِ قَلْبِيهِ ،
يُقَطِّعُ أَقْرَانَ الْأُمُورِ الْغَوَاشِمِ (١)
وَنَحْنُ دَلْفَنَّا لِلأَرَاقِمِ فَتِيَّةٌ
يُضَيِّفُونَ أَطْرَافَ الْقَنَا فِي الْحِيَازِمِ
تَطْلَعُ مِنْ خَلْفِ الْعِجَاجِ ، كَأَنَّمَا
تَطَالَعُهُمْ مِنْهَا عَيُونَ الْقَشَاعِمِ (٢)
إِذَا اشْتَجَرَ الضَّرْبُ الدِّرَاكُ ، تَمَطَّقَتْ
إِلَى الطَّعْنِ أَفْوَاهُ النَّسُورِ الْحَوَائِمِ (٣)
وَوَلَّوْا عَلَى الْخَيْلِ الْعِتَاقِ كَأَنَّهُمْ
تَرَاخُمِ غَيْمِ الْعَارِضِ الْمُتَرَاكِمِ (٤)
تَفِيضُ عَيُونَ الطَّعْنِ بِالْأَدَمِ مِنْهُمْ ،
وَيَفْسَلُهَا فَيُضُّ الْعَيُونَ السَّوَاغِمِ

(١) الأقران : الخبال .

(٢) العجاج : الغبار . القشاعم : النسور الكبيرة في السن

(٣) اشتجرت : اشتبك .

(٤) العارض : السحاب المعترض في السماء

لقاء والده

كان عضد الدولة بن بويه قد اعتقل والد الشريف
الرضي، وعمه، لاسباب سياسية وسجنها في قلعة فارس
سنة ٥٣٦٩ (٧٧٩ م) بقي فيها حتى اطلق
سراحهما شرف الدولة سنة ٥٣٧٦ (٩٨٦ م)،
فقال الشاعر يذكر اعتقال ابيه، وكيف التقى
به بعد خلاصه :

طُوعٌ هَدَاهُ الْبَيْنَا الْمَغِيبُ ، وَيَوْمٌ مُتَزَقٌ عَنْهُ الْخُطُوبُ
لَقَيْتِكَ ، فِي صَدْرِهِ ، شَاحِبًا ، وَمِنْ حَلِيَّةِ الْعَرَبِيِّ الشُّحُوبُ
إِلَيْهِ تَمَّيَّحُ النَّمُوسِ الصَّدُورُ ، وَفِيهِ سَهَنِي الْعَيُونِ الْقُلُوبُ
تَعَرَّبَتْ مَسْتَأْنَسًا بِالْبِعَادِ ، وَاللَيْثُ فِي كُلِّ أَرْضٍ غَرِيبُ
وَاحْرَزْتَ صَبْرَكَ لِلنَّائِبَاتِ ، وَلِلدَّاءِ يَوْمًا يُرَادُ الطَّيِّبُ
لَمَّا اللَّهُ دَهْرًا أَرَانَا الدَّ ، يَارَ يَنْدُبُ فِيهَا الْبَعِيدَ الْقَيْبُ
وَمَا كَانَ مَوْتًا ، وَلَكِنَّهُ ، فِرَاقٌ تُشَقُّ عَلَيْهِ الْجُيُوبُ
لَسْنَا كُنْتُمْ لَمْ تَسْتَرِبْ بِالزَّمَانِ ، فَقَدْ كَانَ مِنْ فَعْلِهِ مَا يُرِيبُ
رَمَى بِكَ ، وَالْأَمْرُ ذَاوِي النَّبَاتِ ، فَآلَ ، وَغَضِنُ الْمَعَالِي رَطِيبُ
وَلَمَّا جَذِبْتَ زِمَامَ الزَّمَانِ ، أَطَاعَ ، وَلَكِنْ عَصَاكَ الْحَبِيبُ
وَلَمَّا اسْتَطَالَ عَلَيْكَ الْبِعَادُ ، وَذَلَّلَ فِيكَ الْمَطِيَّ الْغُوبُ (١)

(١) الغوب : اشد الاعياء الشديد.

رجوت الاياب ، على أنه
كفيل مُطلوع البدور الغروب
رحلت ، وفي كل جفن دم ،
عليك ، وفي كل قلب وجيب (١)
ولا نطق إلا ومن دونه
عزاء تَقَوَّرٌ ، ودمع ريب
وأنت تعلمنا بالايا
ب ، والصبرُ مرتحل لا يؤوب
وسرَّ العدى فيك نقص العقول ،

وأعلم ان لا يسر اللبيب
أما علم الحاسد المستغبر
قدمت قدوم رفاق السحاب
فأضحك الدهر إلا إليك ،
حلفت بما ضمته الحجون
لقد سرَّك الدهر في الغادرين ،
وأجلى رجوعك عن حاسد
تحرق منك قلوب العداة
وأجهل إذا الناس مستنفض
وإسْر اللبيب
أن الزمان عليه رقيب ؟ (٢)
تخطُّ ، والرَّبعُ ربع جديب
مذبان في حاجبيه القطوب
وما ضم ذلك المقام الرحيب (٣)
بعذر تضاءل فيه الذنوب
يك ، هذا قنيل ، وهذا سليل
غيطاً ، وانت ضحوك قطوب (٤)
دعاءً الى سمع من لا يجيب

(١) الوجيب : الخفقان .

(٢) المستغر : المغرور .

(٣) الحجون : جبل بملاة مكة .

(٤) القطوب : العبوس .

زعانفٌ يستصرخون العلي وما استتاب العز إلا نجيب (١)
 وطال مُتأمك في منزل تطلع من جانبه الحروب
 بضرب كما اشترطته السيوف وطعن كما اقترحتهُ الكعوب (٢)
 ونجل تغفل فيها الطعا

ن، وانشق عنها النجيع الصليب (٣)
 وصحبة كل غلام عليه من سمة العز، حُسن وطيب
 إذا خضب الرمح أو ما به كأن السنان بنان خضيب
 وقضمك كل بعيد النياط كأن الجواد به مُستريب
 وارضاً إذا ما اجتلاها الهجير طلقها من يديه الضريب (٤)
 وما زال منك على النائبات مقام عظيم ويوم عصيد
 فيوم حسامك فيه الخطيب ويوم لسائك فيه الخطيب
 طلبت لنفسك فاطلب لنا من العز إن المحامي طلبوب
 وان كنت تأنف من حبه فان العلاء إلينا حميد

(١) الزعانف : الاوباش .
 (٢) الكعوب : اي كعوب الرماح .
 (٣) النجل : جمع نجلاء وهي الطعنة الواسعة الجرح . النجيع : الدم
 (٤) اجتلاها : من اجتلاء العروس ، اخذها مجلوة . الهجير : شدة الحر . الضريب : الثلاج

وما نحنُ أنت ، وكلُّ إلى
 ونحن ، فسامِ إلينا الشباب
 على أنه أنت عينُ الزمان
 ولولاك ما لذَّ طعمُ الفخار
 أترضى لجدك أن لا يكون
 فلا يُقعدنك كيدُ الحسود
 وحثَّ الطلابَ فانا نجدُ
 ولم لا يُضيفُ العليُّ من له

دعاءِ العليِّ طربٌ مستجيبُ
 وأنت ، فسامِ إليك المشيب
 وعيشٌ بلا ناظرٍ لا يطيب
 ولا راق بُردُ العلاءِ القشيب
 لنا من عطاءِ المعالي نصيب؟
 وانهضْ فكلُّ مرامٍ قريب
 وأمضِ الامورَ فانا ننوب ١

غديرٍ معينٍ ، ومرعى خصبٍ؟ ٢
 خلقٌ عجيبٌ وخلقٌ أديب
 فطال وأورقَ ذاك القضيبي
 يُعبرُ عنها الفؤادُ الكثيبي
 ت ، أن تتخطى إليها العيوب
 راقك منها النظامُ العجيب
 إذا جاءني الآملُ المستتيب ٣

لحيِّاك ، مني عند اللقاء
 وخلقْتني غرسٌ مُستنمر
 ذخرت لك الغررَ السائرات
 تصونُ مناقبك الشاردا
 إذا نشرتها شفاهُ الرواة
 وإني لارجوك في النائبات

(١) ننوب : اي ننوب عنك .
 (٢) غدير معين : اي غدير ماؤه جار .
 (٣) المستتيب : طالب الثواب اي الجزاء .

قادر .. وحليم

لغير العلي مني القلي والتجنب،

ولولا العلي ما كنت في الحب ارغب

اذا الله لم يعذرك فيما ترومه فما الناس الا عاذل او مؤنب (١)
ملكتم بحلمي فرصة ما استرقها

من الدهر، مفتول الذراعين اغاب (٢)

فان تك سفي ما تطاول باعها

فلي من وراء المجد قلب مدرّب

فحسبي اتي في الاعادي مبغض

واني الى غير المعالي محسب

وللحلم اوقات، وللجهل مثلها ولكن اوقاتي الى الحلم اقرب

يصول علي الجاهلون واعتلي

ويعجم في القائلون واعرب (٣)

يزون احتمالي غصّة، ويزيدهم

لواعج ضغن اتي است اغضب

(١) يعذرك : ينصرك

(٢) استرقها : ملكها

(٤) يعجم : يبهيم القول .

وأعرض عن كأس النديم كأنها
وميض غمام، غائر المزن، خلَّب

وقور، فلا الاحزان تأسر عزمي
ولا تمكر الصهباء بي حين أشرب

ولا اعرف الفحشاء الا بوصفها

ولا أنطق العوراء، والقلب مغضب (١)

تحلم عن كرم القوارص شيمتي

كأن معيد الذم بالمدح مطنب (٢)

لساني حصاة يقرع الجهل بالحجبي

إذا نال مني العاضه المتوثب (٣)

ولست براض ان تمس عزائمي

فضالات ما يعطي الزمان ويسلب

(١) العوراء: الكلمة القبيحة.

(٢) تحلم: تتكلف الحلم. القوارص من الكلام: التي تنقص وتؤلم.

(٣) الحصاة: الرزاقه. العاضه: الكاذب الذي يجيء بالزور والبهتان. المتوثب: المعتدي

لسان الطغاة

عندما قبض على والد الشريف، ووجيء
به إلى عضد الدولة، ثم حُر إلى قلعة فارس،
قال له الوزير المطهر بن عبد الله ساخراً،
شامتاً: كم تدل علينا بالعظام النخرة! فبلغ
ذلك الرضي فثارت ثأثرته، فقال من قصيدة يرد
عليه بها، وسنه يومئذ فوق العشرة بقليل:

ينالُ الفتي من دهره قدرَ نفسه

وتأتي علي قدر الرجال المكاييدُ

فدىَّ لك يا مجدَّ المعالي وبأسها

فعمالُ جيانٍ شجعته الحقائدُ

مُعزاتٍ ولكن ما عُزَّاتٍ عن الندى

وجودك في حيد العلي لك شاهد

بوجهك ماء العز في العزل ذائبٌ

ووجه الذي وُلِّي من الماء جامد

فلا يفرح الاعداءُ، فالعزل معرضٌ

إذا راح عنه صادرٌ جاء وارد

وما كنت إلا السيف يمضي دبابه

ولا ينصر العلياء من لا يجالد (١)

نفي ففضى حق الضرائب في الوغى

وأنتت عليه ، حين رُدَّ ، المغامد (١)

فأعطوا عنان الضر غيرك اذ رأوا

يمينك تستولي عليها الفوائد

وما كنت يوماً ، في الزمان ، بمسك

عري المال ان ضجت اليك المواعد

ولا كنت ترضى ان تصح ببلدة

اذا قيل عضو من زمانك فاسد

ايا غدوة ساء الحسين صباحها

وسر العدى فيها الزمان المعاند (٢)

لحقت عندي أن كل صبيحة

مجاة سَمَّ ، والليالي أساود (٣)

يعرفك الاخوان كل بنفسه

وخير أخ من عرفتك الشدائد

(١) نفي السيف : سل من غمده .

(٢) الحسين والد الشريف

(٣) المجاة : ما يلقي من الغم . الاساود : الحيات .

وطاغٍ يعيرُ البغيَ غربَ لسانه

وليس له عن جانب الدين ذائد (١)

شنتَ عليه الحق حتى رددته

صموتاً، وفي انيابه القولُ عاضدٌ

يُدِلُّ بغيرِ الله عَضدًا وناصراً

وناصرُكُ الرحمنُ، والمجدُ عاضدٌ

يعيرُ ربَّ الخيرِ بالي عظامه

ألا نُزَّهتُ تلكَ العِظامُ البوائدُ

ولو كان بين الفاطميينَ وفرفرت

عليه العوالي والظبيا والسواعد!

كُورَمُ الشَّبَابِ

صرف القادر بالله الشريف عن نقابة الطالبين
عندما سمع هذه القصيدة :

مَقُولٌ صَارِمٌ ، وَأَنْفٌ حَمِيٌّ
 كَمَا رَاغَ طَائِرٌ وَحْشِيٌّ (١)
 مُتَمَلِّمٌ فِي نَعْمَةٍ الْمَشْرِفِيٍّ ؟
 وَبِمَصْرَ الْخَلِيفَةِ الْعَاوِيٍّ
 إِذَا ضَامَنِي الْبَعِيدُ الْقَصِيَّ (٢)
 جَمِيعاً مُحَمَّدٌ ، وَعَلِيٌّ
 وَأُوَامِيٌّ بِذَلِكَ النَّقَعِ رِيٌّ (٣)
 لِانْطِلَاقٍ ، وَقَدْ يُضَامُ الْآبِيُّ
 فِي طَلَابِ الْعُلَى ، وَحَظِيَّ بَطِيٍّ
 قُصُوراً ، وَلَمْ تَعَزَّ الْمَطِيَّ
 عَذِيرِي قَدٍّ ، وَرَعِيَّ وَبِيٍّ (٤)
 أَقْرَمَ مِنْ خَلْفِهِ النَّهَارُ الْمَضِيَّ

مَا مُقَامِي عَلَى الْمَهْوَانِ ، وَعِنْدِي
 وَإِبَاءٌ مَخْلُوقٌ بِي عَنْ الضَّمِيمِ
 أَيُّ عُذْرٍ لَهُ إِلَى الْمَجْدِ ، إِنْ ذَلَّ
 الْبَسُّ الذَّلَّ فِي دِيَارِ الْإِعَادِي
 مَنْ أَبَوْهُ أَبِي ، وَمَوْلَاهُ مَوْلَايِ
 لَفَّ عِرْقِي بِعِرْقِهِ سَيِّدُ النَّاسِ
 إِنْ ذُلِّي بِذَلِكَ الْجَوِّ عَزَّ
 قَدْ يَذَلُّ الْعَزِيزُ مَا لَمْ يُشَمَّرْ
 إِنْ شَرَّ عَلِيٌّ إِسْرَاعَ عَزْمِي
 أُرْتَضِي بِالْآذَى ، وَلَمْ يَقِفِ الْعَزْمُ
 تَارِكاً أَسْرَتِي رُجُوعاً إِلَى حَيْثُ
 كَلَذَنِي يَخْبِطُ الظَّلَامُ ، وَقَدْ

(١) راغ : نفر .
 (٢) ابوه : اي جده الرسول . مولاة : اي الامام علي ،
 (٣) الاوام : حمر العطش
 (٤) القدد : السوط . الوبي : الكثير الوباء .

خصام الاخوين

وقعت بين الرضي واخيه المرتضى وحشة ،
فتقاطعا وقتاً ، فقال المشاعر يشكو ويعتاب اخاه

أتاني ، وممطول من النأي بيننا
قوارص تنبو بالحقون عن الغمض
ومولى وري قلبي بلذعة ميسم
من الكلم العوراء ، مضاعلي مض
فمعدراً لاعدائي ، اذا كان اقربي
يشذب من عودي ويعرق من نخضي
اذا ما رمى عرضي القريب بسهمه
عذرت بعيد القوم إما رمى عرضي
ألم يأتيه اني تفردت ، بعده
روابي للعلماء جاش لها تهضي
وأني جعلت الأنف ، من كل حاسد
قبالي ، وخذني كل مضطمن ارضي
وكم من مقام ، دون مجدك ، قمته
علي زلق بين النوائب ، او دحض

قارعت من أعيك قبل قراعه

فدا مجني بعد التشارر والبعض (١)

فدا امست الأرحام من على شفاً

فأخلق بمشف، لا يُعلل، ان يقضي

رايت مخيلات العقوق مملحة،

فلا تجعلن برق الأذى صادق الوامض (٢)

ولا تسمتن من ود لو اننا معاً

شجيجان، تطيننا الجنادل بالأرض (٣)

ذا كنت أغضي، والقوارع جمه

فنتك أولى أن يُرم وان يُغضي (٤)

على مخصص لو كن في البدر لم يُنر

وفي العود لم يُورق، وفي السهم لم يمض

رزمتك حياً بالقطيعة والقبلي

وبعض الرزايا قبل يوم الفتى المقضي

(١) دامجني : واقفي .

(٢) المخيلات : السحب المتهبة المطر .

(٣) شجيجان : مكسور الرأسين . تطيننا : ثققلنا .

(٤) القوارع : قوارص اللسان .

أُنَادِيكَ فَارْجِعْ مِنْ قَرِيبٍ ، فَانْتَبِهْ

إِذَا ضَاقَ بِي ذَرْعِي ، مَضَيْتُ كَمَا تَمْضِي

* *

تَهْضُمَنِي مَنْ لَا يَكُونُ لغيره

مَنْ النَّاسِ ، إِطْرَاقِي عَلَى الْمَوْنِ أَوْ غَضْبِي

أَفَوْقَ نَبْلِ الْقَوْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ

فِيؤَانِي ، مِنْ قَبْلِ نَزْعِي بِهَا ، عَرَضِي

وَأَرْجِعْ لَمْ أَوْلِغْ لِسَانِي فِي دَمِي

وَلَمْ أَدْمِ أَعْضَائِي بِنَهْشِي وَلَا عَضِي (١)

إِذَا اضْطَرَمَّتْ مَا بَيْنَ جَنْبِي غَضْبَةً

وَكَادَ فَمِي يُمِضِي مِنَ الْقَوْلِ مَا يُمِضِي

سَفَعْتُ عَلَى نَفْسِي بِنَفْسِي فَكَفَفْتُ

مَنْ الْفَيْضِ وَاسْتَعَطَمْتُ بَعْضِي عَلَى بَعْضِي

(١) اولغ لسانه : ادخله في الدم ليشرب منه .

دمعة الاخلاص

اجتاز الشريف بقبر ابي اسحق الصابي ، وهو
بالجنيئة من نهر كرخايا ببغداد ، في الشهر الذي
مات فيه ، فبكي دمعة حارة على ذلك القبر ، وهذا
يدل على اخلاص الشريف في صداقته تلك الصداقة التي
تعلت حتى على الموت .

يَعْلَمُ قَبْرَ بِالْجِنْيَةِ أَنْسَا أَقْمَنَا بِهِ نَنْعَى النَّسْدَى وَالْمَعَالِيَا؟

يَطْفِنَا فَجِيئْنَا مَسَاعِيهِ ، أَمَا

عِظَامُ الْمَسَاعِي ، لَا الْعِظَامُ الْبَوَالِيَا (١)

رَرْنَا بِهِ ، فَاسْتَوْقَفْتَنَا رُسُومَهُ

كَمَا اسْتَوْقَفَ الرَّوْضُ الظُّبَاءَ الْجَوَازِيَا (٢)

مَا لَاحَ ذَلِكَ التُّرْبُ حَتَّى تَحَلَّيْتِ

مِنَ الدَّمْعِ أَوْشَالَ مَلَأَنَّ الْمَآقِيَا (٣)

رَأَيْنَا إِلَيْهِ عَن ظُهُورِ جِيَادِنَا

نُكْفِكْفُ بِالْأَيْدِي الدَّمُوعَ الْجَوَارِيَا

رَأَيْنَا تَجَاهَ هُنَا الْبُكَاءَ وَلَمْ نُنْقِ

عَنِ الْوَجْدِ إِقْلَاعًا ، عَدَرْنَا الْبَوَاكِيَا

(١) المساعي : اكتساب المعالي .

(٢) الجوازى : الضياء التي تجترىء بأكل العشب عن الماء

(٣) الاوشال : المياه القليلة

أقول لركب راجحين : تعرجوا

أريكم به فرعاً من المجدِ ذاوياً

الموا عليه عاقرين ، فانتنا

إذا لم نجد عقراً ، عقّرنا القوافيلاً

وحطّموا به رجل المكارم والعلی

وكتبوا الجفان عنده ، والمقارياً

ولو أنصفوا شقوا عليه ضمائراً

وجزوا رقاباً بالظبى لاناوصاً

وقفنا فأرخصنا الدموع ، وربنا تكون على سوم الغرام غوالاً

ألا أيها القبرُ الذي ضمّ لحده

قضيماً ، على هامِ النوايب ، ماضياً

هل ابن هلال منذ أودى كهدنا

هلالاً ، على ضوء المطالع ، باقياً؟

(١) تعرجوا : ميلوا واحبسوا المطايا .

(٢) المقر : نحر الإبل على قبور الموتى في الجاهلية .

(٣) المقاري : القدور

(٤) قضيماً : سيفاً .

(٥) هلال : والد الميت .

وتلك البنان المورقات من الندى

نواضب ماء ، أم بواق كما هيا ؟

فان يبذل من ذلك اللسان مضاؤه فان به عضواً ، من المجد باليا

نجيب الدواعي جائداً ومدافعاً ،

هناك مرم لا يجيب الدواعيا (١)

وما كنت أبى طول أبت بقبره

لو أني اذا استعديته ، كان عادي

صفائح تستسقي الدموع روائحاً

على جانبيها ، والغمام غواديا (٢)

ترى الكلام الغرآن من بعد موته

نوافير عمّن رامهن نواثيا (٣)

هو الخاضب الأقلام نال بها على تقاصر عنها الخاضبون العتواليا

معيد ضرب باللسان ، لوأنه

بيوم وغى ، قل الجراز اليانبا (٤)

(١) مرم : ساكت .

(٢) الصفائح : الحجارة العراض .

(٣) الغرآن : جمع الاغر ، وهو شريف الكلام وجملة .

(٤) الجراز : السيف .

مَرِيرُ الْقَوْمِي نَالِ الْمَعَالِي وَاثْبًا إِذَا غَيْرُهُ نَالِ الْمَعَالِي حَائِبًا
مَضَى لَمْ يُيَانِعْ عَنْهُ قَلْبٌ مُشِيْعٌ

إِذَا هُمْ ، لَمْ يَرْجِعْ عَنِ الْمَهْمِ نَابِيَا (١)
وَلَا الْمَسْنَدُوهُ بِالْأَكْفِ إِلَى الْحَشَا

عَلِي جَزَعٌ ، وَالْمُفْرِشُوهُ التَّرَاقِيْبُ
وَلَا رَدَّ فِي صَدْرِ الْمَنُونِ بَرَاحَةٌ يَرُدُّهَا سُمْرُ الْقَنَا وَالْمَوَاضِي
حَلَا بَعْدَكَ الْوَادِي الَّذِي كُنْتُ أُنْسَهُ

وَأَصْبَحَ تَعَبُوهُ النُّوَابِ وَأَدْبُ
أُرْحَتَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ الْوَجْدِ تَرْتَمِي ضَمَائِرُنَا إِيَّامَهَا وَاللِّيَالِيَا (٢)
رَضِيَتْ بِحُكْمِ الدَّهْرِ فَيْكَ ضَرُورَةٌ

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَغْدُو ، بِمَا سَاءَ ، رَاضِيًا
وَطَاوَعْتُ مَنْ رَامَ انْتِزَاعَكَ مِنْ يَدِي

وَلَوْ أَجِدُ الْإِعْوَانَ ، أَصْبَحْتُ عَاصِيًا
وَلَوْلَاكَ ، كَانَ الصَّبْرُ مِنَّا سَجِيَّةً

مُتْرَانًا ، وَرِثَانُهُ الْجُدُودَ الْإِوَالِدَ

(١) مشيع : شجاع .

(٢) أراح الأبل والغنم : ردها إلى المراعي . التلة بالفتح : قطع الغنم

تطامنتُ كَمَا يَعْبُرُ الخُطْبُ جَانِبِي

فَأَلْفَى عَلَى ظَهْرِي ، وَجَرَ زِمَامِيَا (١)

مَلَأَتْ بِمَحْيَاكَ البِلَادَ مَسَاعِيَا وَيَمْلَأُ مَنَوَاكَ البِلَادَ مَنَاعِيَا
كَمَا عَمَّ عَالِي ذِكْرِكَ الخَلْقَ كُلَّهُ كَذَلِكَ أَقَمْتَ العَالَمِينَ نَوَاعِيَا
رَثِيئَةً كَمَا اسْلُوكَ ، فَازْدَدْتُ لَوْعَةً

لَأَنَّ المَرَاثِي لَا تُسُدُّ المَرَاثِيَا (٢)

وَأَعْلَمُ أَنَّ لَيْسَ البُسْكَاءُ بِنَافِعٍ

عَلَيْكَ ، وَلَكِنِّي أُمْنِي الأُمَانِيَا

رثاء الصاحب بن عباد

أَكْذَابُ المُنُونِ تُقَطِّرُ الأَبْطَالَ أَكْذَابُ الزَّمَانِ يُضْعِضُ الأَجْيَالَ
أَكْذَابُ تُصَابُ الأَسْدِ وَهِيَ مُدَلَّةٌ

تَحْمِي الشُّبُولِ وَتَمْنَعُ الأَغْيَالَ ! (٣)

كَذَا تُقَامُ عَنِ الفَرَاسِ ، بَعْدَمَا مَلَأَتْ هَمَاهِمَهَا الوَرَى أَوْ جَالَ
أَكْذَابُ تُحَطُّ الزَاهِرَاتُ عَنِ العُلَى

مِنْ بَعْدَمَا شَاتِ العَيُونَ مَنَالَا !

(١) تطامنت : الخنبت . (٢) المرازىء : المصائب :

(٣) الاغتيال : جمع الغيل ، وهو عرين الاسد .

اَكْذَابُ تَكْبُ الْبُزْلِ وَهِيَ مِصَاعِبٌ

تَطْوِي الْبَعِيدَ ، وَتَحْمِلُ الْاِثْقَالَ ! (١)

اَكْذَابُ تَغَايُ الزَّخَرَاتُ وَقَدْ طَفَّتْ

لُجْجًا ، وَأُورِدَتْ الظِّهَامَ زُلَالًا !

يَا طَالِبَ الْمَعْرُوفِ ، حَلِّقْ نَجْمَهُ !

حُطَّ الْحُمُولُ ، وَعَطَّلَ الْاِجْمَالَ !

وَأَقِمَّ عَلَى يَأْسٍ ، فَقَدْ ذَهَبَ الَّذِي

كَانَ الْاِئْتَامَ ، عَلَى نَدَاهُ ، عِيَالًا !

مَنْ كَانَ يَقْرِي الْجَهْلَ عِلْمًا تَقِيًّا
وَيُجَبِّنُ الشُّجْرَانَ دُونَ لِقَائِهِ

يَوْمَ الْوَعْيِ ، وَيُشْجِعُ السُّؤَالَ

خَلَعَ الرَّدَى ذَاكَ الرِّدَاءَ نَفَاسَةً

عَنَّا ، وَقَلَّصَ ذَلِكَ السِّرْبَالَ ! (٢)

خَبْرٌ تَمَخَّضَ بِالْاِحْبَةِ ذِكْرَهُ

قَبْلَ الْيَقِينِ ، وَأَسْلَفَ الْبَلْبَالَ

(١) البزل : الابل التي اتمت التاسعة . المصاعب : الفحول التي صعب تذليلها

(٢) نفاسة : اي ضنا به لانه يجدنا اهلا له .

حتى اذا جَلَّتِي الظُّنُونُ يَقِينُهُ

صدع القلوب ، واسقط الأحمال ! (١)

الشكُّ أبردُ في الحشا في مثله ياليت شكِّي دام فيه وطالا !

جبلٌ تسنمت البلادُ هضابَه حتى اذا ملاء الأقالم زالا !

يا طود ، كيف ، وأنت عاديُّ الذرى

ألقى بجانبك الردى زلزالا ! (٢)

ان قطع الآمال منك ، فانه من بعد يومك قطع الأءملا

ما كنت أوَّل كوكب ترك الدنا

وسما الي مُنظرأئه ، فتعالى !

أنفًا من الدنيا بتت جبالها

و نزعَت عنك قميصها الأسمالا (٣)

لا رزءَ أعظم من مُصائبك ، انه

وصلَ الدموعَ وقطعَ الاوصالا !

يا أمرَ الأقدار ، كيف أطعتها او ما وقاك جلالك الآجالا ؟

(١) الأحمال : اي الاجنة ، جمع جنين .

(٢) العادي : القديم .

(٣) بتت : قطعت .

كيف اغتفمت ، ففاجأتك بغيرة

اوليس كنت المخلط المزيبالا؟

ولهذه القصيدة تمة ايضا

مدح الطائع

من قصيدة في مدح الطائع لله سنة

٣٨٠ (١٩٩٠ م).

لله ثم لك المعظمُ الأعظمُ واليك ينتسب العلاء الأقدمُ

ولك التراثُ من النبي محمد

والبيتُ ، والحجرُ العظيمُ ، وزمزمُ

تمضي الملوكُ ، وأنت طودٌ ثابت

ينجابُ عنك مُتوجُّهُ ومعممُ

ما ذاك إلا أنَّ غربك منهمُ

أمضى ، وإن علوَّ مجدك أعظمُ (١)

ان الخلافة ، مذ تهضت بعبئها

هدأ الضميرُ بها ، وثام النومُ

لله أيُّ مقامٍ دينٍ مُقمته والأمر من دون القضية مُبهم

فكأنما كنت النبيّ مُناجزاً بالقول ، أو بلسانه تتكلم
أيام طلقها المطيع ، وأوحشت

مذ زال عن ذا الغابِ ذاك الضيفم (١)

فمضى ، وأعقب بعده مُتبقظاً

سجلاه بؤسى في الرجال ، وأنعم (٢)

كالغيت ، يخلفه الربيع ، وبعضهم

كالنار ، يخلفها الرماد المظلم

لا تهدي نوب الزمان لدولة

الله فيها ، والنبيُّ ، وانتم

شرفاً بنى العباس مدّ رواقه وعلى تساندها القنا والانجم

في فتية ركبوا العلى من هاشم

يرمون أقطار العدو كما رُموا

يجري الحياء الغض في قسماهم

في حين يجري في أكفهم الدم (٣)

(١) المطيع : أي الخليفة المطيع لله .

(٢) سجلاه : أي عطياته .

(٣) قسماهم : وجوههم .

وَإِذَا غَضِبْتَ ، فَأَنْتَ أَنْتَ شَجَاعَةٌ

تُوفِي عَلَى غَضَبِ الرَّدِيِّ ، وَهَمْ هُمْ !

بِحَمَائِلِ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ مَقْلَدٌ وَبِخَاتَمِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ مُخْتَمٌ
وَعَظُمْتَ قَدْرًا أَنْ يَرُوقَكَ مَغْنَمٌ

أَوْ أَنْ يُصِرَّ عَلَى بِنَانِكَ دَرَاهِمٌ

هِيَ رَاحَةٌ مَا تَسْتَفِيقُ مِنَ النَّدَى

أَبَدَ الزَّمَانَ ، وَبَدْرَةٌ لَا تُخْتَمُ (١)

مَلِكٌ تَلَاعَبُ بِالْهَوَى عَزَمَاتُهُ بَعْدًا بِهِ عَمَّا يَقُولُ الْوَسْمُ

عَالٍ عَلَى نَظَرِ الزَّمَانِ مُبْرَأٌ مِمَّا يَمُنُّ بِهِ الزَّمَانُ وَيَنْتَلِمُ

بَيْنَنَا يُضِيءُ عَلَى الظَّلَامِ ، فَيُنَجِّلِي

حَتَّى يُغَيِّرُ عَلَى الضِّيَاءِ فَيُظْلِمُ

النَّفْعَ وَالْإِضْرَارَ فَعَلُ لِسَانِهِ

لِيَرَأَشَ عَافٍ ، أَوْ يُضْعِضَعَ مُجْرِمٌ (٢)

وَيُرُوحُ عَنْهُ وَلِيهِ وَعَدُوهُ هَذَا يَزِيدُ غِنَى ، وَهَذَا يُعَدِمُ

(١) البدره : كيس من المال .

(٢) يراش : ينال خيراً . العافي : طالب المعروف .

فَعَلَى الْمُقَارِبِ مَطْلَعٌ مُتَبَلِّجٌ
وَعَلَى الْمَجَانِبِ عَارِضٌ مُتَجَهِّمٌ
فِي كُلِّ يَوْمٍ خَالِعٌ مُتَأَخِّرٌ

يُرْدِي ، وَجَدَّ غَالِبٌ مُتَقَدِّمٌ (١)
وَقُتُوحٌ أَمْصَارٌ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي
عَفْوًا إِلَيْكَ ، وَغَيْرُهَا يُتَجَسَّمُ
لَوْلَاكَ لَمْ يَكُ مِثْلَهَا مَا يُرْتَقَى
عُلُوًّا ، وَلَمْ يَكُ مِثْلَهَا مَا يُغْنَمُ

مدح القادر

من قصيدة مدح بها الخليفة القادر سنة ٥٥٣٨

أَمِنَ الْخُدُوجُ تَهْرُجَهُنَّ الْإِزْيِيقُ
وَالرَّكَبُ يُطْفَوِي السَّرَابَ وَيَغْرَقُ؟ (٢)
يَقْطَعْنَ أَعْرَاضَ الْعَفِيقِ ، فَشُئْمُ
يَجْدُو رِكَائِبَهُ الْغَرَامُ ، وَمُعْرِقُ
أَبْقُوا أَسِيرًا بَعْدَهُمْ ، لَا يُفْتَدِي
مِمَّا يُجِنُّ وَطَالِبًا لَا يَلْحَقُ (٣)
يَهْفُو الْوَلُوعُ بِهِ ، فَيَطْرِفُ طَرْفَهُ

وَيَزِيدُ جَوْلَانُ الدَّمُوعِ فَيَطْرُقُ

(٢) الخالِع : الخارج من طاعة سلطانه . يردى : يهلك . الجد : الحظ .

(١) الخُدُوج : الهوادج .

(٣) يجن : يخفي في قلبه .

ووراءَ ذاكَ الحِدرِ عارضُ مُزنةٍ

لا نافعٌ ظمًا ، ولا مُتألقٌ (١)

وَمُحجَّبٌ ، فاذا بدا ، من نُوره

للركبِ مُلتهبِ المطالعِ مُوقِ

خرُّوا على شُعبِ الرِحالِ وأَسندوا

أيدي الطِعانِ الى قلوبِ تَحُفِّ

هل عهدنا بعدَ التفرُّقِ راجعٌ

أو عُصننا بعدَ التسلُّبِ مورِقٌ؟ (٢)

شوقٌ اقامَ وأنتِ غيرِ مُقيمةٍ

والشوقِ بالكلفِ المُلعنى أعلقُ

ما كنتُ أحظى بالدُنوفِ كينِ بي

واليومَ نحنُ مُغرَّبٌ ومُشرقٌ؟

* *

وَمُطلِّحِينَ لهم بكلِّ ثنيةٍ

مُلقىٍ وسادته الثرى والمرفق

(١) العارض : السحاب . المزنة : المطر .

(٢) التسلب : الحداد على الميت

مدحه الملك شرف الدولة

من قصيدة يمدح الملك شرف الدولة بن عضد
الدولة البويهى ، عند دخوله بغداد سنة ٥٣٧ هـ
(٩٨٦ م) بعد انتصاره على اخيه صمصام
الدولة ، ويشكره على اطلاق ابيه من القلعة :

أحظى الملوك ، من الأيامِ والدُّولِ
من لا ينادمُ غيرَ البيضِ والأَسَلِ
وأشرفُ الناسِ مشغولٌ بهمتِهِ
مُدَقِّعٌ بينَ أطرافِ القَنَا الذُّبُلِ
تطفئُ على قُضْبِ الأبطالِ نخوته
وقائمٌ السيفِ مندوبٌ إلى القلَلِ (١)

* *

إيه لقد أسر الدنيا ، بنجدته
أبو الفوارس ، والاقدام للبطل
ماضٍ على الهول ، طلائعٌ بغرته
على الحوادث ، مقدمٌ على الأجلِ

(١) القضب : السيوف . القل : اعالي الرؤوس .

هَمَّسْتِ يَا مَلِكَ الْأَمْلاَكِ ، مَفْزَاةً

رَدَّتْ عَلَيْكَ بَهَاءَ الْأَعْصَرِ الْأَوَّلِ

دَعَاكَ رَبُّ الْعَالِي زَيْنَ مِلَّتِهِ

وَمِلَّةً ، أَنْتَ فِيهَا ، أَعْظَمُ الْمَلَلِ

صَدَمْتَ بِفُضْدَادِ وَالْأَيَّامِ غَافِلَةً

كَالسَّيْلِ يَا نَفُّ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيَّ مَهْلًا

بِكُلِّ أَبْلَجٍ مَعْرُوفٍ بِطَاعَتِهِ - إِذَا تَنَافَرَ لَيْلُ الْحَادِثِ الْجَلَلِ

يَا قَائِدَ الْخَيْلِ ، إِنْ كَانَ السِّنَانُ فَمَا

فَأَنَّ رَحْمَكَ مُشْتَاقٌ إِلَى الْقَبِيلِ

وَكَمْ مَدَدْتَ عَلَى الْأَقْرَانِ مِنْ رَهْجٍ

فِي لَيْلَةٍ تَعْدُرُ الْأُلْحَاطُ بِالْمُفْضَلِ (١)

وَمُحْتَفِرِينَ ، مَا زَالَتْ قُلُوبُهُمْ

مُبْتَدِّدِ الرَّأْيِ بَيْنَ الرَّيْثِ وَالْعَجَلِ

حَتَّى أَخَذَتْ عَلَيْهِمْ حَتْفَ أَنْفُسِهِمْ

فَأَظْلَمُوا بِبُرُوقِ الْعَارِضِ الْمَهْطِلِ

راموا مقامك ، فازورت عيونهم

ماكل^١ لحظ الى الاماق من قبل (١)

لله زهرة مملك قام حاسدها وليس يعلم ان الشمس في الحمل

لا تأسفن من الدنيا على سلف

فاخير^٢ الشهد فينا اعذب العسل

ولا تبال بفعل ، ان هممت به

ولورمي بك بين العذر والعذل

لا تمشين الى امر^٣ تعاب^٤ به فقلما تظن الايام بالزل

لله ، أي^٥ فتى^٦ أمست^٧ لبانت^٨

رذية^٩ بين ايدي العيس والسبيل (٢)

لا يفسد الحب رأيا كان أصلحه

اذا الفتى طرد الآراء بالقرزل

راك^{١٠} أشرف^{١١} ممدوح^{١٢} لمتمدح^{١٣}

وخير^{١٤} من شرعت فيه يد^{١٥} الأمل

(١) الاماق : مجاري الدمع

(٢) اللبانة الحاجة .

فجاء نحوك لا يلوي على أحد

إنَّ المقيمَ عن النزاحِ في سُغُلِ

وليس يأنفُ الاحسانِ في ملكٍ حتى يؤلِّفَ بين القولِ والعملِ

فما أملُّ مديحاً ، أنت سامعُهُ

وعاشقُ العزِّ لا يؤتى من المللِ

ما عُذرٌ مثلي في نقصِ وقولته

أبي الوصي ، وجدِّي خاتمُ الرُّسُلِ

هذا أبي ، والذي أرجو النجاحَ به

أدعوهُ منك طليقَ الهمِّ والوجلِّ

لولاك ، ما انفسحت في العيشِ همتهُ

ولا أقرَّ عُيونَ الخيلِ والخولِ (١)

غزل وهب الهجازيات

ليالي منى

من مُعَيْدٍ لِي أَيَّا	مي بِجِزَعِ السَّمَرَاتِ (١)
وَلِيَالِيٍّ يَجْمَعُ	وَمِنَى وَالْجَمَرَاتِ (٢)
حَالِيَاتٍ	كَظَبِيَاءٍ عَاطِلَاتٍ
رَائِحَاتٍ فِي جَلَايِدِ	بِالدَّجِي مُخْتَمِرَاتِ (٣)
رَامِيَاتٍ بِالْعَيُونِ	نَجَلٍ قَبْلَ الْحَصِيَّاتِ
أَلْعَقْرِ الْقَابِ رَاحَتِ	أَمْ لَعَقْرِ الْبِدَنَاتِ؟ (٤)
كَيْفَ أودعتِ فُؤَادِي	أَعْيُنًا غَيْرَ ثِقَاتِ!
أَيُّهَا الْقَانِصُ ، مَا أَحَدٌ	سَنَتَ صَيْدِ الظَّبِّيَّاتِ
فَأَتَكَ السَّرْبُ ، وَمَا زُوِّ	دَتَ غَيْرِ الْحَسَرَاتِ
يَا وُوقُوفًا مَا وَقَقْنَا	فِي ظِلَالِ السَّلَامَاتِ (٥)

(١) الجزع : منعطف الوادي . السمرات : شجر الطاح ،

(٢) جمع المزدلفة ، موضع بين عرفات ومنى . منى : موضع بمكة . الجمرات : الحجارة التي يرمي بها الحجاج ابليس .

(٣) مختمرات : لابسات الخمار ، والخمار ما تلبسه المرأة على وجهها بقية التستر .

(٤) البدنات : جمع بدنة بالتحريك ، وهي الإبل والبقر .

(٥) السلمات : نوع من الشجر مفردا سلة .

موقِفًا يجمع فينا	ن الهوى والفتيات
نتشاكى ما عنانا	بكلام العبيرات
نظرٌ يشغل منّا	كل عين بقذاة
كم نأى بالتفمر عفا	من غزال ومهابة
آه من جيد الى الدا	ر كثير الافتات
وغرام غير ماض	بلقاء غير آت
فسقى بطن منى والا	خفيف صوب الغاديات (١)
وزمانا نائم العند	ال مأمون الوشاة
في ليل كالآلي	بالغواني مقميرات
غرست عندي غرس ال	شوق ممرور الجناة (٢)
أين راق لغرامي	وطبيب لشكاتي؟ (٣)

لوعة الفراق

يا قلب جدد كمدًا فوعدُ البين غدا
لم أرَ فرقًا ، بعدهم بين الفراق والردي

(١) الحيف : غرة بيضاء في الجبل الامود الذي خلف ابي تيس بمكة ، وبها سمي مسجد الحيف .

(٢) : ممرور الجناة : اي مر الجنى

(٣) الراقى : راقه - اي صنع له تمويدة تقيه امراض الحطب والهوى

١) حاد من الغور حدا	هيجهما	زفرة
عيسه عن الحدا	العاشقين	زفير
٢) وأثرم القلب يدا	أخمول ناظراً	أرعي
آثارهم ما انظر دا	على	وأطر د الطرف
٣) جمر الغضا ، هاخذها	مذ أوقدوا بأضلعي	مذ
ما جمدا	عيني بالاسى ،	ومذ أذابوا ماء
٤) حقف النقا وألجمدا	من حاجة	يا هل أرى ،
٥) جرعائه ، وانقدا	وحيث نال الرمل عن	وهل أعيد ناظراً
٦) يتبع سرّباً منجدا	عشّين هزات القسا	هل ناشد ينشد لي
مال وما تقصدا	ما ضلّ عني ، انما	ما ضلّ عني ، انما
٧) ذلك الغزال الاغيدا		
ضلّ بقلبي كمددا		

(١) الغور : اسم لعدة مواضع .

(٢) الخمول : الهواجج

(٣) الغضا : شجر ، خشبه صاب ، يبقى مدة طويلة كي يصبح رماداً

(٤) الحقف : الملعوج من الرمل . النقا : القطعة من الرمل . الجمده : جبل بنجد .

(٥) الجرعاء : هضبة فيها قسم من الرمل

(٦) منجداً : آتياً نجداً .

(٧) ضلّ بقلبي : أي أضله .

رَهْنَتُهُ قَلْبِي ، وَمَنْ يَرَهْنُ قَلْبًا أَبَدًا
يَا مُنْجِرًا وَعَيْدَهُ وَمَا بَطْلًا مَا وَعَدَا
أَرَاكَ مِنِّي أَقْرَبًا وَإِنِّ غِدْوَتَ أَبْعَدَا
عَذَّبْتَ قَلْبِي عَنِّي وَالطَّرْفُ لِلْقَلْبِ بَدَأُ (١)
رُبَّ ثَنَائِي بَرَدَتْ لَذِي جَوِّي مَا بَرَدَا (٢)
يَا حَرَّ قَلْبٍ مِنْ سُقْيِي رِضَاهُنَّ الْإِبْرَدَا (٣)
لَمْ يَدِرْ هَلْ ذَاقَ نَبَاهَا جَمْرَ غَضًّا أَوْ بَرْدًا؟
يَا كَبِيدِي تَجَلَّدَا ! فَمَا أَطْيِقُ الْجَلْدَا !
عَسَى فَوَادِي يَرَعَوِي رُبَّ مُضَلٍّ وَجِيدَا

غريد وباك

جُرِّي النَّسِيمِ عَلِيَّ مَاءِ الْعِنَاقِيدِ

وَعَلِّي بِالْأَمَانِي كُلِّ مَعْمُودِ (٣)

يَا نَفْحَةَ هَزَّتِ الْأَحْشَاءَ شَائِقَةً

وَذَكَرْتَ نَفْحَاتِ الْخُرْدِ الْغَيْدِ !

(١) غننا : خطأ .

(٢) الجوى : الحرقه وشدة الوجع .

(٣) المعمود : الذي هذه العشق

يضمُّها الليلُ في أثناء غيبه
والقطرُ يلمسُ اطرافَ الجلايدِ
كأنها عن طريقِ المُنزَنِ طائشةٌ
لحظاً تُردِّدهُ أجفانُ مزوودِ (١)

ليت الأحيبةُ أغرينَ الرياحِ بنا
وإن تأينَ على شحطٍ وتبعيدِ
وليتهنَّ ، على يأسِ اللقاءِ لنا
عللنَ بالوعدِ سيرَ الضميرِ القوودِ
أيتُ والليلُ مبثوثٌ حبائلهُ
والوجدُ يقنصُ مني كلَّ مجلودِ

شوقاً اليك ، وإشفاقاً عليك ، ولي
دمعانِ ما بين محلولٍ ومعقودِ
ليس الغريبُ الذي تنأى الديارُ به
إن الغريبَ قريبٌ غيرُ مودودِ
يا طائرَ البانِ ، ما غربتَ عن سَكَنِ
يوماً ، ولا كنتَ عن مأوىِ بطرودِ

وَأَنْتِ فِي ظِلِّ أَفْتَانٍ مُمَدَّةً

تَحْنُو عَلَيْكَ بِقِنْوَانِ الْعِنَاقِيدِ (١)

مَلَأْتَ عُسْكَ طَعْمًا غَيْرَ مُخْتَلَسٍ

بِلا رَقِيبٍ وَوَرْدًا غَيْرَ تَصْرِيدٍ (٢)

تَبْكِي ، وَمَا لَكَ مِنَ الْفُجِيعَةِ بِهِ

وَلَا لُوَيْتَ ، عَلَى بُعْدٍ ، بِمَوْعُودٍ (٣)

ظَلِمْتَ ، مَا أَنْتَ مِنْ هَمِّي وَلَا كَمْدِي

إِنَّ الْعَلِيلَ لَقَابٌ عَادَهُ عَيْدِي (٤)

أَنَا الَّذِي إِنْ بَكَى وَجَدًا ، فَحَقُّ لَهُ

كَمْ بَيْنَ بَاكِ مِنَ الْبَلْوَى ، وَغَرِيدٍ !

حديث المضاجع

وَقَفْتُ بِرَبْعِ الْعَامِرِيَّةِ وَقَفَّةً

فَمَزَّ اشْتِيَاقِي ، وَالْدموعُ خَوَاضِعُ (٥)

(١) الافتان : الاعصان .

(٢) التصريد السقي دون الري

(٣) لويت : اي ماطل

(٤) عاده : اتنا به . العيد : ما ينتاب الانسان من هم او مرض او حزن .

(٥) عز : اي قوي .

وكم ليلةً بتنا على غير ريبة
علينا عيونٌ للنهى ومسامعُ (١)
نفضُ حديثاً عن ختامِ مودةٍ
معاقلها أحشاؤنا والأضالعُ (٢)
يكادُ غرابُ الليلِ، عندَ حديثنا
يطيرُ ارتياحاً، وهو في الوكرِ واقعُ
خلونا فكانت عفةٌ لا تعفُفُ
وقد رُفعت في الحيِّ عنّا الموانعُ
سأوا مضجعي عني وعنها، فاننا
رضينا بما يُخبِرُنَا عنّا المضاجعُ

عائر الدموع

أيُّها الرائحُ المغنِذُ تَحْمَلُ
أقر عني السلامَ أهلَ المصلَى
حاجةٌ للمتيمِّمِ المُشتاقِ (٣)
فبلاغِ السلامِ بعضَ التلاقي
وإذا ما مررتَ بالخيِّفِ فأشهدُ
أنَّ قايي إليه بالأشواقِ

(١) النهي : العقل .

(٢) الختام : ما يفتح به على الشيء .

(٣) المغذ : المرع في السير .

وَإِذَا مَا سُئِلْتَ عَنِّي ، فَقُلْ :

نَضُّوْهُوِّى مَا أَظْنَهُ الْيَوْمَ بَاقِي (١)
ضَاعَ قَلْبِي فَانْشُدْهُ لِي بَيْنَ جَمْعٍ

وَمِنِّي عِنْدَ بَعْضِ تِلْكَ الْحِدَاقِ (٢)
وَابِكِ عَنِّي ، فَطَالَمَا كُنْتُ ، مِنْ قَبْلُ

أَعِيرُ الدُّمُوعَ لِلْعِشَاقِ

نشوان

أَسْقِنِي ، فَالْيَوْمَ نَشْوَانُ وَالرُّبِّيَّ صَادٍ وَرِيَّانُ
كَفَلْتُ بِاللَّهِوِ وَافِيَةً لَكَ نَيَاتٌ وَعِيدَانُ
حَارَ وَفَدُ الرِّيحِ فَالْتَطَمَتْ مِنْهُ أَوْرَاقٌ وَأَغْصَانُ
كُلُّ فَرْعٍ مَالٍ جَانِبِهِ فَكَأَنَّ الْأَصْلَ سَكْرَانُ
وَكَأَنَّ الْعُصْنَ ، مُكْتَسِيًا مِنْ بَيَاضِ الطَّلِّ ، عُرْيَانُ
كَلَّمَا قَبَلْتُ زَهْرَتَهُ خَلَّتْ أَنْ الْقَطْرَ غَيْرَانُ
وَمَقِيلٌ بَيْنَ أَخْبِيَةِ وَالْحِيِّ قَدْ بَانُوا (٣)

(١) النضو : المهزول .

(٢) الحداق : الاحداق .

(٣) المقيل : نومة نصف النهار . الاخبية : جمع خباء

في أصيحاب ، مفارِشهم ، ثم ، أنقاء وكتبان (١)
عسكرت فيها السحاب كما حطَّ بالبيداء رُكبان
فارتشفنا ريق سارية حيث الأرض مُغدران (٢)
فأسقني ، والوصل يألني إن يوم البين قرحان
قهوة ما زال يقلق من مُجتناها المسك والبان
غير سمي للملام ، إذا صاح ساجي الصوت مرنان (٣)
رُب بدرٍ بتُ الثمة صاحياً ، والبدارُ نشوان
قدت خيل اللثم أصرُفها حيث ذلك الحد ميدان
لي غدير من مُقبلة ومن الصدغين بُستان (٤)
في قميص الليل عفة من ظن أن الوصل كتمان
كيف لا تبلى غلائله وهو بدرٌ ، وهي كتمان !
وندامي كالنجوم سطو بالني ، والدهرُ جذلان
خطرنا ، والحجرُ تمفضهم وذبول القوم أردان
كم تخلت من ضمائرهم ثم ألباب واذهان

(١) الانقاء : جمع النقا ، وهو القطعة المحدودة من الرمل .

(٢) السارية الغمامة

(٣) الساجي : الساكن

(٤) المقبل : الثغر .

كلُّ عقلٍ ضاع من يقظٍ فهو في الكاسات حيرانٌ
إنما ضلَّت عقولهم حيث يُعيين وجدانٌ
فاختلس طعم الزمان بها إنما الأيامُ أقرانُ « ١ »

سيف العفة

تضاجعني الحسناء ، والسيفُ دونها

ضجيجانٍ لي والعَضْبُ ادناهما مني

إذا دنت البيضاء مني لحاجةٍ

أبى الأبيضُ الماضي وماطلها عني

وان نام لي في الجفنِ إنسانٌ ناظرٍ

تيقظ عني ناظرٌ لي في الجفنِ (٢)

أغرَّت فتاةَ الحيِّ مما ألفتَه

أغفلته دونَ الشعارِ من الضنِّ (٣)

وقالت : هبوه ليلةَ الخوفِ ضمه

فما عذره في ضمه ليلةَ الأمنِ ؟

(١) الأقران : النظائر

(٢) الجفن الثاني : غمد السيف .

(٣) الضن : أي من الحرص عليه

عذري من الصحراء

يَقْرُؤُ بَعِينِي اِنْ اَرَى لَكَ مَنزَلًا
بِنِعْمَانِ يَزُكُو تَرْبَهُ وَيَطِيبُ
وَأَرْضًا بِنُورِ الْأَقْحِي صَقِيلَةً
تَرَدَّدُ فِيهَا شَمَالٌ وَجَنُوبٌ
وَأَيُّ حَبِيبٍ غَيْبِ النَّأْيِ شَخْصَهُ
وَحَالَ زَمَانٌ دُونَهُ وَخُطُوبُ
تَطَاوَلَتِ الْأَعْلَامُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
وَأَصْبَحَ نَائِي الدَّارِ ، وَهُوَ قَرِيبٌ ١
لَكَ اللهُ مِنْ مَطْلُوعَةِ الْقَلْبِ بِالْهَوَى
فَتِيلَةٌ شَوْقٍ ، وَالْحَبِيبُ غَرِيبٌ ٢
أَقْلُ سَلَامِي ، إِنْ رَأَيْتُكَ ، خَيْفَةٌ
وَأَعْرِضُ كَيْمَا لَا يُقَالُ : مُرِيبٌ
وَأَطْرُقُ ، وَالْعَيْنَانِ يَوْمِضُ حَظُّهَا
إِلَيْكَ ، وَمَا بَيْنَ الضُّلُوعِ وَجِيبِ ٣

(١) الاعلام : الجبال .

(٢) مطلوعة : مهدورة .

(٣) يومض حظها : ارجع الضمير الى احدى العينين . الوجيب : الحفقات .

يقولون : مشغوف الفؤاد مروع^ه

ومشغوفة^ه تدعو به فيجيب

وما علموا أننا إلى خير ريبة

بقاء الليالي ، نغتدي ونؤوب

عفاني ، من دون التقية ، زاجر^ه

وصوتك ، من دون الرقيب ، رقيب (١)

عشقت وما لي ، يعلم الله ، حاجة

سوى نظري ، والعاشقون ضروب

ومالي ، يا لمياء ، بالشعر طائل^ه

سوى أن أشعاري عليك تسيب^ه

أحبك حباً لو جزيت ببعضه

أطاعك مني قائد^ه وجنيب

وفي القلب داء^ه في يدك دواؤه

إلا رُبَّ داء لا يراه طيب (١)

سرى لك من اوطانه كل^ه عارض

تضاحك فيه البرق وهو قطوب (٢)

ولا زال خَفَاقُ النسيمِ مُرَقِرًا
عليك، وأنواءُ الغمامِ تَصُوبُ (١)

لقاء لن يعود

وقف الهوى بي عندها	وسرت بقلبي مُقلتاها
بردت عليّ، كأنما	طلَّ الغمامة عارضها (٢)
شمسٌ أقبلٌ جيدها	يوم النوى، وأجلُّ فها
وأذودُ قلباً ظامئاً	لوقيل: وردك، ما عداها!
ولو استطاع، لقد جرى	مجرى الوشاح على حشاها
يا يوم مُفترقِ الرفاقِ	تُرى تعودُ مُلتقاها؟
قالت: سيطرُقك الخيالُ	من العقيق، على نواها (٣)
فِعدي بطيفك مُقلةً	إن غبت، تطمعُ في كراها
انني شربتُ من الهوى	حمراء، صرَّف ساقيها (٤)

(١) الانواء: اي الامطار

(٢) الطل: الطر الخفيف. العارضان: صفحتا الخدين

(٣) العقيق: الوادي، واسم لعدة مواضع بالمدينة.

(٤) حمراء: اي خمرة الهوى الحمراء فهي شهوة ملتهبة

يا سَرِحَةً بالقاعِ لم
ممنوعةً ، لا ظلُّها
أَكْذًا تَذوبُ عَلَيْكُمْ
أَيْنَ الوجوهِ أَحَبُّهَا
أُمْسِي لَهَا مُتَقَدِّمًا
واهاً! ولولا ان يَليومَ
يُبَلِّلُ بغيرِ دمي ثَراها
يَدنو إِلَيَّ ، ولا جَناها
نَفسي ، وما بَلَغَتْ مُناها
وأودُّ لو أَنِّي فِداها؟
في العائدينَ ، ولا أراها
اللائثونَ ، لقلت : آها!

التحرق على الشباب

قال لي عند مُلتقى الركبِ عمرو:

قَوْمَ العودِ بعدنا فانصاتا (١)
أين ذاك الصِّبَا ، وأين التَّصَابِي؟

سبقاً الطالبُ المُجِدِّ وفاتا
من قضي عَقِبَةَ الثلاثين يَغدو

راجعاً يَطْلُبُ الصِّبَا؟ هيهاتا! (٢)
لم تَرَلْ ، والمشيبُ غيرِ قريبٍ

ناعياً للشبابِ حتى ماتا

(١) انصات المنحني : استوت قامتة .

(٢) العقبة : النوبة .

كنت تبكي الأحياء، فاستكثر اليوم

من الدمع ، واندب الأمواتا

شعوره نحر والذته

من قصيدة يتفجع فيها على والدته

لكيك ، لو نفع الغليل بُكائي

وأقول ، لو ذهب المقالُ بدائي (١)

أعوذُ بالصبر الجميل تعزياً لو كان بالصبر الجميل عزائي

بوراً تُكاثِرني الدموعُ، وتارة آوي إلى أكرؤمتي وحيائي

عبرة موهنتها بأناملي وسترُتها، مُتجملاً، برِداي (٢)

لدي التجلُد للعدو ولودري بتمللي، لقد اشتفى أعدائي

كنت أذخرُ في فِداك رَغِيبَةً

لو كان يرجع ميتٌ بفِداء (٣)

كان يُدفعُ ذا الحِمَامِ بقوة

لتكدست عُصَبٌ وراءَ لوائي

لدرّين على القِرَاعِ تَقِيماًوا ظلَّ الرماح لكلِّ يوم لقاء

(١) نفع : اروي وشفى .

(٢) متجملاً : متكلفاً الصبر الجميل

(٣) الرغية : العطاء الكثير .

قوم اذا مر هو باغباب السرى كحلوا العيون بائد الظلماء (١)

يمشون في حلق الدروع كأنهم

صم الجلامد في غدیر الماء

ببروق اذراع، ورعد صوارم

وغمام قسطلة ووبل دماء (٢)

فارقت فيك تماسكي وتجملي ونسيت فيك تمزني وابائي

وصنعت ما ثلم الوقار صنيعه

مما عراني من جوى البرحاء

كم زفرة ضعفت، فصارت أنة

أتمتها بتنفس الصعداء

كهفان أنزو في حبال كربة ملكت علي جلاوتي وغنائتي (٣)

وجرى الزمان، على عوائد كيده

في قلب آمالي وعكس رجائي

قد كنت أمل ان أكون لك الفدى

مما ألم، فكنت انت فداي

(١) الاثم : حجر للكحل .

(٢) القسطلة : غبار الحرب (٣) الغناء . الاضطلاع بالامور .

وَتَفَرِّقُ البُعْدَاءَ ، بعد مَوَدَّةٍ
صَب ، فكيف تَفَرِّقُ القُرَبَاءَ

كربلا !

من قصيدة قالها في ذكرى مقتل الحسين ،
وما أصاب أهله واصحابه في كربلاء:

كربلا ! لا زلت كرباً وبلاً!	ما لقي عندك آل المصطفى؟
كم علي تترك ، لما أصرعوا	من دم سال ، ومن دمع جرى!
كم حصان الذيل يروي دمعها	خدّها ، عند قتيل بالظماً (١)
تمسح التراب ، على أعجالها	عن طلي نحر رميل بالدم (٢)
وضيوف لفلاة قفرة	نزلوا فيها ، على غير قرى
لم يذوقوا الماء حتى اجتمعوا	بجد السيف على ورد الردى
تكسف الشمس شمساً منهم	لا تدانيها ضياءً وعلى
وتنوش الوحش من أجسادهم	
	أرجل السبق ، وأيمان الندى (٣)
	قمر غاب ، ومن نجم هوى

(١) الظما : العطش .

(٢) الطلي : جمع طلية وطلاة ، وهي اصل العنق

(٣) تنوش : تتناول .

غَيَّرْتَهُنَّ اللَّيَالِي ، وَغَدَا جَائِرَ الْحُكْمِ عَلَيْهِنَّ ، الْبَيْلِي
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ عَايَنْتَهُمْ وَهُمْ مَا بَيْنَ قَتْلِ وَسَبِّ :
مِنْ رَمِيضٍ يُمْنَعُ الظِّلَّ ، وَمِنْ

عَاطِشٍ يُسْقَى أَنَايِبَ الْقَنَا (١)
وَمَسُوقٍ عَاثِرٍ يُسْعَى بِهِ خَلْفَ مَحْمُولٍ عَلَى غَيْرِ وَطَاءٍ
مُتَعَبٍ ، يَشْكُو أَذَى السَّيْرِ عَلَى

تَقِيبِ الْمَنْسَمِ ، مَجْزُولِ الْمَطَا (٢)
كُرَأَتْ عَيْنَاكَ مِنْهُمْ مَنْظَرًا لِلْعَشَا شَجْوًا ، وَوَلَاهِيْنَ قَدَى
لَيْسَ هَذَا لِرَسُولِ اللَّهِ يَا أُمَّةَ الطُّغْيَانِ وَالْبَغْيِ جَزَاءُ
غَارِسٍ ، لَمْ يَأَلْ فِي الْغَرَسِ لَهُمْ فَأَذَاقُوا أَهْلَهُ مُمْرًا الْجَنَى
جَزَرُوا ، جَزَرَ الْأَضَاحِي ، نَسَلَهُ ثُمَّ سَاقُوا أَهْلَهُ سَوَقَ الْإِمَا
مُعْجَلَاتٍ لِأَيُّوَارِينِ ، ضَحَى

سُنَنَ الْأَوْجِهَةِ ، أَوْ بِيضِ الطَّلِي

(١) الرميض : المتحرق القدهين من الحر .

(٢) التقب : البعير اذا حفي ، المنسم : حف البعير . المجـ زول : البعير في ظهره
دبرة ، اي قرحة .

ها تَفَاتِ بِرَسُولِ اللَّهِ فِي
بِهْرِ السَّعِيِّ ، وَعَثْرَاتِ الْخُطِيِّ (١)
يَوْمَ لَا كَسْرُ حِجَابٍ مَانِعٌ
بِذَلَّةِ الْعَيْنِ ، وَلَا ظِلُّ خَبَابٍ (٢)
أَدْرَكَ الْكُفْرُ بِهِمُ نَارَاتِهِ
وَأُدِيلُ الْغِيِّ مِنْهُمْ فَاشْتَفَى
يَا قَتِيلًا ! قَوْضَ الدَّهْرِ بِهِ
عَمَدَ الدِّينِ وَأَعْلَامَ الْهُدَى !
أَنْهَ خَامِسُ أَصْحَابِ الْكِسَاءِ (٣)
شَدَّ الْحَبْلَيْنِ ، وَلَا مَدَّ رِدَا
قَتَلُوهُ بَعْدَ عِلْمٍ مِنْهُمْ
كَفَنُوهُ غَيْرَ بُوْغَاءِ الثَّرَى (٤)
بِأَبِ بَرٍّ ، وَجَدَّ مُصْطَفَى !
مُرْهَقًا يَدْعُو ، وَلَا غُوْثَ لَهُ
عِلْمًا مَا بَيْنَ نِسْوَانِ الْوَرَى
وَبِأَمٍّ رَفَعَ اللَّهُ لَهَا
جَدَّ ، يَا جَدَّ ! أَعْتَنِي يَا أَبَا !
أَيُّ جَدٍّ وَأَبٍ يَدْعُوهُمَا ؟
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، يَا فَاطِمَةَ

(١) البهر : جمع البهرة ، وهي هنا وسط النهار .
(٢) بذلة العين : امتهان النفس ، وقلة صونها . والبذلة في الاصل ، مالا يصان من الثياب .
(٣) اصحاب الكساء : النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين
خامسهم لانه كان آخر من التف بالكساء معهم . قيل لهم ذلك لالتفافهم بالكساء
الياني عند فاطمة ، ولقول النبي حين ذاك : هؤلاء عترتي واهل بيتي .
(٤) البوغاء : التربة الرخوة .

كيف لم يستعجل الله لهم

بانقلاب الارض، أو رجم السماء! (١)

* *

حملوا رأساً يُصلّون على
يتهادى بينهم، لم ينقضوا
ميتٌ تبكي له فاطمة
لو رسول الله يجيأ بعده
يا جبال الجبل عزاً وعلى
جعل الله الذي نابكم
لا أرى حزنكم يُنسى، ولا
قد مضى الدهر، وعفى بعدكم

جده الأكرم طوعاً وإيأاً
عمم الهام، ولا حلوا الحبي
وأبوها، وعليّ ذو العلى
قعد اليوم عليه للعز
وبدور الأرض نوراً وسناً
سبب الوجد، طويلاً، والبكاً
رزه كم يسلى، وان طال المدى
لا الجوي باخ، ولا الدمع رقا (٢)

(١) رجم السما : اي ترجمهم السماء بشبهها
(٢) باخ : سكن رقا الدمع : انقطع جريانه

راحل أنت

من قصيدة قالها في عاشوراء سنة ٣٨٧ هـ (٩٩٨)

راحل أنت ، والليالي تؤولُ ومُضِرٌّ بكَ البقاءُ الطويلُ
لا شجاعٌ يبقى فيمتنقُ البيضُ

ولا آملٌ ولا مأمولُ
غايةُ الناسِ في الزمانِ فناءٌ وكذا غايةُ الغصونِ الذبولُ
انما المرءُ للمنيّةِ مخبوءٌ وللظعنِ تستجِمُ الخيولُ (١)
من مَقِيلٍ بين الضلوعِ ، الى طولِ

عنا ، وفي الترابِ مَقِيلٌ (٢)
فهو كالغيمِ الّثمتهِ جنوبٌ يومَ دجنٍ ، ومزقتهِ قبولُ (٣)
عادةٌ للزمانِ ، في كلِّ يومٍ يتنأى خيلٌ ، وتبكي طولُ
والليالي عونٌ عليكَ مع البينِ كما ساعدَ الذوابلُ طولُ (٤)
ربما وافقَ الفسقى من زمانٍ فرحٌ ، غيرُهُ به متبولُ (٥)

(١) تستجِم : تستريح .

(٢) مَقِيل بين الضلوع : مَقِيل النفس في الجسم .

(٣) القبول : وريح الصبا تأتي من الشرق .

(٤) الذوابل : الرياح .

(٥) متبول : مبتلى ، مذهب بمقله .

هي دنيا ، ان واصلت ذا ، جفّت

هذا مَلاّلاً ، كأنها مُعْطَبُولُ (١)
كلُّ بَأَكٍ ، يُبْكِ عَلَيْهِ ، وَإِنْ طَالَ بَقَاءُهُ ، وَالنَّائِكُ الْمُنْكَوَلُ
وَالْأَمَانِيُّ حَسْرَةٌ وَعِنَاءٌ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهَا تَعْلِيلُ
مَا يُبَالِي الْحَمَامُ أَيْنَ تَرَقَّى بَعْدَ مَا غَالَتْ ابْنُ فَاطِمَةَ عُوَلُ (٢)
أَيُّ يَوْمٍ أَدْمَى الْمَدَامِعَ فِيهِ حَادِثٌ رَائِعٌ وَخَطْبٌ جَلِيلٌ ؟
يَوْمَ عَاشُورَاءَ الَّذِي لَا أَعَانُ

الصَّحْبُ فِيهِ ، وَلَا أَجَارَ الْقَبِيلُ (٣)
يَا ابْنَ بِنْتِ الرَّسُولِ ، ضَيَّعْتَ الْعَهْدَ
رِجَالٌ ، وَالْحَافِظُونَ قَلِيلٌ
مَا أَطَاعُوا النَّبِيَّ فِيكَ ، وَقَدْ
مَالَتْ بِأَرْمَاحِهِمُ إِلَيْكَ الذُّحُولُ (٤)
وَأَحَالُوا عَلَى الْمَقَادِيرِ فِي حَرْبِكَ
لَوْ أَنَّ عُدْرَهُمْ مَقْبُولُ

(١) المعطبول : المرأة الفتية الجميلة .

(٢) العول : الهلكة والداهية .

(٣) القبيل : الجماعة

(٤) الذحول : جمع ذحل ، وهو التآر أو طلب مكافأة بجنانية ، أو العداوة والحقد .

واستقالوا من بعد ما أجلبوا فيها، أَلَا نَأْيُهَا الْمُسْتَقِيلُ؟ (١)
إِنَّ أَمْرًا قُنِعْتُ ، مِنْ دُونِهِ ، السَّيْفُ

لَمَنْ حَازَهُ لِمَرْعَى وَبَيْلُ (٢)
يَا حُسَامًا ، فَلَتَّ مَضَارِبُهُ الْهَامَ

وَقَدْ فَلَّهَ الْحُسَامُ الصَّقِيلُ !
يَا جَوَادًا ، أَدَمَى الْجِيَادَ مِنَ الطَّعْنِ

وَوَلَّى وَتَحْرَهُ مَبْلُولُ !
حَجَلُ الْخَيْلِ مِنْ دِمَاءِ الْأَعَادِي

يَوْمَ يَبْدُو طَعْنٌ ، وَتَحْقَى حَجُولُ (٣)
يَوْمَ طَاحَتْ أَيْدِي السَّوَابِقِ فِي النَّقْعِ

وَفَاضَ الْوَتْنِي ، وَغَاضَ الصَّهْبِيلُ
أُمْتَرَانِي أَلَذُّ مَاءً ، وَلَمَّا

يُرُو ، مِنْ مُهْجَةِ الْإِمَامِ ، الْغَلِيلُ ؟ !
أَمْ تَرَانِي أُعِيرُ وَجْهِي صَوْنًا

وَعَلَى وَجْهِهِ تَجُولُ الْخَيُْولُ ؟ !

(١) اجلبوا : تجمعوا من كل وجه للحرب .

(٢) قنعت بالسيف : غطي رأسك به ، أي ضرب به .

(٣) حجل : خضب . الحجول : البيضاء في قوائم الفرس .

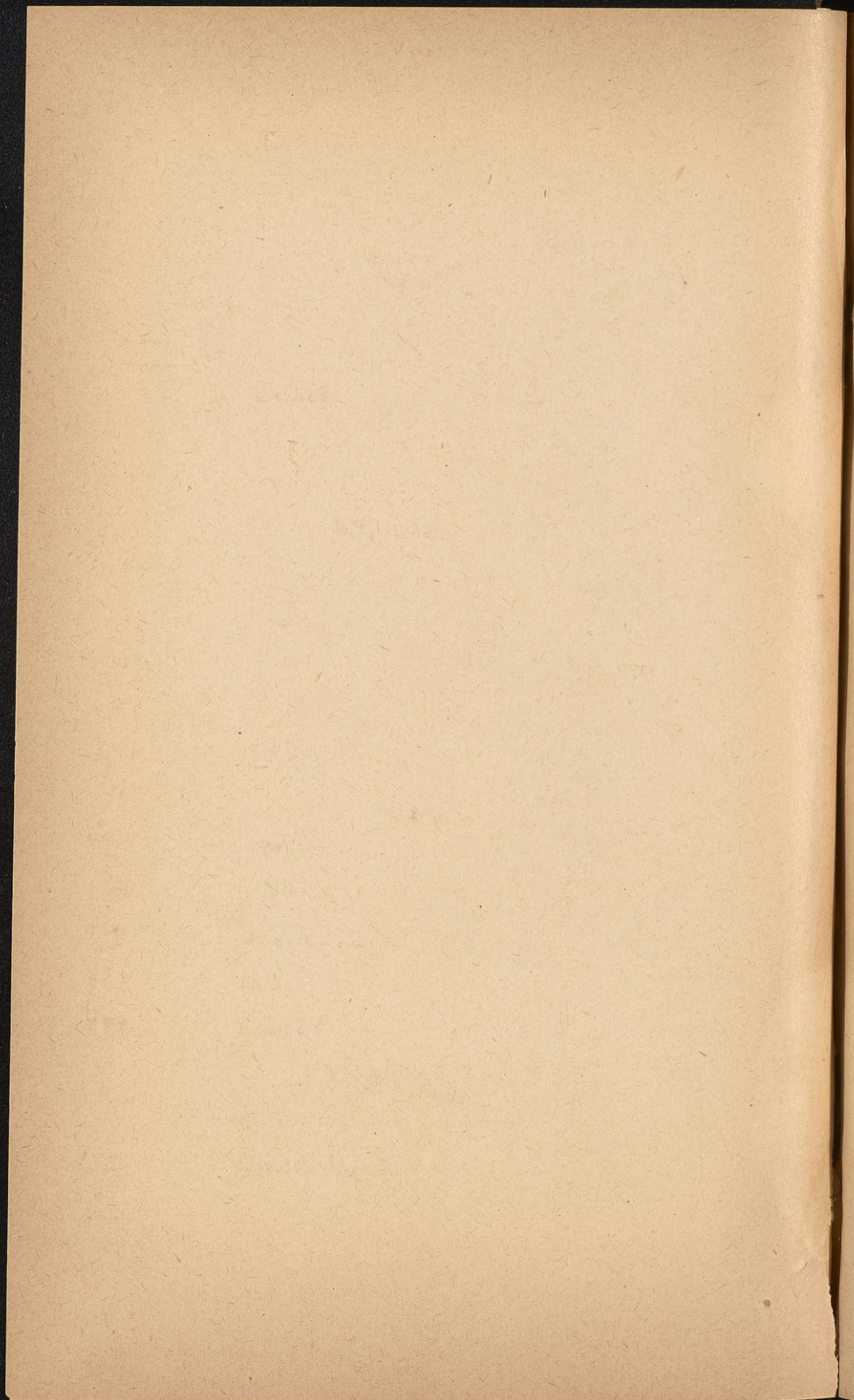
خطأ و صواب

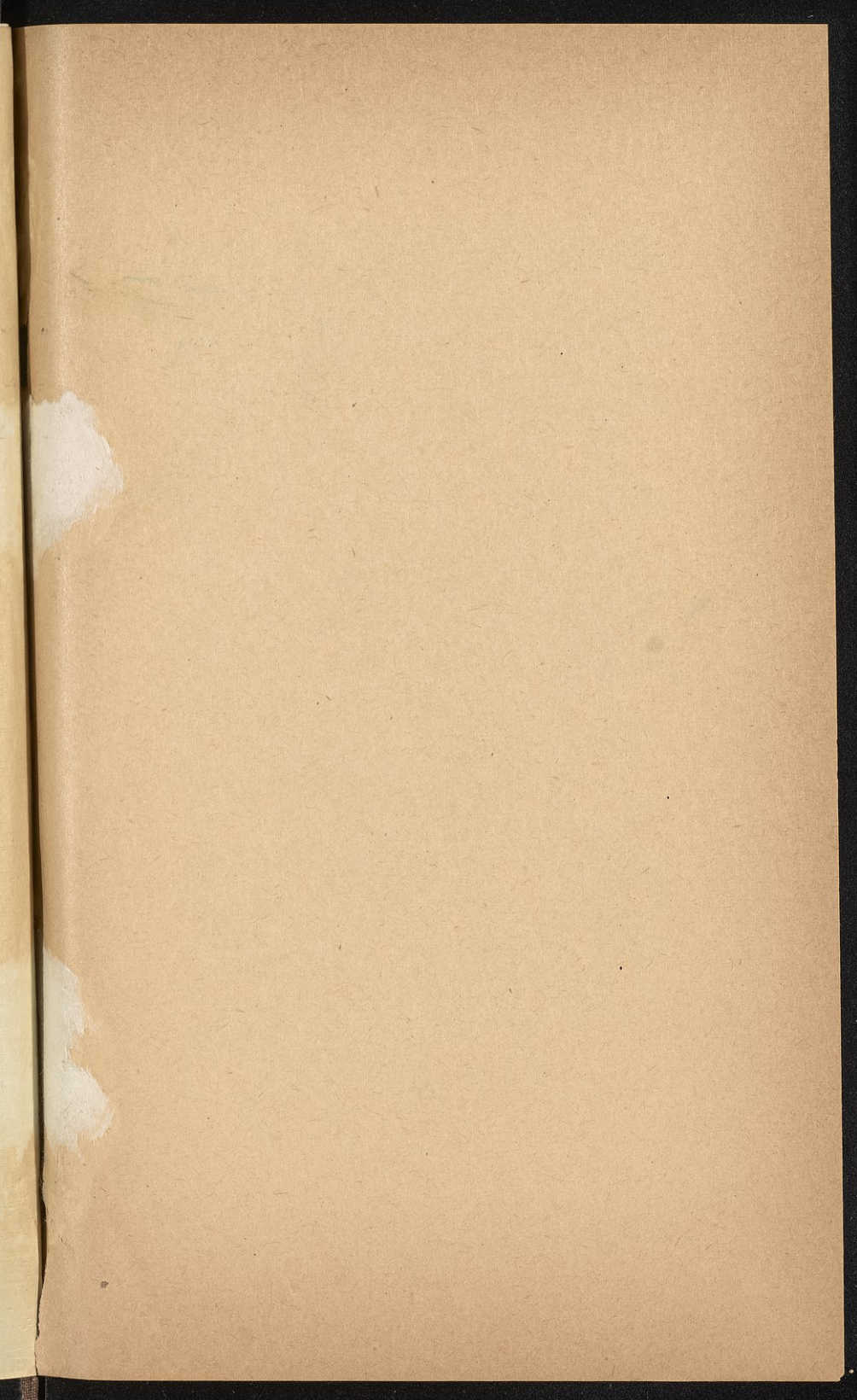
صواب	خطأ	سطر	صفحة
إلا	سوى	٢٣	١٦
يدي	يدلو	١٣	١٧
مما . مما	ما . ما	١	١٩
تلك السن المبكرة	ذلك السن المبكر	٦	٢١
ببضعة	ببضع	١	٢٢
رأينا انها - بها	رأينا من انها ، به	١٧-٨	٢٣
رجل	رجلا	٢٠	٢٦
اعداءه	اعدائه	٨	٢٨
الاخشيديون	الاخشيدين	٨	٣٦
أبي العشائر	ابا العشائر	١٤	٣٨
كبرياؤه ، شاعر	كبريائه ، شاعراً	٢٠-١٤	٤٣
ابو فراس ، ورائه	ابو العشائر ، ورائه - ابي فراس ، ابي العشائر ، ورائه	٧-٤	٤٧
ينج - امرؤها	ينجو - امرئها	٥-٤	٥٦
اشهراً ثلاثة	اشهر ثلاث	١١	٥٧
العديدة	العددية	١٠	١١٠
اثراً ، خطوطاً	اثر ، خطوط	١١-٦	١١١
مظهر	مظهراً	٨	١١٢
تشويهاً ، فظيماً ، كريهاً ، بغضياً ، تشويهاً ، فظيعاً ، كرية ، بغيضاً .	تشويهاً ، فظيماً ، كريهاً ، بغضياً ، تشويهاً ، فظيعاً ، كرية ، بغيضاً .	١٧	١١٢
عصره - الفضفاضة	عصر - الفضاضة	٢١-١٠	١١٥
منهاجنا	مناهجنا	١٢	١١٦

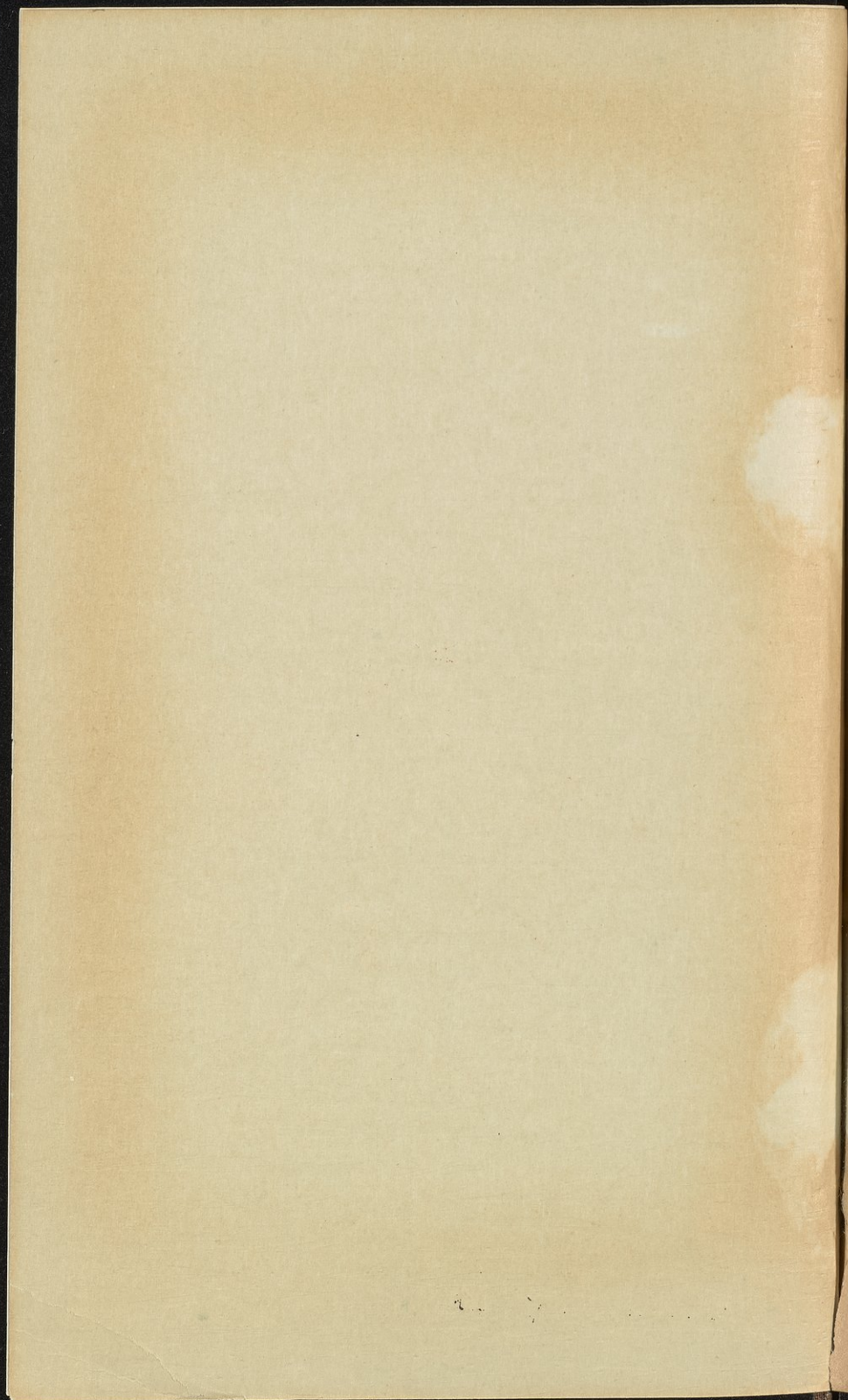
صواب	خطأ	سطر	صفحة
الحياة ، شأن هام	الحيا ، شأنًا هاماً	٧-٥	١٢٠
اتفاق	اتفاقاً	٣	١٢١
مسمى آخر	مسمياً آخراً	٢١	١٢٣
لكن ، ادبائها ، الأمثلة	لكنه ، ادبائها ، امثلة	١٨،٥،٢	١٢٥
متعباً	متعب	١٧	١٢٧
الاخير	الاخيرة	١٣	١٢٨
لسلطة	الى سلطنة	٨	١٣٠
ما	فيما	٨	١٣١
كان المعري ، وليسوا	المعري ، وليس	١٠-٣٠	١٣٦
الذين	الذي	١٠	١٤١
إلا	سوى	١٢	١٤٣
إطلاع واسع	اطلاوعاً واسعاً	٢٢	١٤٨
نثر ، اثر ، طريف ، خالد	نثراً ، اثرأ ، طريفأ ، خالدأ	١٥	١٤٩
ام انه يمدح	ام يمدح	٢	٢٣٣
ابنائه ، ابي	ابنائه ، ابو	١٥-٦	٢٣٦
من	منذ	١٦	٢٣٩
رأى	رأياً	٥	٢٤٨
يسبحن ، من العطر	يسبحن ، من العطرا	١٢	٢٥٧
وليغن	ليغني	٤	٢٥٩
ابتلى	ابتلي	٣	٢٦٣

فهرس

	صفحة
مقدمة	٢
المتنبي	
دراسة	١١
مختارات شعرية	
المدح	٥٩
الهجاء	٧٧
الرثاء	٨٢
الفخر	٩٥
الحكم والامثال	١٠٤
المعري	
دراسة	١٠٧
رسالة الغفران	١٥٠
منتخبات متفرقة	١٩٦
الفساد	٢١٢
السعادة	٢٢٢
الشريف الرضي	
دراسة	
منتخبات شعرية	٢٧١

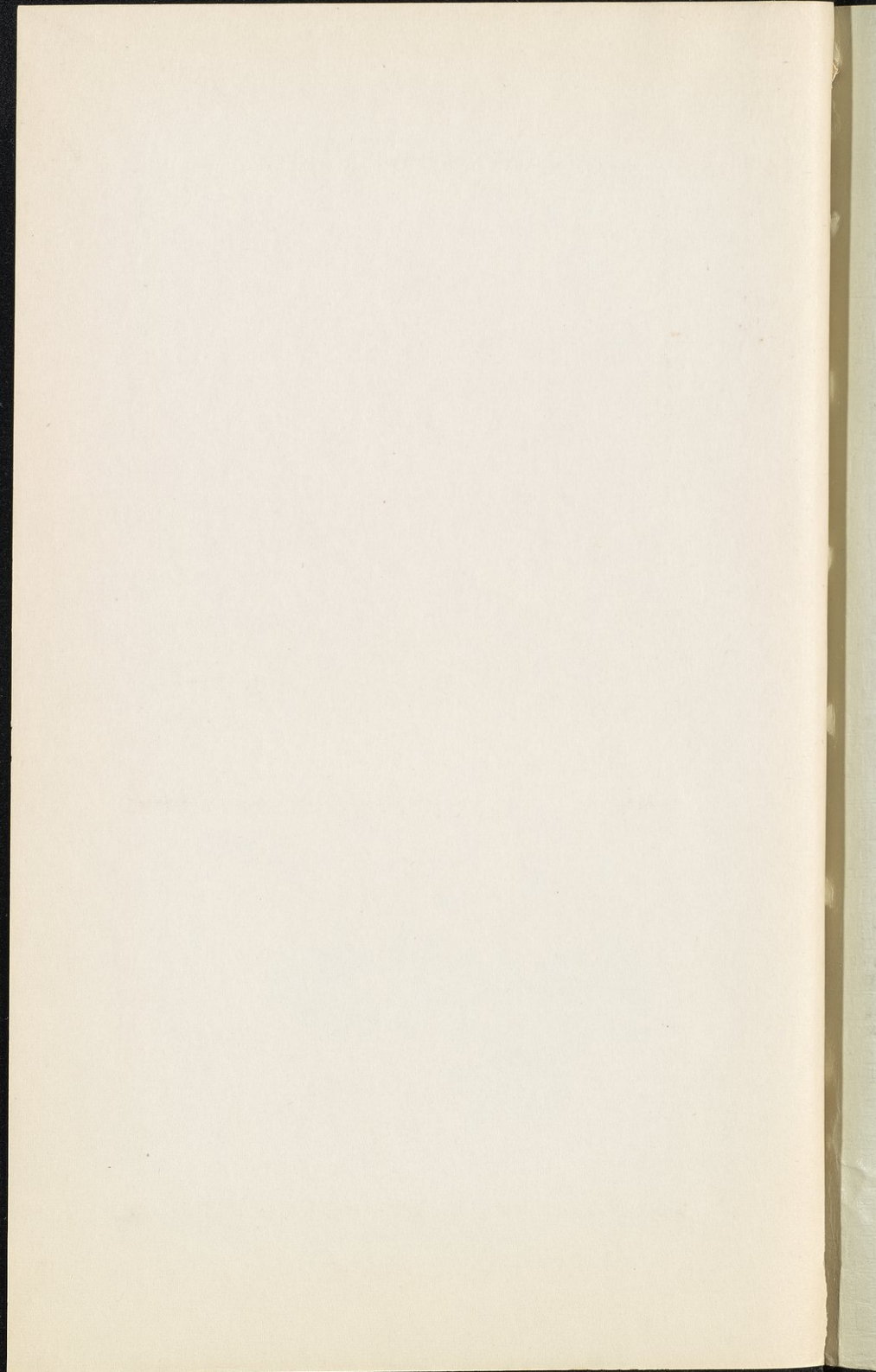


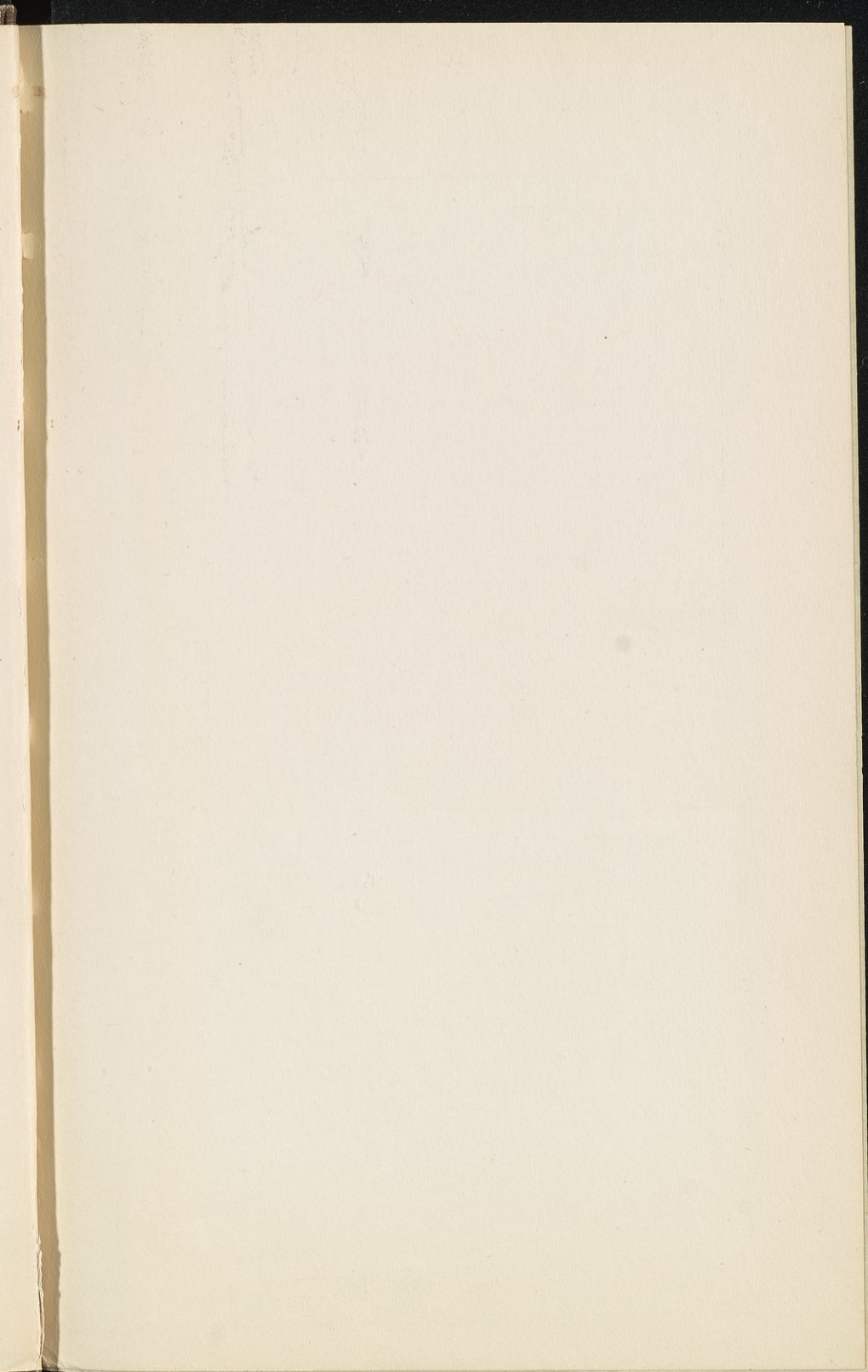




منتورات
دار الأنصاف
للتأليف والطباعة والنشر

الشمس ٣ ل. ل. او ما يعادلها





893.78

N93

BOUND

AUG 13 1958

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU58886532

893.78 N93

Shuara al-thalathah